

المجموعة الأولى

د. علي بن حمزة العمري
رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة
www.alomarey.net
Email : ali@4shbab.net
ص.ب : ٣٥٠٢٣ جدة ٢١٤٨٨

الأمة
مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع





إهـــداء..

إلى الإنسانية في أنبل صورها..

وإلى الأخوة في أرقى مشاهدها...

إلى أخي ورفيقي

الأستاذ: عدنان العبيري

رمزاً للمحبة، وقرباناً للمودة

أخوك علي

* * *

هذه النفائس..

دورة عملية متكاملة لمن أراد أن يتعلَّم فن المقالة، وما يعبِّر عنه في مقابلة أخَّاذة، وما يرسله من أشعار سيَّارة، وما يحفظه الناس من حكم صادقة، وكيف ترسم الصورة المعبِّرة.

دورة مهرها سهر الليالي، والوقوف الطويل بين الكتب، والدمع الرقراق على صفاء العبارة، والمشقَّة لالتقاط اللآلئ، واستخراج النفائس.



المقـدمـة

الحمد للّه الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، سيدنا محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم،

وبعد:

قد يظن الظانُّ أن مسألة تجميع كتاب ما من خلال القراءة في الكتب أو المجلات أو الصحف أو رسائل التقنية الحديثة كالإنترنت مسألة سهلة، ولا تحتمل صداع التأليف، أو تحرج المؤلف نتيجة الخروج بآراء وأفكار ما!..

والحقيقة أن العكس قد يكون صحيحاً في أحيان كثيرة!.

فأنت حين تجمع مادة ما، من مصادر مختلفة، فأنت هنا ترسم خريطة أولية للمشروع الذي تجمع مادته، ثم إنك تواصل البحث في موضوعات مختلفة لا في موضوع واحد مركَّز، فنحن هنا نجمع من موضوعات عدة نقوم بتصنيفها بعدئذ، بينما في التأليف تبحث عن المادة التي تساند الموضوع الذي تكتب فيه.

وفي المادة التجميعية تحتاج إلى القراءة لمؤلفين وكتَّاب مختلفين، وتتطلب القراءة معرفة كل ما قيل في المقالة أو المقابلة أو الأبيات، واختيارها ضمن معايير الاختيار، بينما في الكتاب المؤلَّف تحتاج إلى

نص أو شاهد أو فكرة تدعم بها أو تؤصِّل من خلالها أو تجوِّد ما كتبت لا أكثر!.

في المادة التجميعية يمكن القول: إننا نعمل كمحققين، منقبين، باحثين ما بين السطور الطويلة لأنها تمثل آراء أصحابها المتسلسلة، بينما في التأليف نقوم بدور المؤلف الذي يختار ما يحلو له، فلربما اختار سطراً أو بضعة كلمات، أو نصّاً بأكمله، أو شذرات منه، والتعقيب عليها، أو الاقتباس منها، ولربما تحطيمها!..

بينما هنا نُبرز كلَّ ما قال ـ مَنْ ننقل عنه ـ من باب الأمانة والموضوعية، ووفق المعايير العامة، ولربما نكتفي بإشارة تعقيبية في الهامش إذا اقتضى الأمر ذلك!.

ولا أكتم القارئ سرّاً أن جمعي للمجموعة الأولى لهذه النفائس وأخواتها أخذ مني سنين طويلة، لا أتذكر بالتحديد بداية فكرتها، لكنني أتذكر أنها ولدت وأنا أحتفظ بالقصاصات والمقالات والمقابلات في ملفات ضاع أكثرها، وبقي بعضها، مذ وعيت أهمية الأرشفة اليدوية قبل عصر الكمبيوتر!..

ولا بدّ أن أذكر هنا أن من أهم الأسباب التي دعتني لهذا الجمع، هو توعية وبعث الوعي لدى الشباب بخاصة، وتذكير النخب والمخضرمين المثقفين بما يمنحهم التفكير الواسع، والتنفس الصحي، وإعادة التأسيس من جديد إذا صَعُب المضي في المسار الذي اختاره الإنسان، على حد تعبير شكيب أرسلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من نافلة القول: أن أذكر بأن جملة لا بأس بها من هذه المقالات والكتابات ليست منشورة في الإنترنت، أو في الصحف أو المجلات، بل هي حبيسة أدراجي!.

بمعنى أنها مقالات أو مقابلات طلبتها بشكل خاص أثناء إشرافي على

عدد من المشاريع الإعلامية الصحفية، لا زلت محتفظاً بها، وآن الأوان لنشرها.

وهي عندي (نفائس) بالمعنى العام والمجمل.

فلم أشأ أن تكون على طريقة منهجية بحتة، بل هي شبه منهجية، مقسَّمة تقسيماً عاماً، لترتيب القراءة، وتنسيق الأفكار في موضوعات متقاربة.

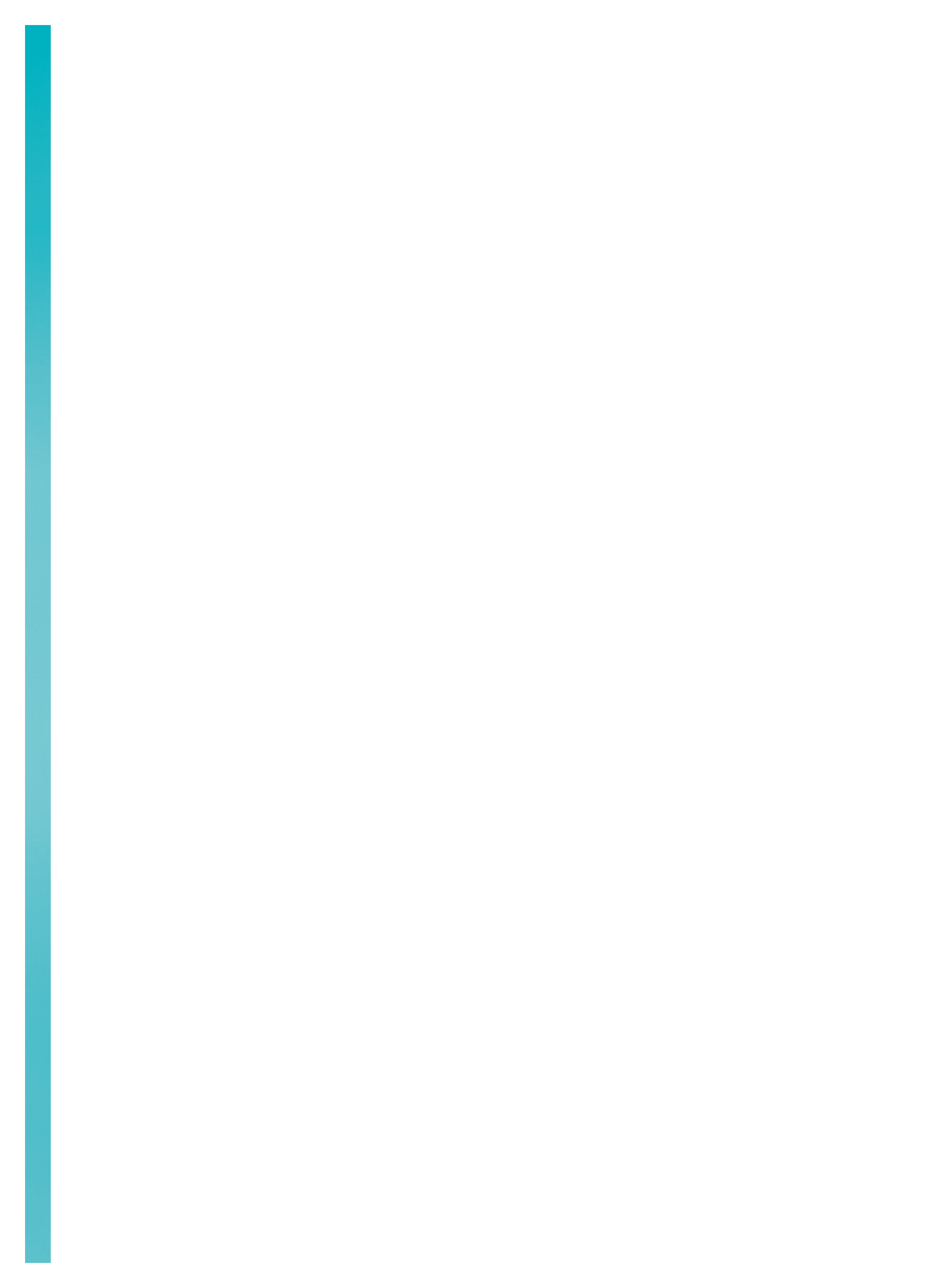
وأرجو أن يعي القارئ الكريم أن الاختيارات لا تمثل حالة نفسية، أو منهجية فكرية معينة، لا، بل الاختيار الحر، وفق ما أراه مناسباً لجملة القراء، على مختلف اهتماماتهم.

نعم، لا أخفي أنني بهذه الاختيارات، أرجو المشاركة في فهم الحياة، وتفهم طبيعة أهلها أيّاً كانوا، ولكن وفق المتاح، وبلا مشاغبة، أو صوت صاخب!.

ولن تكتمل هذه الصورة المأمولة إلا باكتمال الأجزاء، والله من وراء القصد.

د. علي بن حمزة العُمري

١٤٣٠/١٢/٧هـ



الفصل الأول

المقالات الثقافية

الإنسان والشيء

د. عبد الوهاب المسيري

نحن نعيش في عالم يحولنا إلى أشياء مادية ومساحات لا تتجاوز عالم الحواس الخمس، إذ تهيمن عليه رؤية مادية للكون. ولنضرب مثلاً بـ «التي شيرت» (T-Shirt) الذي يرتديه أي طفل أو رجل؛ إن الرداء الذي كان يُوظَّف في الماضي لستر عورة الإنسان ووقايته من الحر والبرد، وربما للتعبير عن الهوية، قد وُظِّف في حالة «التي شيرت» بحيث أصبح الإنسان مساحة لا خصوصية لها، غير متجاوزة لعالم الحواس والطبيعة/المادة.

ثم توظف هذه المساحة في خدمة شركة الكوكاكولا (على سبيل المثال)، وهي عملية توظيف تُفقد المرء هويته وتحيّده بحيث يصبح منتجاً وبائعاً ومستهلكاً، أي: إن «التي شيرت» أصبح آلية كامنة من آليات تحويل الإنسان إلى شيء.

ويمكن قول الشيء نفسه عن المنزل، فهو ليس بأمر محايد أو بريء، كما قد يتراءى للمرء لأول وهلة، فهو عادةً ما يُجسِّد رؤية للكون تؤثر في سلوك من يعيش فيه وتصبغ وجدانه، شاء أم أبى.

فإن قَطَنَ الإنسان المسلم في منزل بُنِيَ على الطراز المعماري العربي والإسلامي فلا شك أن هذا سيزيد من ثقته في نفسه واعتزازه بهويته

وتراثه.. ولكننا لا نرى في كثير من المدن في العالم الإسلامي أي مظاهر أو آثار للرؤية العربية الإسلامية (إلا في المسجد)، وبدلاً من ذلك أصبح المنزل ـ عمليّاً وظيفيّاً ـ يهدف إلى تحقيق الكفاءة في الحركة والأداء ولا يكترث بالخصوصية، أي: إنه مثل «التي شيرت» أصبح هو الآخر خلواً من الشخصية والعمق.

وأثاث هذا المنزل عادة وظيفي، يلفظ أي خصوصية باسم الوظيفية والبساطة.. ولكن البساطة هنا تعني في الواقع غياب الخصوصية (الرؤية المادية تفضِّل البساطة على الجمال المركب، ومن هنا عبارة: «خليك طبيعي»).

والشيء نفسه ينطبق على طعام «التيك أواي» أو السفاري، فهو الآخر يعيد صياغة وجدان الإنسان. الناس هم الذين يعدُّون طعامهم بأنفسهم، ثم يتناولونه سويّاً. هذا ما كان سائداً في كل أرجاء العالم بما في ذلك الغرب.

أما ظاهرة أكل طعام قد تم إعداده من قبل، ويأكله المرء وهو يسير أو يجري، فهذه ظاهرة جديدة على الجنس البشري، ولابد أن نتنبه إلى الرؤية الكامنة وراءها، فهي رؤية تعتمد السرعة والحركة في الحيز المادي، مقياساً وحيداً، وهي بذلك تحوِّل الإنسان إلى كائن نمطي يشبه الآلة.

إن هذه الوجبة السريعة الحركية تعني التخلي عن مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية المهمة، مثل: أن يجلس المرء مع أعضاء أسرته أو أصدقائه في شكل حلقة ليتناول الطعام معهم فيتحدثون في مواضيع شتى، فالإنسان هو من يأنس بغيره.

ولعل العبارة العامية المصرية «أكلوا عيش وملح سوا» (أي سويّاً) تشير

إلى مجموعة القيم هذه. وأنا لست من الغباء بحيث أطالب بتحريم أو تجريم هذه الوجبات، فأنا أدرك تماماً ضرورة اللجوء إلى كثير من الإجراءات ذات الطابع المادي (الاقتصادي السياسي) في حياة الإنسان اليومية، والوجبة السريعة كثيراً ما تكون ضرورية، بل وحتمية.

ولكن عندما تتحرك هذه الإجراءات المادية إلى المركز وتصبح هي القاعدة والمعيار، نكون قد سقطنا في العلمانية الشاملة!.. وقد قرأتُ مؤخراً أن عدد الأقواس الصفراء (علامة ماكدونالد) يفوق عدد الصلبان في العالم الغربي!..

وما يهمنا في كل هذا أن بعض المنتجات الحضارية التي قد تبدو بريئة (فهي معظمها حلال)، تؤثر في وجداننا وتعيد صياغة رؤيتنا لأنفسنا وللعالم.

وما قولكم في هذه النجمة السينمائية المغمورة (أو الساطعة) التي تحدثنا عن ذكريات طفولتها وفلسفتها في الحياة وعدد المرات التي تزوجت فيها وخبراتها المتنوعة مع أزواجها، ثم تتناقل الصحف هذه الأخبار وكأنها الحكمة كل الحكمة!..

وقد تحدثت إحداهن مؤخراً عما سمته «الإغراء الراقي»، ما يدل على عمقها الفكري الذي لا يمكن أن تسبر أغواره! أليس هذا أيضاً هيمنة النموذج المادي على الوجدان والأحلام؛ إذ تحوَّلت النجمة إلى مصدر للقيمة، وأصبح أسلوب حياتها هو القدوة التي تُحتذى، وأصبحت أقوالها المرجعية النهائية؟!..

ومع هذا، تُصر بعض الصحف على أن «فلانة» المغنية أو الراقصة أو عارضة الأزياء لا تختلف في أحكامها وحكمتها عن أحكام وحكمة أحكم الحكماء وأعمق الفلاسفة! والمسكينة لا علاقة لها بأي مرجعية ولا أي قيمة

ولا أي مطلقية، إذ إن رؤيتها للعالم محصورة بحدود جسدها الذي قد يكون فاتناً، ولكنه ـ لا شك ـ محدود ونسبي.

كما أن خبراتها مع أزواجها ـ رغم أنها قد تكون مثيرة ـ لا تصلح أساساً لرؤية معرفية أخلاقية، إلا إذا كانت رؤية مادية عدمية ترى أن كل الأمور نسبية.

وإذا أخذنا الحكمة من أفواه نجمات السينما والراقصات وملكات الجاذبية الجنسية، فستكون حكمة لها طابعها الخاص الذي لا يمكن أن يُوصف بالروحانية أو الأخلاقية أو ما شابه من أوصاف تقليدية عتيقة!..

وقد يكون وصف أقوال هذه النجمة بأنها منافية للأخلاق أو للذوق العام وصفاً دقيقاً، ولكنه مع هذا لا يُبيِّن الدور الذي تلعبه النجمة وأفكارها في إعادة صياغة رؤية الإنسان لنفسه وتَصوُّره لذاته وللكون بشكل غير واع، ربما من جانبها ومن جانب المتلقي معاً.

ولنتخيل الآن إنساناً يلبس «التي شيرت»، ويسكن في منزل وظيفي بُني ربما على طريقة «البريفاب» (الكتل الصماء سابقة الإعداد)، ويأكل طعاماً وظيفيّاً (همبورغر ـ تيك أواي تم طبخه بطريقة نمطية)، وينام على سرير وظيفي، ويشرب الكوكاكولا، ويشاهد الإعلانات التجارية التي تغويه بالاستهلاك والمزيد من استهلاك سلع لا يحتاج إليها في المقام الأول، ويعيش في مدينة شوارعها فسيحة عليه أن يجري بسيارته المستوردة بسرعة مئة ميل في الساعة، ويهرع بسيارته من محل عمله إلى محل طعام «التيك أواي» ومنها إلى مركز التسوق الذي يتسلع منه البشر، ويداوم على مشاهدة الأفلام الأميركية (الإباحية أو غير الإباحية) بشراهة غير مادية، ويسمع أخبار النجوم وفضائحهم، ويُدمِنُ تلقي الحكمة من النجمات الساطعات أو المغمورات..

ألن يتحول هذا الإنسان إلى إنسان وظيفي متكيف لا تُوجَد في حياته خصوصية أو أسرار.. إنسان قادر على تنفيذ كل ما يصدر إليه من أوامر دون أن يثير أية تساؤلات أخلاقية أو فلسفية؟!..

قد يقيم هذا الإنسان الوظيفي الصلاة في مواقيتها، ولكن كل ما حوله يخلق له بيئة معادية لإدراك مفهوم القيمة المتجاوزة لعالم الحواس الخمس وجدواها.. لقد سقط الإنسان في المنظومة المادية واخترقته مجموعة من الأحلام والأوهام والرغبات لا يدرك تضميناتها الاجتماعية والأخلاقية، رغم أنها توجِّه وتحدِّد أولوياته دون وعي منه.

ونحن حين نتحدَّث عن الحضارة المادية فنحن عادة ما نتصور أننا نتحدث عن الحضارة الغربية وحدها، وهذا خلل ما بعده خلل، ففي الغرب يوجد كثير من المظاهر الإنسانية المتجاوزة لسطح المادة، ففي الغرب موزارت وبتهوفن والطعام الفرنسي وكثير من المظاهر المحتفظة بأصالتها وخصوصيتها.

إن المنتجات المادية الحديثة تتميز بكونها معادية للخصوصية.. الخصوصية الغربية والخصوصية الإنسانية.. ولنقارن موسيقى الديسكو بالموسيقى الكلاسيكية الغربية والعربية، و«التي شيرت» برداء الإنسان الغربي، ستجد أن منتجات هذه الحضارة المادية ـ التي أسميها «ضد الحضارة» ـ غير منتمية لأي تشكيل حضاري أو اجتماعي.

هي حقّاً بدأت في الولايات المتحدة لكنها ليست أمريكية، لأن الحضارة الأمريكية الحقيقية حضارة لها سماتها الفريدة، وهناك تقاليد حضارية أمريكية قامت هذه الحضارة الجديدة الضد بتقويضها.

ولكن المشكلة أن كل هذه التقاليد وكل هذه الخصوصيات آخذة في التآكل بسبب المد الجارف للحضارة المادية.. وهذه الحضارة المادية

ليست معادية للشرق وحده، بل هي ظاهرة ورؤية أمسكت بتلابيب العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، ولا يظنن أحد أننا بمأمن منها ومن عدميتها وعدائها للإنسان.

كل هذا مقدمة لما حدث في عالم الرياضة.. إن الرؤية المادية قد تغلغلت في كل مجالات الحياة؛ خذ على سبيل المثال عالم الرياضة.. كانت ممارسة الرياضة في الماضي تهدف إلى تهذيب الجسد والنفس وتدريب الناس على التعاون وتسليتهم في الوقت ذاته، بحيث يقضون وقت الفراغ بطريقة متحضِّرة.

كما أنها على مستوى آخر كانت تدريباً على الصراع الرقيق لتفريغ نزعات البشر العدوانية من خلال قنوات متحضِّرة..

حينما كنت في مدرسة دمنهور الثانوية كان فريق كرة السلة من أهم الفرق على مستوى الجمهورية، وكنا نصل إلى المركز الأول في بعض البطولات إن لم تخنّي الذاكرة..

ولكن ما أذكره جيداً هو أن الأستاذ الحبروك ـ المشرف على الفرق الرياضية آنذاك ـ كان ينصحنا بأنه حينما كان يأتي فريق من المراكز المجاورة لنا ـ وكانوا عادةً أدنى منا في المستوى ـ كان يطلب منا ألا نهزمهم هزيمة ساحقة، بل أن ندعهم يحرزون بعض الأهداف حتى لا يشعروا بالإحباط.

وكنا نشجِّع فريق كرة القدم الخاص بدمنهور، ولكننا في الوقت ذاته كنا نشجع «اللعبة الحلوة» بغضِّ النظر عن مصدرها.

إنَّ ما كان يهيمن علينا ليس النموذج المادي ولا النموذج الداروينى الصارم حيث يكون كل الناس إما منتصراً أو مهزوماً، ولا نموذج السوق وآليات العرض والطلب التي لا تعرف الله أو الإنسان، وإنما نموذج إنساني يقبل حتمية الاختلاف والصراع، ولكنه لا يجعلها مرجعيته النهائية، إذ توجد قيم أخرى مثل التراحم والإيمان بإنسانيتنا المشتركة.

ولكن الرياضة انفصلت تدريجيّاً عن كل هذه القيم لتصبح مرجعية ذاتها، ومنفصلة عن القيمة وتصبح معايير الرياضة رياضية، ويصبح إحراز النصر هو الهدف الأعلى والأسفل والوحيد!.. ونسمع بعد ذلك عن تفرغ اللاعبين تماماً للرياضة واحترافهم! والاحتراف يتناقض تماماً مع فكرة التسلية وتزجية وقت الفراغ واللعب بطريقة إنسانية متحضِّرة، فهي تجعل الرياضة مركز الحياة.

قابلتُ مرة أحد كبار لاعبي كرة القدم في الولايات المتحدة، وهي مختلفة عن كرة القدم في بقية العالم، واللاعبون لا بد أن يتمتعوا بلياقة بدنية فائقة، وأجسامهم يجب أن تكون ضخمة وعضلاتهم بارزة حتى يمكنهم تحمل الصدمات، المهم.. فتح لي قلبه وتحدث عن بؤسه، وكيف يراقب المدرب كل جوانب حياته العامة والخاصة، فهو يراقب وجباته اليومية ويطلب منه أن يأكل كذا من البروتين وكذا من الخضراوات، كما يراقب حياته العاطفية بل والجنسية، فهو لا يمكنه أن يخرج مع صديقته قبل المباراة بأسبوع، ولا يمكنه مضاجعتها أو مضاجعة زوجته.

هو لم يستخدم مصطلح «تشيّؤ»، أي أن يتحول الإنسان إلى شيء، ولكن هذا هو أدق وصف لما حدث له.

في المدارس الثانوية بالولايات المتحدة، تقوم فرق كرة القدم بدراسة تكتيكات الفريق الذي سينازلهم من خلال أفلام فيديو يصورونها لمباراة سابقة له، كما يدرسون أداءهم بنفس الطريقة.

هل هذا له علاقة بالتسلية واللعب، أم أنه ينبع من نموذج مادي صراعي يجعل الفوز وهزيمة الآخر هو الهدف الوحيد؟ ومن هنا تدفع المكافآت السخية لأعضاء الفريق الفائز، وتنتهي المباريات في الآونة الأخيرة بمعارك يُجرح فيها بعض الناس، بل وقُتل ضابط شرطة في إيطاليا بعد مباراة حامية الوطيس.. كل هذا يعني هيمنة النموذج الصراعي وتراجع النموذج الإنساني التراحمي.

وقد اقتحمت أخلاقيات السوق عالم الرياضة فيتم «بيع» لاعب مغربي لنادي إيطالي، ولاعب إيطالي لنادي ليبي وهكذا، وكأننا في سوق النخاسة.

ولذا بدلاً من الانتماء إلى الوطن والقيم يصبح الانتماء إلى المال، المحرك الأول للإنسان الاقتصادي! ونسمع بعد ذلك عن عدد كبير من الرياضيين يستخدم المخدرات والأدوية المنشطة الممنوعة لتحقيق النصر!.. ويتقاضى أعضاء الفريق الفائز مبالغ طائلة مكافأة لهم، وهى مكافآت سخية على أدائهم، قد تصل إلى مرتب أستاذ جامعي لعدة سنوات.

بل في إحدى الجولات الرياضية حصل كل عضو من أعضاء الفريق الفائز على سيارة «بي.أم.دبليو» وهذه قمة الأحلام العلمانية! أين كل هذا من قيم التعاون والصراع الرقيق والمرجعية الإنسانية؟! لقد اقتحمت اقتصاديات السوق هذا القطاع تماماً، وسيطرت عليه قوانين العرض والطلب والمادية، وتم تشييء الإنسان ونزع القداسة عنه، وتحوّل إلى مادة استعمالية مرنة ليس فيها من الإنسانية سوى الاسم، أي: إن النموذج المادي الصراعي الدارويني قد ساد تماماً.

هـذه هي مأساة الحضري الذي وقع صريع هذا النموذج، وسلك سلوكاً متسقاً معه، فهاجت الدنيا ضده!.. والسؤال هو: لماذا هذا الهيجان والتهيج؟ أليست المسألة مسألة عرض وطلب لا مسألة انتماء وطني وإنساني؟!..

وعلى أية حال، بعد الهيجان استقرت الأمور داخل إطار الخصخصة وقبل النادي الأهلي التعويض المالي المناسب عن فقدانه إحدى أشيائه الثمينة.. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

الفرق بين القراءة والثقافة

أ. د. جعفر شيخ إدريس

يقرأ بعضنا الإحصاءات التي تنشرها بعض المؤسسات العالمية كالأمم المتحدة عن متوسط ما يقرؤه الفرد في البلاد المختلفة، فيربط بين القراءة والثقافة، فيعتقد أن الأمة الأكثر قراءة هي بالضرورة الأكثر ثقافة. وهذا استنتاج غالط.. وغلطه في كونه لا يميِّز بين المعاني المختلفة للثقافة وصلة كل منها بالقراءة، كما أنه لا يميز بين أنواع القراءات، وأنواع القرَّاء. وسنبين شيئاً من ذلك في هذا المقال القصير، فنقول:

كلمة الثقافة بحسب الاستعمال الحديث الذي جعلها ترجمة لكلمة (culture)، لا بمعناها العربي الأصلي؛ **لها ثلاثة معانٍ:**

١- فعلماء الأنثروبولوجيا يستعملونها بمعنى **ما تمتاز به كل أمة أو كل مجموعة من الناس من معتقدات، وقيم خلقية، وعادات وتقاليد، وأنماط سلوك، بل أغانٍ وموسيقى ورقص، وطريقة أكل وشرب.**

فبهذا المعنى يكون لكل أمة بالضرورة ثقافة؛ قارئة كانت أم غير قارئة، فلا علاقة للقراءة بهذا النوع من الثقافة.. لكن ثقافة أمة من الأمم قد تؤثر في أمة أخرى بوسائل كثيرة لعل أهمها في عصرنا هو التليفزيون والسينما وبعض المجلات، وأما المادة المقروءة فربما تأتي في المرتبة

الدنيا.. والأمريكان يسمُّون هذا النوع من الثقافة بـ«القوة الناعمة» في مقابل القوة الخشنة التي هي قوة السلاح.. ويعتقدون أن هذه القوة الناعمة لها تأثير حتى ما كان منها مثل انتشار مطاعم (ماكدولاندز) ومقاهي (ستار بكس)، ومثل انتشار أفلامهم وسائر عاداتهم.. وهم محقُّون في ذلك؛ لأن التشابه الخارجي ـ كما كان يقول علماء مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يورث تشابهاً داخليّاً، وهذه هي الحكمة في مخالفة الكفار في هديهم الظاهر.

والغربيون يعلمون شيئاً من هذا، ولذلك يسرُّهم أن يجدوا ثقافتهم تنتشر في بلاد العالم ولا سيما العالم الإسلامي.. ولقد انتشر هذا النوع من الثقافة الغربية حتى صار بعض الناس ـ ولا سيما بعض النساء ـ يستمسكون به كأنه من ضرورات العصر التي لا يكون الإنسان عائشاً فيه إلا إذا كان ملتزماً بها.

٢- أما الاستعمال الثاني للثقافة؛ فهو **الثقافة بمعنى كثرة المعلومات في مواضيع متعددة**؛ فالمثقف بهذا المعنى هو الذي يلمُّ من كل علم بطرف، فيكون ذا إلمام بالتاريخ؛ تاريخ قومه الخاص وتاريخ العالم، وذا إلمام بما يدور في العالم من أحداث، وذا إلمام بالعلوم المنتشرة في عصره، وغير ذلك.

وعامة الغربيين ليس لهم اهتمام بهذا النوع من الثقافة، بل إن الكثيرين منهم ولا سيما في أمريكا لا يكادون يعرفون شيئاً عن العالم! لكن هذه الثقافة متوفرة في خواصهم أكثر مما هي متوفرة في خواصنا.

وأكثر ما يقرؤه عامة الناس في البلاد الغربية إنما هو الروايات والقصص والمقالات التي تتحدث عن الرياضة والأفلام.. لكن الذين يجرون الإحصاءات لا يفرقون بين هذا النوع الذي هو أكثر انتشاراً وبين النوع الأول، وقد يكون

هو السبب الأساس في ارتفاع متوسط القراءة عندهم.. سمعت بعضهم يذكر إحصائية تقول: إن متوسط ما يقرؤه العربي هو ربع صفحة، ثم تساءل: كيف نتقدم بربع صفحة؟!.. وربع الصفحة شيء قليل ما في ذلك شك، لكن فائدته كانت ستكون أكثر ثقافياً لو كان من النوع المفيد.

ثم إنه ليس هناك علاقة اطِّراد بين التقدم وبين ارتفاع معدل القراءة.. أذكر أنني قرأت قبل عدة سنين إحصائية تقول: إن أكثر الناس قراءة هم الروس، مع أن الروس لم يكونوا في ذلك الوقت وليسوا هم الآن بأكثر تقدُّماً من الأمريكان بل هم وراءهم بسنين!.. وعَزَت الإحصائية كثرة قراءتهم إلى شدة البرد عندهم، وهو ما يضطرهم لأن يجلسوا في بيوتهم.. وأذكر أنني قلت في نفسي آنذاك: هل يفسِّرُ الحَرُّ قلة قراءتنا؟..

ولست أدري ماذا حدث للروس الآن بعد انتشار القنوات الفضائية؟..

ومن أحسن ما في الثقافة بهذا المعنى الثاني هو ما يسمى بالثقافة العلمية، وهو الأمر الذي يجدر بنا أن نهتم به على المستوى العام وعلى المستوى الخاص.

كنت أيام حادثة السونامي في زيارة إلى الهند فقرأت مقالات علمية في بعض الجرائد اليومية مكتوبة بلغة إنجليزية ميسرة يفهمها طالب الجامعة، فاستفدت منها كثيراً في فهم حادثة السونامي، وتمنيت لو أن صحفنا تنشر مقالات كهذه بلغة عربية علمية ميسرة حتى ينتشر هذا النوع من الثقافة بين الناس.. هذا ما رأيته في الهند. أما في البلاد الغربية فإن الاهتمام بهذا النوع من الثقافة أكبر؛ فهناك المجلات العلمية التي تصلح لعامة المثقفين، وهناك القنوات العلمية مثل قناة (ديسكفري discovery)، بل هناك الروايات التي تبنى على الخيال العلمي.. لكن العلم الذي هو أساس التقدُّم التقني وما يبنى

عليه من تقدُّم اقتصادي وعسكري وغير ذلك إنما هو العلوم التجريبية المتخصصة؛ علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء وغيرها.. وهذه بالطبع لا يقرأ مراجعها إلا قلة من الناس، لكن هذه القلة هي التي تعتمد عليها البلاد في تقدُّمها العلمي والتقني.

٣- المعنى الثالث للثقافة **هو الثقافة بمعنى ما يهذب النفوس**، فيكون المثقف بهذا المعنى إنساناً صالحاً يلتزم بمكارم الأخلاق؛ من صدق في الحديث، ووفاء بالعهد، وإحسان إلى الخلق، وغير ذلك.

وليس هناك من علاقة اطِّراد بين هذا النوع من الثقافة وبين كثرة القراءة، فالإنسان قد يقرأ أو يسمع آية من كتاب الله أو حديثاً لرسول الله ﷺ يذكِّره بربه وبالدار الآخرة، فيصلح قلبه ويصلح بصلاحه كثير من أعماله وتصرفاته، وكلما ازدادت صلته بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ ازداد هدى وصلاحاً.

وكما تؤثر في الإنسان آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﷺ تؤثر في صلاحه أيضاً سِيَرُ الصالحين من عباد الله، ولذلك قالوا: إن الإمام أحمد كان ينصح بقراءة سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز؛ فرُبَّ قراءة كتاب واحد في سيرة أحد هؤلاء الصالحين تؤثر في صلاح الإنسان أكثر من تأثير عشرات الكتب الأخرى. بل إن بعض هذه الكتب الأخرى.. ولا سيما الروايات منها قد يكون لها أثر عكسي على القارئ يفسده ولا يصلحه، ولا سيما إذا كان في مرحلة الشباب.

ليست هذه دعوة إلى التقليل من فائدة القراءة، ولكنها محاولة لوضع الأمور في نصابها؛ فحبذا لو اهتممنا بكل قراءة مفيدة لنا في صلاح قلوبنا وفي معرفة دنيانا، وحبذا لو يسَّرنا لعامة الناس الوصول إلى الكتب والمجلات والدوريات التي تعينهم على ذلك.

ومن الأشياء المفيدة التي كانت تقوم بها الحكومة في الاتحاد السوفييتي هو تيسير مثل هذه القراءة.. لقد كنا نستفيد كثيراً من كتبهم العلمية الميسرة التي كانت تترجم إلى اللغة الإنجليزية؛ فحبذا لو جعلت حكوماتنا مثل هذا التيسير والنشر هدفاً مهمّاً من أهدافها، وحبذا لو اهتممنا بإنشاء المكتبات التي يؤمها الناس للاطلاع وللإعارة.

- هناك مسألة أخرى هي **سرعة القراءة**: إننا بصورة عامة أكثر بطئاً في القراءة من الغربيين.. وفي أول ذهاب لي إلى بريطانيا سجلت في برنامج لتعليم سرعة القراءة كانت جامعة لندن قد أعدَّته خدمة لكل الطلاب، وهالني أنني كنت في مؤخرة قائمة أولئك البطيئين في القراءة، لكن عزائي كان أنني كنت متقدماً في مهارات أخرى لا علاقة لها بسرعة القراءة.. وذكر لنا الأستاذ الذي كان يدرِّسنا أمثلة لأفراد متفوقين في سرعة القراءة منهم الرئيس السابق (جون كينيدي) الذي قال الأستاذ عنه: إنه كان يقرأ ألفي صفحة في الدقيقة الواحدة! وأنه كان من أكثر الناس استعارة للكتب من مكتبة الكونغرس! لكن هذا الرجل لم يكن مثقفاً بالمعنى الثالث للثقافة، بل اشتهر بأنه كان رجلاً فاجراً، حتى قال عنه رئيس وزراء بريطانيا السابق في مذكراته ـ التي أوصى بأن لا تُنشر إلا بعد موته ـ كلاماً؛ فحواه أنه لا يدري كيف يجد هذا الرجل الوقت لحكم بلاده لكثرة ما رأى من انشغاله بالنساء ومعاشرته لهن! وقصة (كلينتون) الذي يُعد من أكثر الرؤساء الأمريكيين ثقافة معروفةٌ.

وقد اشتهر بكثرة القراءة المفيدة وسرعتها عدد من علمائنا في الماضي؛ فحبذا لو أحيينا سنَّتهم ودرَّبنا أولادنا على أن يستنُّوا بسنَّتهم. واللّه الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

❊ ❊ ❊

تصدير الفجور

د. عماد الدين خليل

أوردت وكالة «شينخوا» الصينية خبراً مفاده: أن الصين ستوقع عقوبات مشددة صادرة عن المحكمة الصينية العليا، قد تصل إلى حد الحبس مدى الحياة، على المسؤولين عن المواد والصور والأفلام الفاضحة على شبكة الإنترنت والهواتف النقالة.

وثمة مشروع مقترح من قبل الاتحاد الأوروبي لإيجاد تلفزيون موحد لكل دول الاتحاد وفق مواصفات خاصة، ومبرمج لحذف المواقف المخلّة بالآداب، فضلاً عن تلك التي تتعارض وثقافتهم ومصالحهم، كما أن المشروع سيصمّم لمنع استقبال أي بث خارج الاتحاد..

وربما يتذكر معي بعض القراء كيف حُكم على أحد الأدباء في الولايات المتحدة (وقد يكون أرسكين كالدويل) بالسجن لعدة أشهر أو سنوات بسبب نشره رواية فاضحة!..

أما أن يُصدَّر نتاجهم العاهر إلينا.. فلا بأس.. بل على العكس، فثمة قصدية مسبقة بكل تأكيد لنشر العهر والانحلال في مجتمعاتنا الشرقية عموماً والإسلامية على وجه الخصوص، لتدمير منظومة قيمها الخلقية والدينية، واختراق شبكة دفاعها الإيماني القائم على الطهر والنظافة

السلوكية، وتحويلها إلى سوائم تقاد من قرونها ـ وبسهولة بالغة ـ إلى المذبح، بقوة اللذة وإغرائها، كما تقاد الأغنام العجماوات..

ومن قبل كانت إحدى بروتوكولات حكماء صهيون قد أكدت على هذا الأسلوب في التعامل مع الآخر، واعتماده بوتائر متصاعدة، من أجل تدمير البنية الدينية والخلقية للأمميين، والتمكن بالتالي من التحكم في مصائرهم ومقدّراتهم..

وقد يكون تصدير الغربيين سرطانهم الانحلالي إلى مجتمعاتنا أمراً مبرراً وفق بداهات الفلسفة الذرائعية التي يدينون بها.. كما أن من المنطقي تماماً أن يعتمد حكماء صهيون الذين يتلقون برامج عملهم من التلمود، أي أسلوب أخلاقي أم غير أخلاقي لتدمير خصومهم..

لكن غير المبرر وغيرالمعقول على الإطلاق.. أن نسمح نحن المسلمين لأنفسنا بتقبل السرطان الغربي، وتمرير اللعبة الصهيونية الماكرة.. فلا نكتفي فقط باستيراد الوباء من هنا وهناك، وقبوله، والترويج له، وإنما أن نمارس ـ فوق هذا كله ـ دور المنتج الحريص على المشاركة في صناعة هذا الوباء الذي سيأتي على الأخضر واليابس، ويفترس بقايا القيم الخلقية والدينية لدى الشرائح ذات التكوين الخلقي أو الديني الهشّ الذي يحمل الاستعداد لقبول السرطان!..

ولحسن الحظ فإن الفعل الخاطئ يولدّ في أحيان كثيرة أفعالاً مضادة تساويه في القوة وتخالفه في الاتجاه..

فها نحن نجد، عبر أجيال الصحوة الإسلامية الملتزمة بمنظومة القيم، والمتوضئة بالطهر والفضيلة، حالة تثير الدهشة في اندياحها المتزايد وكسبها حشود الشباب الذين يعكسون بسلوكهم النبيل وطهارتهم الخلقية، ووضاءتهم الروحية، الحالة الإنسانية التي أريد لبني آدم أن يتحققوا بها

قبالة أو ضد كل المحاولات المحمومة التي تسعى لتدمير إنسانية الإنسان والنزول به إلى أسفل، وتدجينه، واعتقاله في نهاية الأمر في حظائر البهائم والعجماوات..وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧].

* * *

لماذا يهاجر المواطن العربي ؟

د. خالص جلبي

كانت القاضية الكندية تنطق بكلمات واضحة بطيئة تكررها باللغتين الفرنسية والإنجليزية: أيها السيدات والسادة نحن نعلم الرحلة الصعبة التي قطعتم، والأوطان الغالية التي فارقتم، طمعاً بمصير أفضل لتستقروا في هذا البلد الرائع.

أيها الناس نحن فخورون بهذا الاستقطاب لثمانين إنسان ينتمون إلى ما يزيد عن ثلاثين جنسية!..

تابعت: دخلتم هذه القاعة مهاجرين وتخرجون منها مواطنين مثلي لا أتميز عنكم بشيء! ..

الحق أقول لكم: ادخلوا هذا البلد بسلام آمنين، واعتنقوا الدين الذي به تؤمنون، وتنقَّلوا واعملوا في أي مكان تحبون، وادخلوه وغادروه في اللحظة التي ترغبون، تعلَّموا قول الحق والعمل به، وفي ذلك لومة لائم لاتخشون.

علِّموا أولادكم ذلك، وعلى محاربة كل ألوان التمييز العنصري والجنسي كونوا حريصين.

في النهاية ختمت القاضية خطبتها: والآن قوموا فليسلم بعضكم على بعض فقد أصبحتم بنعمة الله إخواناً!..

عندها لم يتمالك معظم من في القاعة عن إمساك دموعهم مبللة بذكريات مؤلمة من جمهوريات الخوف ودياسبورا التشرد.

كان أكثرهم بكاءً عائلة فلسطينية.

وكانت الخطبة تذكِّر ببيعة الصحابة لرسول الله ﷺ؟!...

هذا الكلام ليس دعاية للهجرة إليها؛ فالناس يهرعون إليها من مشارق الأرض والمغارب، بأشد من جذب المغناطيس لبرادة الحديد بين قطبين: يأس من وطن لم يبقَ فيه مكان للمواطنة، وأمل بوضع القدم في أرض الميعاد، يسبحون في تيار أطلنطي على ظهر مركب من ذهب، لينعموا ببلد يجمع بين سحر الطبيعة والنظام وكل الضمانات، تحتل فيه كندا الرقم واحد في العالم حسب إحصائيات الأمم المتحدة، على الرغم من برده الزمهرير في درجة حرارة قد تصل شتاء الى (٦٣) تحت الصفر، لا يشعر مواطنوه بذلك البرد الذي يضرب مفاصل المواطنين العرب في شتاء الشرق الأوسط الدافئ؛ فالحضارة كما نرى لا تعرف الجغرافيا!..

- **لماذا يغادر الكندي بلده ويعود إليه في أي وقت يشاء وبدون تأشيرة؟..**

يعود هذا إلى مرسوم (الحريات والحقوق) التي تسلَّم باليد كأول وثيقة مع تهنئته على الجنسية، تتضمن حقه أن يغادر بلده كما يحلو له؛ فالوطن بيته، ومتى يسأل الإنسان وممن إذناً بمغادرة بيته أو الإيواء إليه؟..

أما الحدود العربية فقد تحولت الى أسوار شاهقة، لسجون كبيرة، تحتجز مواطناً مسكيناً ويتيماً وأسيراً!..

- **ما معنى تأشيرة الخروج في البلاد العربية؟..**

إنها مؤشر فاضح، لمواطن مدان سلفاً، في سجن كبير، يحتاج للتدقيق قبل مغادرة محبسه، للتأكد أنه غير مطلوب للعدالة، بدون عدالة!!..

وبرسوم تقصم الظهر، لدول تئن تحت العجز المالي، تمد يدها إلى آخر قرش، من جيب مواطن مفلس!..

فمن أصل (٢٢) دولة عربية، يتراجع النمو في (١٧) منها، وتندلع الحروب الأهلية والمبطنة في نصف درزن منها! في وقت يتضاعف فيه السكان مرتين، حسب كتاب (فخ العولمة) الذي نشرته سلسلة عالم المعرفة، في مطلع ألفية لا مكان فيه للعرب حسب شهادة المؤرخ (باول كينيدي) ..

إنها أجراس إنذار مفزعة لأناس فقدوا حاسة السمع!..

عند معظم بوابات الحدود العربية، تطل سحنة موظف عابس كاره لعمله؛ فيتسارع نبض المواطن العربي مع تسليم الجواز، ويجف ريقه متظاهراً بالابتسام، في سحنة صفراء لا تسر المستقبلين، ثم تبلغ القلوب الحناجر في انتظار عودة الجواز، أو تدور الأعين كالذي يغشى عليه من الموت عندما يتأخر الجواز، فلعل المواطن مطلوب لجهة أمنية!..

- **ما معنى تسرُّب الكفاءات؟ وهرب رؤوس الأموال؟ ونزيف الأدمغة؟ وصدور أفضل الكتب والمجلات، تطبع بالحرف العربي في مكان لا يوجد فيها ناطق واحد باللسان العربي؟!..**

إنها رواية بائسة عن وطن بلا دماغ! ..

فهل يمكن لكائن ممسوخ من هذا النوع أن يعيش؟!..

إنها أمة تموت وجثة تتفسخ تدريجيّاً..

وموت الدماغ يعني في الطب، البدء بتوزيع الأعضاء بالجملة والمفرَّق، لمرضى يحتاجون..

وكذلك حين تموت الأمم ..

ولو انطلقت مظاهرة في فرانكفورت، تهتف بالدم بالروح نفديك يا

ميركل كما يحدث عندنا في سورية وغيرها، لظن الناس أنها فرقة مجانين ضلت طريقها من مصح أمراض عقلية، وجب الاتصال السريع بالبوليس لإيداعها بسرعة خلف القضبان، كما في معاملة طائفة من المجذومين..

نعم إن العالم العربي اليوم مصح أمراض عقلية، يضم مجانين، بدون أسوار وأطباء وعلاج وقضبان حجز.

يقول المثل القوقازي: من يفقد وطنه يفقد كل شيء، بدون حبل سري ومشيمة ثقافية، يمشي فوق أرض بدون جاذبية.. فقد التوازن الخلاَّق، مكبّاً هائماً على وجهه، هل يستوي هو ومن يمشي سويّاً على صراط مستقيم؟ في ورطة من نوع محير فلا الشرق يعجبه، ولا الغرب يسعده، يعيش نفسيّاً في الأرض التي لا اسم لها!..

- **ما معنى تدفق المهاجرين العرب الى كل أصقاع الأرض يشكلون (١٠٪) من سكان مونتريال في كندا وهم لا يعلمون؟** يحلمون بجنة أرضية جديدة، بعد أن غادروا وطن تحول فيه بعضهم لبعض عدوّاً، بلجوء جوع إلى السويد وألمانيا، أو في سفن الموت وبطون الشاحنات إلى إسبانيا وفرنسا، أو الاستعداد للزواج من أي فتاة أجنبية للقفز معها إلى المجهول، هرباً من جمهوريات وممالك الخوف والجوع والبطالة، أو شراء جوازات سفر من الدومينيكان والأرجنتين بعشرات الآلاف من الدولارات بدون تواجد، في تحصيل جنسيات لعائلاتهم يأمنون بها على أنفسهم في الشرق المنكود؛ لعلها تنفع يوماً إذا زلزلت الأرض زلزالها!..

لو فتحت السفارة الكندية أبوابها لهجرة مفتوحة بدون شروط في أي عاصمة عربية، لزحف إليها كل إنسان بين (١٦) والـ (٦٠) عاماً، كأنهم جراد منتشر، مهطعين إلى الداع، يقولون: هذه فرصة لا تفوَّت!..

في فرار من سفينة تهوي في رحلة موجعة إلى قاع المحيط، بأسرع من غرق التيتانيك!..

المواطن العربي لا يتمتع اليوم بأي حصانة بما فيها الحاكم على رأس الهرم الاجتماعي، وفي قصة صدام المصدوم المشنوق عبرة.

فلا ضمانة لأي إنسان أو شيء في أي مكان أو زمان، في إحساس بالدوار، بدون أمل في معرفة الاتجاهات، معرضاً لهجوم أي حيوان ضارٍ، في غابة تتشابك فيها الأكواع، في وطن تفوح منه رائحة القلة والذلة، ويتنفس فيه الإنسان مع جزيئات الهواء أجهزة الأمن!..

مواطن بلا وطن، ليس عنده قوت يومه، غير آمنٍ على عياله، لا يعرف ماذا يحمل له المستقبل الأسود من هموم..

هل يحق للفأر أن يتشاءم إذا رأى يوماً قطة سوداء تتأمله؟..

المواطن العربي اليوم يعيش خارج إحداثيات التاريخ والجغرافيا، يحيا في ثقافة ميتة ودعت نبض الحياة، يعيش كي لا يعيش، لا يمر يوم إلا والذي بعده شر منه، في رحلة تَرَدٍّ لا تعرف التوقف، في حجم مشاكل أكبر من التطويق، فوق مستوى من بيده القرار والحل.

يتخرج فيه الطالب الجامعي بدون أمل في مرتب يوفر له سقفاً يظله، أو يمنحه إمكانية بناء عائلة، ينجب فيها أطفالاً سعداء، يثقون بأنفسهم وبالحياة، في مجتمع يمشي باتجاه كارثة محققة!..

لقد أصبح وضعنا مهزلةً للعالمين، في حجم النكتة بدون أن يضحك أحد.. ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١].

لقد عاش جيلنا كلّاً من الوهم القومي الثوري وحمى الحركات الإسلامية،

وانتهى الى إفلاس الاثنين معاً، في مؤشرات حادة أن حالة المريض تزداد سوءاً واختلاطاً، بدون دلائل انفراج في الأزمة.

لينشأ جيل (الصدمة) أخطر ما فيه شعوره أن العلم لا قيمة له ولا يدفع عنه مسغبة الجوع، في وقت تدفع فيه أرحام الجامعات شباباً عاطلين إلى شوارع مكتظة بالفقراء الغاضبين..

ليس غريباً أن ينشأ تيار أشد من المكنسة الكهربية، يشفط كل العقول والأموال، في تيار أطلسي أقوى من ظاهرة النينو، باتجاه ديمقراطيات تضخ أوكسجين الحياة في أدمغة محرومة، وتوديع ثقافة الاستبداد، من قوم يعيشون ويبايعون الخليفة العباسي الواثق باللّه من الركوب على ظهور العباد، لشعب ولد أخرسَ يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً!..

من يستطيع الهرب من الأوضاع، يبحث عن الخلاص الفردي، بين ركاب سفينة تغرق، يتخاطفون أطواق النجاة، يلقي أحدهم بنفسه في اليم وهو مليم، فإن لم يهلك هو، ماتت ذراريه في بطن الحوت الرأسمالي، ما لم يكن من قوم يونس، أو غرق في لجج ثقافة غربية، تضرب سفينتنا الغارقة بموج كالجبال.

يبدو أننا بحاجة لمعجزة، وليس أمامنا للنجاة في طوفان الحداثة إلا الانطلاق بمشروع بناء سفينة نوح من الفكر جديدة!..

ولكن المشكلة ببساطة أن نوح لا يعيش بين ظهرانينا، ونواجه مشاكلنا بخطب وأدعية من العصر المملوكي ودول الطوائف، وعقولنا مبرمجة في متاهات فئران التجربة، في قبضة مسلمات لا فكاك منها... نحتاج إلى ولادة جديدة من رحم امرأة عجوز عقيم في انتظار استنساخ أسطوري.

لقد تحول الوطن في أحسن أحواله في عين المهاجر إلى وقت قصير للاستجمام، مع كل مغامرة الدخول المحفوفة بالخطر، للتمتع بطقس جميل

لا فضل فيه للجهد البشري، واستعادة ذكريات الطفولة، يعيش الفرد أجمل لحظاته في الطائرة إلى الوطن وعند الخروج منه، عندما يكتشف بمرارة أنه لا يستحق أكثر من إجازة، فلقد كان فيما سبق وطناً، قد يتمنى أن يدفن فيه، ولكن لا أن يعيش فيه بحال!..

اجتمعت بعائلة سورية مهاجرة إلى كندا، أنفقت عليهما حكومتهما بسخاء ورجعا بأعظم شهادة جامعية متاحة، فلما رجعا إلى الوطن كانت المفاجأة أكبر من الصاعقة؛ فما لبثا أن حزما أمتعتهما بسرعة، وغادرا البلد في جنح الظلام، بعد عدة محاولات يائسة للبقاء!..

فلما اكتنفتهم الظلمات وشعرا أنهما يغرقان والعائلة، فارقا الوطن فراق غير وامق، في حالة ذهول، قد تبخرت من رأسيهما الأحلام الوردية، وتركا خلفهما الشهادات الكبيرة للوطن؛ فهما يتكسبان عيشهما اليوم في محل لبيع ملابس الأطفال، أو مأوى للعجزة بعد أن عجزا عن كل إصلاح.. في شهادة صاعقة عن مصير العلم في الوطن العربي الكبير.

❊ ❊ ❊

إضافة إيمانية

د. محمد عمارة

إن حقيقة الدعوة إلى الإسلام إضافة إيمانية - وليست - كالتبشير بالديانات الأخرى - انتقاصاً وكفراً وازدراء.. وكانت الأبواب التي تفتحت أمام الدعوة الإسلامية تاريخيّاً وحتى الآن دون إكراه.. أو عنف.. أو حتى «مؤسسة» للدعوة والتبشير بهذا الإسلام.

ولقد شهد لهذه الحقيقة عدد كبير من علماء الغرب، والخبراء في جميع الديانات وتاريخ هذه الديانات شهدوا على تميز الإسلام وتميز الدعوة إليه.. تميزه بالعقلانية، وتميز الدعوة إليه بالسلم والموعظة الحسنة..

فقال جورج سيل G. sale (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية: «لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم، وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعاً عظيماً»[١].

وقال سير توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) وهو العلامة الحجة في الاستشراق في دراسة السبل التي انتشر بها الإسلام، وصاحب الكتاب العمدة في هذا الميدان:

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص١٨٥، ترجمة: حسن إبراهيم، ود.عبدالمجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

«لقد قيل: إن جستنيان (٤٨٣ ـ ٥٦٥م) الإمبراطور الروماني: أمر بقتل مئتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان.. وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى الاضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الدينيين، بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية ـ حاضرة مصر وقتئذ ـ لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»[1].

«... ونستطيع أن نستخلص بحق أن القبائل العربية المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة شاهد على التسامح.

ولا شك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية، ومنذئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلاً من الجزية الصدقات الشرعية، وهي الزكاة التي كانت تفرض سنويّاً على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية.

ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة (الجزية) على المسيحيين ـ

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

كما يريدنا بعض الباحثين على الظن ـ لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة ـ وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين.

ومن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تُعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة «الجراهمة» وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار «أنطاكية»، سالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عوناً لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم على شريطة ألا تؤخذ منها الجزية، وأن تُعطى نصيبها من الغنائم.

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس سنة (٢٢هـ) أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية.

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية في حالة المسيحيين الذين عملوا في الجيش أو الأسطول في ظل الحكم التركي، مثال ذلك ما عُومل به أهل (ميغاريا Migaris) وهم جماعة من مسيحيي ألبانيا الذين أعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على جبال (Gerones Githaeron) التي كانت تؤدي إلى خليج كورنتة.

وكان المسيحيون الذين استخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركي لإصلاح الطرق وإقامة الجسور، قد أعفوا من أداء الخراج، ومُنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب، وكذلك لم يدفع أهالي (Hydre) المسيحيون من ضرائب مباشرة للسلطان، وإنما قدموا في مقابلها فرقة من مئتين وخمسين من أشد رجال الأسطول التركي كان ينفق عليهم من بيت المال في تلك الناحية.

وقد أُعفي أيضاً من الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية الذين يطلق عليهم: (Armloli) وكانوا يؤلفون عنصراً مهماً من عناصر القوة في الجيش التركي خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، ثم المرديون (Mirdites) وهم قبيلة كاثوليكية ألبانية كانت تحتل الجبال الواقعة شمال أسكدار (Scaturi) وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة في زمن الحرب.

وبتلك الروح ذاتها لم تقرر جزية الرؤوس على نصارى الإغريق الذين أشرفوا على القناطر التي أمدت القسطنطينية بماء الشرب، ولا على الذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة، نظراً لما قدموا للدولة من خدمات.

ومن جهة أخرى: أُعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين».



عالم الجوائز.. دلالات وطرائف

د. سعد البازعي

النشاط البحثي الذي قد يقوم به أي منا للتعرف على قضية ما تشغله أو يريد الكتابة حولها أو تقديم تقرير بشأنها، أو ما إلى ذلك، هو بصفة عامة نشاط ذاتي أو شخصي، نشاط تأتي دوافعه من الداخل والخارج معاً لكنه في النهاية يتشكَّل عبر رؤية ذاتية ويصطبغ بصبغتها.

لكن من النشاط ما لا علاقة له بالهم الذاتي وإنما يأتي من خلال تكليف وظيفي أو أكاديمي أو مؤسسي يخدم مصلحة تختلف عن مصلحة الباحث، ولا شأن له برؤية ذلك الباحث.

ومع أنني أبعد ما أكون عن هذا اللون الأخير من البحث، فقد وجدت نفسي أكثر من مرة أقوم بنشاط بحثي يقتضيه مشروع مؤسسي عام.. في البدء لم يكن ذلك النشاط محل ترحيب كبير بالنسبة لي، لكنني كنت في المرة تلو الأخرى أحمد للظروف أن وضعتني في ذلك الموضع لأطلع على جانب من النشاط الإنساني الذي لا يستهويني عادة أن أتابعه أو أطلع عليه، تماماً مثل أن تفتح الموسوعة وتقرأ في مجال من المعرفة أبعد ما يكون عن اهتماماتك، أو مثل أن تبحث ـ كما فعلت ـ في تاريخ الجوائز الثقافية والعلمية.

كان ذلك أثناء العمل على الاستراتيجية الوطنية السعودية للثقافة، والحق أنني استمتعت بالنتائج بقدر ما أفدت منها، فالموضوع على قدر كبير من الطرافة إلى جانب أهميته وجديته.. وسآتي إلى الطرائف حالاً، لكن قبل ذلك تأتي جدية المسألة، فالجوائز ذات أبعاد دالة على طبيعة الثقافة ومستواها في البلد أو المنطقة التي تمنح الجوائز أو لا تمنحها.

فقد تبين لي أن ثمة تناسباً طرديّاً بين عدد الجوائز ونوعها من ناحية، والمستوى الحضاري العام للبلد الذي يمنح تلك الجوائز، أي كلما كثرت وتنوعت الجوائز دل ذلك ـ في الغالب ـ على ارتفاع مستوى التحضُّر في البلد المانح.

لكن من ناحية أخرى، يتبين أن الجوائز ليست دائماً كائنات بريئة لا علاقة لها بالمصالح والخطابات الأيديولوجية والتوجُّهات السياسية أو الاقتصادية.. وهنا ينبغي التفريق بطبيعة الحال، لكن الكثير من الجوائز وضعت لخدمة أهداف لا علاقة لها بالطابع الثقافي أو العلمي.. ولعل جائزة نوبل ـ في جانبيها الاقتصادي والأدبي بشكل خاص ـ تدخل في هذا الحيز بكل ضخامة ووضوح؛ فكم عالم اقتصادي كبير حرم من الجائزة لمواقفه أو لرؤاه السياسية أو لفلسفته الاقتصادية! وكم من كاتب ـ والمقصود به هنا الروائي والشاعر والمسرحي وليس أي كاتب ـ حرم منها على الرغم من تفوقه المشهود به.

ومما تبين لي من البحث أنه في الدول التي تلعب فيها الحكومات دوراً رئيساً في حياة الناس وفي التنمية أو تملك معظم الثروة فإن الجوائز تكون ذات طابع حكومي (جوائز دولة وما إلى ذلك)، في حين أنه في الدول الرأسمالية، أو الدول الغربية المتطورة، تأتي الجوائز من مؤسسات أو جهات خاصة أو من أفراد، وهنا نأتي إلى الجوانب الطريفة في عالم الجوائز.

لعل أكثر ما يلفت النظر في الجوائز الثقافية الشهيرة في الغرب هو ارتفاع قيمتها المعنوية قياساً إلى قيمتها الماديةٰ ففي فرنسا التي يقال: إنها أكثر الدول منحاً للجوائز تعد جائزة «الغونكور» هي الأشهر أدبياً، ولكن قيمة هذه الجائزة المادية لا تتجاوز العشرة دولارات! وكان مؤسس الجائزة شقيقين من كتاب الرواية سميت الجائزة باسمهما بعد أن أسسا أكاديمية غونكور عام (١٨٦٧م) على إثر ثروة ضخمة ورثاها.. الطريف هنا ليس القيمة المادية فقط وإنما كيفية عمل اللجنة المانحة؛ فهي تجتمع سنويّاً في مطعم باريسي يقال له: «دروانت» لتختار الفائز، ولا أدري ما السر في ذلك! لكن المهم هو أن العشرة دولارات التي يسفر عنها ذلك الاجتماع سريعاً ما تتحول إلى مئات الآلاف نتيجة المبيعات المترتبة على المنح، أي: إن الجمهور القارئ شريك في المكافأة، كأن اللجنة تقول للناس: كافئوا فلاناً فروايته رائعة.

كما أن من طرائف الجوائز وهامها أيضاً جائزة تُمنح في ألمانيا لـ «اللغويين الشبان» منذ (١٩٧٩م) لتشجيعهم على تعلُّم اللغات الأجنبية، والمقصود بهؤلاء ـ كما يتضح ـ هم الشبان المهتمون باللغة تعلماً ودراسة وليس المختصين بها من العلماء؛ فالجائزة تنقسم إلى عدة فروع تشمل عدة لغات هي: الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والإسبانية والإيطالية والروسية واليابانية والصينية.

وأظن القارئ قد تفرَّس الآن في اللغات ولاحظ غياب «العربية» منها! هذا مع أن ألمانيا هي أبرز بلاد الاستشراق والاستعراب. لكن الذي يبدو هو أن العربية لم تعد بما كانت عليه من أهمية؛ فلا جوائز لمتعلمي العربية؛ لأن العربية لم تعد ذات أهمية! وكيف يهتم بها الأجانب إذا كان العرب أنفسهم يتخلون عنها؟! ومع ذلك فإن مما يخفف الهم قليلاً أن العربية

ليست الوحيدة المستثناة؛ فمعها لغات شرق أوسطية كان لها مجدها أيضاً: كالفارسية مثلاً؛ فكثيرون في كثرة الهم سواء، والجوائز لا تعكس مستوى البلاد المانحة فحسب وإنما قد يستشف منها مستوى البلاد واللغة التي لا يشمل ثقافتها المنح.

هذه الإشارة الأخيرة ستأخذ بنا مرة أخرى إلى الجائزة الأشهر عالميّاً دون منازع، وهي نوبل، فمعظم الجوائز المشار إليها، بل معظم التي قادني البحث إليها، ليست دولية وإنما محصورة في البلاد المانحة!!.

ولعل من التعميمات التي كرستها السنوات الأخيرة هي أن نوبل تنقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول: جوائز العلوم**: ومعظم هذه ـ إن لم يكن كلها ـ للغرب، فقلما نالها عالم غير غربي (حتى غير العرب مثل أحمد زويل نالوها لأنهم تعلموا في الغرب). أما **القسم الثاني**: فتقع فيه **جوائز الأدب** التي يذهب معظمها للغرب وقليلها لغيره؛ لتبقى بعد ذلك **جائزة السلام** حيث تتساوى الجهات الأربع، أو تكاد.

والملاحظ عربيّاً أن الإعلام العربي والمؤسسات العربية المختلفة لا ترشح أحداً لجوائز العلوم، كأننا قد حسمنا أهليتنا للفوز بجائزة علمية، فالموضوع مسكوت عنه تماماً.. كما أن لا أحد ـ حسب علمي ـ يتحدث عن عرب يستحقون جائزة السلام، مع أن اثنين من السياسيين فازوا بها.

نبقى مع جائزة الأدب التي تمثل غصة عربية حقيقية؛ فنحن أمة لم يبق لها الكثير من التراث العظيم المتواصل سوى الأدب.. لم نعد ننتج الكثير من العلم المنافس، والسلام الذي ننتج ليس منافساً أيضاً، لكننا بالتأكيد ننتج أدباً منافساً، والأدب مسألة تتجاوز مستوى البلاد الحضاري العام، فتولستوي ودوستويفسكي عاشا في روسيا متخلِّفة.. وقد مضى على فوز محفوظ ما يزيد على العقدين، ونحن نؤمل في كل عام أن يفوز شاعر

أو روائي بها، وفي كل عام «حين يعشب الثرى نجوع» كما قال السيَّاب عن العراق.

ولعل من أطرف ما يقال هنا ما قرأت في إحدى الصحف العربية مؤخراً من أن بعض العرب رشح باحثين ونقاد أدب من العالم العربي للجائزة، كأننا قد يئسنا من فوز المرشحين الدائمين (أدونيس، مثلاً) فلم يبقَ سوى من لا حق لهم أصلاً بالترشيح.

أما الأكثر إمعاناً في الطرافة فهو أن أحد أولئك «المرشحين» لم يستبعد نفسه إلا من قبيل عزوفه عن البحث عن الشهرة، فيا لعجائب نوبل!..

* * *

أزمة كفاءات

د. عبد الكريم بكار

حين يتحدث الناس عن أزمة؛ فإن من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في تاريخ تلك الأزمة وفي أسبابها وحجمها والمخرج منها.. وما ذلك إلا لأنهم ينظرون إلى الوضع من زوايا مختلفة، ويستخدمون مفاهيم ومعايير متباينة، وإن مـن سنن اللّه تعالى أن كثيراً من الأشياء يكون في مرحلة من المراحل عبـارة عن أمنية وحلـم، وإذا به في مرحلة تالية يتحـول إلى عبء ومُشكِل، وعلـى كل حال فإن الحديث عـن الأزمات يُعدُّ شيئاً إيجابيّاً؛ لأننا في الغالب لا ندرك أن هناك أزمة إلا من أفق ما لدينا من حلول لتلك الأزمة، حتى إن من الممكن أن يقال: كلما نضجت الحلول المطروحة لمشكلة من المشكلات تحسَّنت بصيرتنا في رؤيتها، وقوي الإجماع على الحكم بوجودها..

إن وجود الأزمات في حياتنا شيء مألوف، والعالم عبر التاريخ تقدَّم من خلال الأزمات أكثر من تقدُّمه من خلال الرخاء؛ وللّه تعالى في خلقه شؤون.

نحن نعرف أن الدعاة والمثقفين المسلمين عامةً دخلوا مجال الإعلام فـي وقت متأخـر نسبيّـاً، وكان تأخُّرهم الأكبـر في الدخـول إلى الإعلام المرئـي، وذلك لعـدد من الأسبـاب المتنوعة، ونحن نشاهـد اليوم توجُّهاً

واضحاً إلى إنشاء الفضائيات الإسلامية، وهذه ظاهرة تبعث على الاغتباط ـ في الجملة ـ وكأن الناس أدركوا أنهم فرَّطوا في الماضي في هذا الشأن، فأخذوا يعوِّضون اليوم عن ذلك، ويستدركون شيئاً مما فاتهم.

التلفاز صناعة غربية، ولم يتم إنشاؤه في الأساس من أجل التعليم، وإنما من أجل الترفيه وملء أوقات الفراغ بشيء مسلٍّ، ومن هنا فإن استخدامه في الدعوة يحتاج إلى مهارة وكفاءة وإبداع..

الأزمة التي تلوح في الأفق الآن تتمثل في حاجة عشرات الفضائيات الإسلامية إلى متحدِّثين من الطراز الرفيع؛ حتى يتمكنوا من جذب المشاهدين لمتابعة تلك الفضائيات.

والذين يُحسنون التحدث إلى الناس في الإعلام المرئي دائماً قليلون؛ بسبب حساسية هذا النوع من الإعلام وقسوة شروط النجاح فيه.

وإذا تأمَّلنا في أحوال كثير من الفضائيات الإسلامية؛ فإننا سنجد أنها تعاني من ضعف الميزانيات، حيث إن أثرياء المسلمين لم يكتشفوا بعدُ أهمية التحوُّلات الاجتماعية التي يُحدثها الإعلام اليوم، وهذا الضعف في التمويل أدَّى بالطبع إلى ضعف الأجهزة الإدارية وإلى العجز عن اجتذاب الكفاءات الإسلامية المتوفرة، وهي على كل حال شحيحة، وهذا سيضطر كثيراً من القنوات إلى أن تخفض شروطها ومواصفاتها في جودة المعروض وفي سويَّة المتحدِّثين، بل إن تلك القنوات دخلت فيما يشبه الحلقة المفرغة؛ فهي تحتاج إلى المشاهدين كي تحقق أهدافها في نشر الدعوة، وهي في حاجة إليهم حتى تجتذب المعلنين التجاريين الذين سيدفعون المال المطلوب لاستمرار القنوات في عملها.

واجتذاب المشاهدين لا يتم إلا من خلال تميُّز ما تقدِّمه القنوات وعلوِّ مستواه، وهذا يحتاج إلى مال، فوقع الدور؛ كما يقول المناطقة.

إن المتحدِّث حين ينتمي إلي تيار معين؛ فإن إخفاقه يسيء إلى سمعة ذلك التيار، ويشوِّه الصورة المنطبعة عنه في أذهان الجماهير، وهذا ما يحدث الآن؛ حيث إن بعض المتحدثين في الفضائيات يحاولون التأثير في الناس عن طريق الإغراق في الحديث بالعامية واللهجات المحلية، وبعضهم يحاول ذلك عن طريق التنميق اللفظي المجوَّف من الأفكار والمعاني العظيمة، وبعضهم يعمد إلى سوق الحكايات والغرائب... والقادم أعظم!..

إن من المهم أن ندرك أن الإنسان كائن مستهلك، يستهلك الأفكار والأساليب والأشكال.. كما يستهلك الأغذية والملابس، أي: إن المتحدث الذي يثير إعجاب الناس اليوم قد لا يستطيع إثارة إعجابهم غداً؛ إلا إذا تجدَّد هو، أو قُلْ: استمرَّ في التجدُّد.

ما العمل؟..

لا نستطيع بالطبع أن نحصل على حلول مثالية في بيئة غير مثالية، لكن تظل هناك فرصة لعمل شيءٍ ما.. ومما يمكن عمله الآتي:

١ - التركيز على الكيف، وليس على الكم؛ إذ إن بثَّ قناة مدة ست ساعات من البرامج الممتازة خير من بثِّ برامج هزيلة على مدار الساعة.

٢ - نحن نريد أن يتجه من يريد الانخراط في الإعلام المرئي إلى أن يفكر في إمكانية فتح مؤسسة للإنتاج الإعلامي عوضاً عن إنشاء فضائية، حيث إن التكاليف أقل، والحاجة إليها ماسَّة.

٣ - يشكل التدريب أحد الحلول لندرة الكفاءات، وربما صار المطلوب أن يُقدَّم لمتحدث الفضائية نوع جديد من التدريب، هو التدريب الفكري، أي: العمل على ارتقاء المضمون الذي يطرحه المتحدث وطريقة صياغته الداخلية وإثرائه بالمحاكمات العقلية النيِّرة، وهذا غير مألوف لدينا، لكن يبدو أنه لابد من الصيرورة إليه.

٤ - الإبـداع في البرامج والإبـداع في المعالجة والإبـداع في فهم الذائقة الثقافية للمشاهد والتلاؤم معها.. كل هـذا مما تمسُّ إليه الحاجة، وقد يكون من الملائم أن تعلن فضائية أو مجموعة فضائيات إسلامية عن جائزة سنوية تُعطَى لأفضل البحوث التي تساعد على تطوير البثِّ الفضائي الإسلامي.

الانتباه إلى وضعية الإعلام المرئي اليوم من الأمور المستعجلة التي لا تحتمل التأخير، والتعاون في سبيل معالجة هذه الوضعية مطلوب من كل القادرين عليها. والله المستعان.



لقد ربح البيع

أ.د. عبدالمنعم الطائي

يعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية أحياناً مفردات البيع والشراء في قضية الانتماء الديني، بعد رفعها من عالم الأشياء إلى فضاء العقائد والأفكار.. ونستمع إلى رسول الله (ﷺ) وهو يقول لصهيب الرومي الذي بذل أمواله في سبيل الله: «**لقد ربح البيع**»..

ونقرأ في كتاب الله: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦].

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٧].

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥].

ونجد أنفسنا ونحن نعاين المنظور الإسلامي للمسألة أمام مستويين:

المستوى الأول: معني بالشهادة في سبيل الله، وهي قمة الصفقات التي يتحقق معها للإنسان الربح الأكبر..

أما **المستوى الثاني** الذي أريد أن أقف عنده في هذا المقال فيتعلق بالتعامل مع المفردات الإسلامية على إطلاقها.

ذلك أن التزام المسلم بأية مفردة من مفردات دينه على الوجه المطلوب، ينطوي بالضرورة على صفقة رابحة بالمعيارين الدنيوي والأخروي معاً؛ فليس ثمة حلقة أو ممارسة في هذا الدين، عقدية، أم تشريعية، أم تعبدية، أم سلوكية، إلاّ وهي تَعِدُ بالربح الوفير والمردود السخي في الدنيا والآخرة..

والذكي من يعرف كيف يتعامل مع الظاهرة ويكسب الصفقة..

إن الصلاة نفسها، هذه التي توحي بأنها صلة روحية مجردة بين العبد وربه، تنطوي على مردود دنيوي مترع بالفوائد والمصالح.. إنها على المستوى الصحي، ترغمنا على أن نتحرك، ونحن نتجه إلى المساجد مرات عديدة، ذهاباً وإياباً، أو ونحن نؤدي الصلاة وفق حركة رياضية مرسومة يعرفها الأطباء جيداً كما أنها ضرورية للإنسان بين الحين والحين.. وهي على المستوى النفسي، محطات للاسترخاء (الريلاكس) وترك العمل وما ينطوي عليه من شد ذهني ونفسي وجسدي، دقائق معدودة تمكّن الإنسان من استئناف نشاطه بعد أن يكون قد استجمّ قليلاً.. ونحن نتذكر جميعاً النتيجة التي خلص إليها العالم الأمريكي (ديل كارنيجي) في كتابه المعروف (دع القلق وابدأ الحياة)؛ وهي أننا إذا أردنا أن نطيل أعمارنا ـ هكذا يقول ـ وأن نحافظ على صحتنا سوية، ونحمي قلوبنا من الإجهاد المتواصل الذي قد يقودها إلى العطب، فإن علينا كلما بلغنا حافة الإعياء، أن نكف عن العمل، وأن نسترخي دقائق معدودات.

على المستوى الاجتماعي، تبدو الصلاة فرصة رائعة لتعميق التعارف بين أبناء الحي الواحد، أو الأحياء المتجاورة، وتوثيق علاقاتهم الاجتماعية بكل ما ينطوي عليه ذلك من مردود لكل الأطراف.

وما يقال عن الصلاة يمكن أن يقال عن الصوم الذي تلتقي عنده منافع الروح والجسد على السواء، أو الحج الذي يتجاوز حدوده التعبدية الصرفة؛ لكي يغدو مؤتمراً عامّاً تجتمع عنده النخب والقيادات الإسلامية؛ لتبادل الرأي في شؤون الأمة وهمومها.

المفردات كثيرة، وكلها صممت لكي لا يكون في نسيجها أي تعارض أو تضاد، بأية درجة كانت، بين الروحي والجسدي، وبين التعبدي والمنفعي؛ لأنها من تصميم اللّه سبحانه القائل في محكم كتابه: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

إنها صفقة رابحة بكل ما في الكلمة من معنى، ويأسف الإنسان لأولئك المغفلين الذين فوّتوا الفرصة على أنفسهم..

وهاهنا تلحّ عليّ مسألة تبرّج المرأة باعتبارها صفقة خاسرة بكل المعايير.. إنها تحوّل جسدها إلى سلعة رخيصة، قد تقود معظم الباحثين عن الزواج إلى النفور منها، والبحث عن الفتاة المحجبة التي هي أصلح بكثير للسكن والذرية الصالحة اللذَين هما هدف الزواج.. إنها بتبرّجها قد تخسر فرصتها في الزواج، وهي خسارة لا تكاد تذكر إزاء الخسارة الكبرى يوم الحساب، إذ يكتب عليها ألاّ تشم رائحة الجنة على مسافة سبعين خريفاً.. وهو عقاب مرعب لا يحتاج إلاّ إلى قدر محدود من الذكاء لتجاوز ويلاته.. ولكن أين القلوب التي تحس والعقول التي ترى؟..

وثمة أخيراً وليس آخراً ما كنت أقوله دائماً لطالباتي في الجامعة: **إن التي اعتادت ألاّ تأتي إلى الجامعة إلاّ بعد أن تضع المكياج على وجهها،**

إنما تلحق بنفسها من حيث تدري أو لا تدري أكثر من خسارة!..

- إنها تخسر ما يقرب من نصف ساعة يوميّاً، كان يمكن أن تعينها على الدرس..
- وتخسر مبلغاً من المال، هو قيمة هذا الذي تنفقه على تزيّنها..
- وتخسر صحتها بهذا الكم اليومي الكبير المسفوح على وجهها، وهو كله من المستحضرات الكيمياوية التي يحذّر منها الأطباء، والتي تقود البشرة إلى التغضن في فترة مبكرة..
- ثم ـ وهذه هي الخسارة الكبرى ـ إنها وقد تعطّرت للآخرين سيكتب عليها ألاّ تشم رائحة الجنة على مسافة سبعين خريفاً، بالمعيار الزمني الكوني، وليس الأرضي بطبيعة الحال.. فأية صفقة بائسة هذه؟!..

❊ ❊ ❊

هاري بوتر يفجِّر نفسه

ياسر سعيد حارب

كنت قبل عدة أشهر في متحف اللوفر الشهير في باريس، حيث أحرص في كل زيارة لي لهذه المدينة الجميلة أن أعرج على اللوفر لأكتشف فيه شيئاً جديداً في كل مرة، حتى الأعمال الفنية التي سبق وأن رأيتها من قبل أجد فيها شيئاً جديداً، فاللوحة التي تمثل تنصيب نابليون بونابرت إمبراطوراً على فرنسا على سبيل المثال تقول الكثير وتخفي الكثير خلف وجوه معظم الذين حضروا ذلك الحفل الذي قام فيه البابا بتنصيب نابليون، ولكن يصعب على الناظر إلى اللوحة أول مرة أن يقرأ جميع الرسائل المخفية التي تحويها.

إلا أن أجمل ما في اللوفر ليست قاعاته الشاسعة بما تحويه من أعمال فنية ولوحات جدارية، بل الأطفال الذين لا تكاد تخلو قاعة من شغفهم لمعرفة كل شيء؛ ففي اللوفر شاهدت مجموعة من طلبة المدارس جالسين على الأرض يستمعون إلى شرح المرشدة التي كانت برفقتهم عن بعض الأعمال الفنية، وكانت تلك المرشدة تختبر معلوماتهم وهم يتنافسون في الإجابة على أسئلتها، حتى بدوا وكأنهم إحدى لوحات ليوناردو دافينشي التي تحيِّر كل من يتمعَّن فيها.

عندما رأت المرشدة التي كانت معنا الدهشة والإعجاب على مُحيَّانا قالت لنا: إن زيارة اللوفر جزء رئيس من أنشطة المدارس الفرنسية منذ عشرات السنين، وإن على كل طفل أن يلخص ما رآه في اللوفر ويقدمه كفرض مدرسي إلى معلمته، وعليه أيضاً أن يتحدَّث لزملائه عندما يعودون إلى المدرسة عن عمل فني واحد بلغته البسيطة ودون الخوض في تفاصيل العمل وجمالياته... فالهدف من هذا النشاط هو زرع حب الثقافة وتقديرها لدى الأطفال وليس اختبار ذكائهم.

وقبل مدة شاهدت في لندن دعايات عرض فيلم «هاري بوتر» الذي أصبح على مر السنين ماركة عالمية مسجلة لكاتبته «جوان رولينغ» التي كانت معدمة في يوم ما وأصبحت اليوم من أغنياء العالم المشهورين، حيث بيع من روايات بوتر أكثر من (٣٢٥) مليون نسخة حول العالم، وترجمت الروايات إلى أكثر من (٦٣) لغة وبلغت أرباحها أربعة مليارات دولار، ووصل الإقبال على شراء الروايات إلى درجة أن دار (Bannes & Noble) الشهيرة تلقت أكثر من خمسمئة ألف طلب شراء للنسخة الأخيرة من الرواية على موقعها الإلكتروني قبل أشهر من طرحها في الأسواق.

لقد أحدث هاري بوتر تأثيراً كبيراً على ثقافة الطفل في مختلف بلدان العالم، ففي تقرير القراءة الخاص بالأطفال والأسر الذي تعده مؤسسة «يانكي لوفيتش» تبين أن (٥١٪) من قراء هاري بوتر الذين تقع أعمارهم بين الخامسة والسابعة عشرة قالوا: إنهم لم يقرؤوا كتباً للتسلية قبل بوتر، كما تبين أن (٦٥٪) من الطلبة الذين قرؤوا إحدى روايات بوتر تحسَّن مستواهم الدراسي في المدرسة.

وتقول الدراسة: إن رغبة الأطفال للقراءة بشكل عام تنخفض عندما يتخطون سن الثامنة، إلا أن قراء بوتر زادت رغبتهم في القراءة والاطلاع

بعد هذه السن، بل إنها ظلت في ازدياد مع مرور الوقت، وبعد صدور الجزء الأخير من الرواية قال أكثر من (٥١٪) من محبيها: إنهم سيبحثون عن كتب أخرى ليقرؤوها.

أما بالنسبة للتحصيل الدراسي فإن الدراسة قد أظهرت أنه أكثر من نصف قراء بوتر ارتفعت درجاتهم بشكل مطّرد مقارنة بزملائهم الذين لم يقرؤوا الرواية، بالإضافة إلى أن قدرات هؤلاء الطلبة اللغوية قد تحسنت بشكل ملحوظ جدّاً، حتى إن مؤشر الثقة بالنفس الذي تقيسه المدارس قد ارتفع لدى الطلبة الذين قرؤوا بوتر، حيث ارتفعت نسبة المؤشر إلى أكثر من (٨١٪) لدى هؤلاء الطلبة الذين عندما سئلوا عن نظرتهم لأنفسهم قالوا: إنهم أصبحوا قادة.

وفي استبيان لذوي الأطفال الذين قرؤوا إحدى روايات بوتر قال (٨٩٪): إن أبناءهم وبناتهم أصبحوا يحبون القراءة أكثر من ذي قبل، وأصبحت القراءة إحدى المتع التي يقومون بها في أوقات فراغهم.

وفي مقابلة مع مجموعة من الأطباء في مستشفى «جون رادكليف» في أوكسفورد قالوا: إنه في يومي السبت (١١ يونيو ٢٠٠٣م و١٦ يوليو ٢٠٠٥م) وهما يوما إصدار جزأين من رواية هاري بوتر كان عدد حالات الأطفال الحرجة التي أتت إلى المستشفى (٣٦) مقارنة بمتوسط عدد حالات الأطفال التي تأتي أيام السبت الأخرى والتي تبلغ (٦٣) حالة.

لقد ألهم هاري بوتر العالم وصنع مجتمعات جديدة، فخرجت فرق موسيقى تحمل أحد أسماء أبطال بوتر أو طريقة لباسهم أو غير ذلك من المظاهر التي وصفتها الرواية وأظهرها الفيلم، وأضاف هاري بوتر مصطلحات جديدة في قاموس أوكسفورد العريق، وفرض على تصنيف (New York Times) للكتب طرح قائمة جديدة ـ مما يعده البعض تغيّراً

جذريّاً في عالم النشر ـ خاصة بكتب الأطفال، وقامت بعض الجامعات كجامعة كاليفورنيا بطرح مادة دراسية عن روايات بوتر كأحد أساليب الأدب العالمي الحديث.

لقد أعاد هاري بوتر الثقافة والقراءة إلى حياة الأطفال ووضعها على سلَّم أولوياتهم، حتى بدأ العديد من الأطفال يقرؤون الرواية لكي لا يشعروا بأنهم من كوكب آخر ـ على حد تعبيرهم ـ ولكي لا يصبحوا غرباء بين زملائهم.

عندما أعلن ناشر الرواية عن عزمه طرحها في الأسواق اصطفَّ الناس أمام المكتبات لمدة ثلاثة أيام حتى يحصلوا على نسخها الأولى، ونام بعضهم في الشوارع كأنهم مشرَّدون... وعندما طرح باولو كويلو روايته «الزهير» قبل سنتين تعطَّل المرور في شوارع باريس بسبب ازدحام الناس أمام المكتبات لشراء النسخ الأولى...فلماذا يقرأ هؤلاء الكتب ونكتفي نحن بمشاهدة الأفلام؟ ولماذا يزرعون في أبنائهم حب الاطلاع والثقافة ونزرع في أبنائنا عبوات ناسفة؟ ولماذا لم يفجّر هاري بوتر نفسه عندما اختلف مع زملائه؟..



لماذا لا يستطيع الإسلاميون العيش في بلادهم؟!

د. توفيق الواعي

سؤال يحمل التاريخ إجابته على مرِّ الأيام.. لماذا لم يستطع المصلحون الاستقرار في بلادهم، أو العيش في أوطانهم، أو الهناء في ديارهم؟! رغم أنهم في شوق إليها، وعشق لها، وحدب عليها، ولله درُّ شوقي حين قال:

وطني لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه ... نازعتني إليه في الخلدِ نفسي
شهدَ الله لم يغبْ عن جفوني ... شخصُه ساعةً ولم يخلُ حسِّي
أحــرامٌ علـى بلابلـه الــدَّوْحُ ... حلالٌ للطير من كل جنس؟!
يـا فــؤادي لـكلِّ أمــر قــرارٌ ... فيه يبدو وينجلي بعد لبس

أيكون هذا لضيقٍ في أفق البعض، أو لضلالٍ في عقول الآخرين، أو لتسلُّطٍ وفسادٍ في سيَر الفراعنة والجاهلين؟!.. ولهذا نرى بلالاً بعد أن أُخرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بــوادٍ وحولـي إذخــرٌ وجليلُ؟
وهـل أردن يـومًا مـياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيلُ؟

وحين سمع رسول الله ﷺ وصف مكة من الصحابي أصيل الغفاري اغرورقت عيناه بالدموع، وقال: «**يا أصيل.. دع القلوب تقرّ**» وما خرج أصيل وإخوانه من مكة لذنبٍ أو جريرةٍ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وما أُخرج آل لوط من قُراهم إلا لأنهم أبَوا الفساد والظلم واقتراف المنكر: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وهو الحديث نفسه الذي سمعه الرسول ﷺ من ورقة بن نوفل؛ إذ قال له: «ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك»، فقال له ﷺ: «**أوَمُخرِجيَّ هم؟**» قال: «نعم.. لم يأتِ رجل بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يأتني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا».

والمفترض أن تفرح الشعوب ببنيها النابهين، وبرجالها الناهضين، فإذا لم تكن على فكرهم أو على منهجهم فالديار تسع الجميع، والأوطان تحتضن هذا وذاك، وصدق القائل:

لعمرُك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلِهَا ... ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

وفي القرن العشرين تبحث البلاد التي تسكن فيها أجناس عدة ومذاهب شتى عن وسائل للعيش في رحاب وطن واحد، وأساليب للتفاعل في ديار واحدة، وحسّب الإنسان نظامٌ يضمن الحقوق والكرامة والعيش الهنيء للجميع، ومن بَحَث عن شيء وجده، ومن أراد شيئًا عثر عليه، خاصةً إذا كان زمن الإخراج قد ولَّى، وأوقات الإرهاب والعسف قد ذهبت في الشعوب المتقدمة إلى غير رجعة.

فعندما زار رئيس أساقفة كانتربري السابق «جورج كاري» لبنان في الصيف الماضي، قال في ندوة نظَّمتها اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار، عُقدت في دار الفتوى في بيروت: «إن الغرض من زيارته هو الوقوف عن كثب على التجربة اللبنانية في العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين».

هذا، ويقدَّر عدد المسلمين في بريطانيا بحوالي مليونين ونصف المليون ينحدرون من أصول مختلفة: هندية، وباكستانية، وعربية، وإيرانية، وإفريقية، وتواجه دول أوروبية أخرى وضعًا مماثلاً؛ ففي فرنسا مثلاً يقدَّر عدد المسلمين بخمسة ملايين، وعن قريب يبلغ عشرة ملايين، أما في ألمانيا فإن معظم المسلمين ينحدرون من أصول تركية.

واستنادًا إلى ما ذكرته مجلة «نيوزويك» الأمريكية في عدد (٢٥ مايو ١٩٩٥م)، فإن عدد المسلمين يزيد على عدد اليهود والمسيحيين البروتستانت معًا في الدول الكاثوليكية: فرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا، كما توجد جماعات إسلامية متنوعة الأصول والأعراق في الدول الإسكندنافية: السويد، والنرويج، والدانمارك؛ الأمر الذي لفت نظر الغرب بصورةٍ عامة لعقد المؤتمرات والندوات، وإعداد الدراسات المختلفة حول الإسلام وأهله، وحول آفاق ومستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب.

وفي هذا الإطار نظَّمت مؤسسة «ويلتون بارك» التابعة لوزارة الخارجية البريطانية بالتعاون مع مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية مؤتمرًا في لندن بعنوان: «الإسلام والغرب»، شارك فيه اختصاصيون من الدول الغربية والإسلامية.

واستهلَّ المؤتمر وزير الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية «بيتر هين» بمحاضرةٍ عنوانها: «الإسلام والغرب.. المصير المشترك في المصالح

والقيم»، لاحظ فيها الوزير البريطاني أن مدينة لندن مثلاً أصبحت عالميةً؛ لأنها تضم أكثر من (٢٥) جنسيةً، وأن الإذاعة البريطانية تقدِّم برامجها الداخلية بخمس عشرة لغة، وأن بريطانيا أصبحت دولةً متعددة الثقافات والأجناس والأديان.

ثم أعرب الوزير البريطاني عن اعتقاده بأن «ذلك يوفِّر لنا فرصًا لنتعلم من بعضنا البعض»، متمنيًا أن تسود قيم الإسلام، مثل مركزية الأسرة وأهمية الثقافة الأخلاقية؛ من أجل إقامة مجتمع صحي ومزدهر.

وقال الوزير: «إن البعض يفترض أن يكون هناك نزاع وصراع للحضارات، ولكن علينا أن نشير إلى أن العلاقة القائمة بين الدول الإسلامية وبيننا تجعلنا نوضح أنه إذا وجدت مشكلة في بلد إسلامي أو منطقة إسلامية، فإن ذلك لا يعني بشكل من الأشكال أنها بالضرورة مشكلة إسلامية».

أما عن المصالح المشتركة، فقد أبرزت الدراسات التي قُدِّمت إلى المؤتمر أن قيمة استثمارات المسلمين العقارية في منطقة لندن بلغت في عام (١٩٩٨م) ما يعادل (٢٠٪) من السوق، وأن في لندن (٣٦) مصرفًا عربيًّا، إضافةً إلى (١٠٠) مؤسسة مالية إسلامية، كما أن معظم الدول الإسلامية تودع مخزونها الذهبي في البنك البريطاني، وأن حجم اقتصاد الدول الـ(٥٧)، التي تتألف منها منظمة المؤتمر الإسلامي، يزيد على (٢٠٠) ألف مليار دولار، ويقدَّر حجم الودائع المالية التي تتحرك على أساس الشريعة الإسلامية بحوالي (٩٠) مليار دولار وتنمو بنسبة (١٥٪) سنويًّا، وذلك يجعل السوق البريطانية تعمل على استقطاب هذه الودائع المالية.

وبعد.. هذا في الغرب الذي يحاول أن يستوعب المسلمين والإسلاميين، في حين تطاردهم بلادهم وهي على دينهم وجنسهم، ولا تستطيع الاستفادة

منهم، ولهذا انعدم الأمن والأمان، وتمزَّق الجسد المسلم، وطارت الأموال ووصلت إلى بلاد الغرب، وما هذا إلا لأنها طوردت في بلادها، وأُمِّمت في ديارها، ونُهبت في أوطانها، فحطَّ الفقر، وعشَّش الغراب، وولَّت الكفاءات أو سُحقت، وما هذا إلا لأنهم يعملون لديارهم، ونحن نعمل لذواتنا وشهواتنا، وقد يكون لأمورٍ أخرى، والله أعلم.

نسأل الله السلامة، آمين.. آمين.



الترحال

د. عبد الله محمد الغذامي

يبدو الإنسان وكأنما هو كائن مهاجر بالضرورة، وإن كنا ننسب إلى العرب فكرة الترحال، وهو ما يطبع الشعر العربي والذاكرة العربية، فإن السمة البشرية ـ عموماً ـ هي في الترحل الأبدي، وبسبب الترحال تم كشف أمريكا، وكشف الجزر والمحيطات، مثلما هو شأن الطيور والأسماك التي تظل تهاجر وتترحل، وإذا لم يترحل الإنسان حسيّاً فإنه يترحل في خياله، وجاءت قصص بساط الريح، والواق الواق.

وفي عصرنا هذا نشأت القيود على الحركة البشرية، واخترع الإنسان الحدود، والجمارك، وحرس الحدود، ولكن الإنسان ما انفك يتحدَّى القيود، وصرنا نسمع عن بشر يتحدون الموت، والقرصنة، والاستغلال، في سبيل أن يهاجر الواحد من مكانه، ويطرق أبواب الأرض.

لقد بلغ ببعض البشر حس المغامرة أن يختبئ في عجلات الطائرة، ويتعرض إلى أعلى درجات الخطر، حينما يتعلق بين السماء والأرض في سبيل أن يستعيد حقه في الهجرة، أوليست الطيور والأسماك ما زالت حرة في الترحل؟!..

لم لا يكون الإنسان كذلك؟!..

هذا التساؤل يدفع الناس إلى ابتكار الحيل للهجرة والترحال، وإن كنا نسمي بعضها الآن بالسياحة والتفسح، وهو اسم جديد للترحال، غير أنه ترحال منظم، ومقنن بالتأشيرات والحدود الزمانية والمكانية.

ويتبع ذلك نوع جديد مبتكر من الهجرة، حيث نشأت تقاليد أخذت في الاتساع، وهو أن يشتري المرء شقة في بلد غير بلده، ويفتح رصيدًا ماليّاً في عاصمة غير عاصمة بلاده.. وهذا نوع من الرحلة والهجرة المبيتة.

وإن كان المثل الشعبي يقول: «بيت ما هو في بلدك لا هو لك ولا لولدك».. إلا أن اتخاذ منزل في مكان مختار قد صار سُنَّة لأناس كثيرين، وهذه نية مبيتة للهجرة، إذا اقتضى الأمر ذلك.

لا يمكن تحديد الحس البشري والنزوع البشري باتجاه السفر، والهجرة، والترحل، والناس كلهم في هذه المسألة بدو رحّل، لا تحدهم أرض، ولا يقيدهم جواز سفر.

وإن كانوا في القديم يرون في السفر خمس فوائد، فإن معاني السفر اليوم توسعت، حتى صار مفهوم الشركات عابرة الحدود ومتعددة الجنسيات، صار مفهومًا اقتصاديّاً مركزيّاً في حركة الأعمال الكونية، وجاء تصور جديد عن الشركات التي لا جنسية لها في تجاوز لفكرة تعدد الجنسيات، وهي صيغة حديثة للبدوي الذي لم تكن تحكمه جنسية ولا حدود.

ونحن في سفرنا نغير ملابسنا مثلما نغير لغتنا، ونغير نظام أكلنا، وسلوكنا، وكأننا نتحول إلى ذوات أخرى نتخلص فيها من ذواتنا المعتادة، وفي خزانة ملابس كل منا خليط من اللباس يجعلك كأنما أنت عدة شخصيات، وعدة جنسيات.

كل هذا لأن وازعًا ثقافيًا قديمًا ورثناه، وما زلنا نتمثَّله، وهو البدوي

المترحل الثاوي في داخل الثقافة، والباحث عن صيغة يعبر بها عن معناه، وهي لا تخصُّنا نحن بوصفنا عربًا، بل هي قيمة بشرية كونية.

وفي الشعر العربي تكثر قصة الرحلة والترحال، وأداة الترحل، وليس ببعيد عنها وجود شعراء المهجر، ومثلها ما تشاهده في شوارع لندن وباريس، حيث تظن ـ أحياناً ـ أنك في عاصمة عربية، وهناك ملايين من العرب اليوم في أوروبة وسائر قارات العالم مهاجرين، ومثلهم أقوام أخرى كالهنود والصينيين، حتى لتجد مدينة صينية مستقلة، أو شبه مستقلة، داخل عدد من مدن أمريكا وأوروبة.

وسترى ذلك في الأطعمة والأذواق، حيث تترحل هذه أيضًا، بحيث تأكل في الرياض ما يأكله الأمريكي في نيويورك، وهذا يجعل عصرنا عصر العودة الأبدية إلى الهجرة، ومن لم يهاجر بجسده هاجر بخياله.

❊ ❊ ❊

مواعظ المنهزمين

د. سالم الفلاحات

ليت المنهزم يتوارى عن الأنظار، ويهنأ بسلامته ويختفي خلف أوهامه، ويحفظ لسانه، ويسكت عمن بقي في المعركة يدافع ويغالب، أو ينضم إلى حزب (الحر بن قيس) لأنه يخشى على نفسه من بنات بني الأصفر، أو إلى حزب (ابن سلول) فيقول: تَركنا وسَمِع الرعاع الجهال.

أما أن ينصِّب المنهزمون أنفسهم وعَّاظاً ومنظِّرين للمجاهدين العاملين المرابطين على الثغور، وللقابضين على جمر المبادئ فهذا من أبطل الباطل، بل ويسخرون من فهمهم وفقههم وسلوكهم، وما علموا أن «فقه المجاهدين» أصدق الفقه وأوعاه.

واليوم يئِنُّ الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال والاغتيال، والتدمير والاعتقال، والفتن والجوع والمحاصرة، وقد أريد له أن يُقَسَّم ويجَزّأ، لمزيد من الإضعاف والاستفراد، فالحصار على غزة بلغ مداه ووصل حدّاً لا يمكن أن يطاق، لكن ثقافة الصابرين المرابطين ومنهج تفكيرهم وبركة جهادهم تجعلهم كأنما هم بشرٌ من نوع آخر، ومن عالم آخر، فلله درّهم.. تحاصر غزة ويمنع دخول كل شيء إليها حتى المحروقات وتتوقف محطة توليد الكهرباء عن العمل، بما تحمله هذه الحالة من مآسٍ وويلات ونتائج على

المستشفيات والجامعات والمدارس والمعامل والمصانع، بل والحياة كلها...
ثم مع ذلك يزداد الضغط على المقاومة الفلسطينية ومنهج المقاومة وفكر المقاومة، فيظهر نبَّاشو قبور الموتى أملاً في إحيائهم، وتُعقد المؤتمرات، وتسمع الندوات من هنا وهناك، ليس لإنقاذ غزة، وإنما لإنقاذ «أنابوليس»، و«الرباعية»، و«أوسلو»، و«مدريد»، و«مسيرة السلام العادل الدائم المشرِّف»!..
والمطلوب من المحاصرين والمطحونين أن يُعطوا «السَّلام» فرصته، فهو الحل، ويقول كبيرهم بلسان عربي مُدانٍ:

أعطو السلام فرصةً

لا تكثروا الحديث عن حقوقكم فجُلُّها أوهام

ولو أضعنا قدسنا

ولو خَسِرْنا أرضنا

ولو قتلنا روحنا

ولو لعقنا جرحنا

فكلها صغيرةٌ بجانب السَّلام

يا شعبنا تحدثوا بلهجة السَّلام

تجنبوا الحديث بالنضال والجهاد والإسلام

فهذه مقولة جاوزها الزمان

وصدقوني إنكم تعطِّلون دولة الإسلام!

واستمطروا حقوقكم من شِرعة السَّلام

وساعدوا جيرانكم.. بقتلكم وطردكم وسجنكم

لا تصرخوا.. لا تشتكوا.. لا تعبسوا.. فأنتُم في واحة الأمان

ماذا علينا لو خسرنا نصف أرضنا أو ربعها أو كلها

فقد ألِفنا العيش في التشريد والتغريب والحرمان

وانتظروا هنيهة ستُعلنُ الدولة العظيمة العالية الأركان:

لا فرق أن تكون في غزة أو في «بوديس» أو سِلْوان

والجيش والسلاح والحدود والمطار زوائد ليس لها مكان

وفي الختام

نشكركم لصبركم وصمتكم وعجزكم

فقد حفظتم درسكم

وقد نسيتم قدسكم

وقد دفنتم حلمكم؛ لكي نعيش في أمان

فساعدونا بالشخير، والفحيح، والنسيان

ولما انتهى الواعظ الشهم من وعظه وخطبته.. التفت يميناً وشمالاً، فلم يجد إلا اثنين من مرافقيه وموافقيه، فلملم أوراقه المهترئة، وانطلق إلى جُحره ليبلغ مأمنه.. وما هو ببالغه، ولكنه فوجئ بزغاريد المجاهدين وتكبيراتهم وعملياتهم البطولية.. ولا نامت أعين الجبناء..

❊ ❊ ❊

رحيلك .. ليس مشكلة

د. سلمان العودة

يبدو الإنسان مهموماً بما سيُقال عنه بعد رحيله، ولعله لأجل ذلك يعتني العلِّية من القوم بأضرحتهم حفراً؛ كما عند الفراعنة في أعماق الجبال، أو تشييداً كما عند كثير من الأمم.

وهذا مما نهى عنه الإسلام، وأمر بتسوية القبور، وعدم رفعها أو تشريفها أو البناء عليها.

والذكر الحسن هو من الحوافز القوية لدى الإنسان، وهو حافز فطري من حيث الأصل؛ فلا عتب فيه إلا إذا تعدى الحد، وانقلب إلى الضد، مثله في ذلك مثل غريزة الأكل أو النكاح أو التملك أو سواها.

تساءلت مع نفسي! فسألتها أو هي سألتني.. ماذا سيُقال عنك بعد رحيلك؟..

وأيقنت أن هذا السؤال يخطر على بال كثيرين، ومِن قَبلُ تردد في أعماق بَشَرٍ مَرُّوا من هنا، ووضعوا بَصْمَتَهم، ثم غادروا، والسؤال مدفون في ضمائرهم، أو هو بوح لم يصلنا صداه!..

والسؤال هنا هو نتاج الفطرة ، وإلا فليس ثمت في المنطق ما يدعو إليه أصلاً.

هل أنت استثناء حتى تسأل سؤالاً كهذا؟!..

قد تذهب حيث لا يذكرك أحد إلا القليل من دائرتك الضيقة المحدودة، ممن ألفوك وصرت جزءاً من كينونتهم، كالأهل والأطفال وشركاء العمل، وقد يكتب عنك بعض مقالات في صحيفة أو مجلة أو موقع إلكتروني، أو ينبري بعض من يرون لك عليهم حقّاً لإحياء هذه المناسبة بطريقتهم الخاصة، وفاءً لذكراك!..

وعلى أحسن الأحوال، ستكون مثل عديد ممن ترجم لهم الذهبي أو ابن كثير أو السبكي أو ابن خلكان.. وعندها ستكون رجلاً مذكوراً في بعض المصادر والمدونات المعنية بالتراجم والرجال.

وسينقل المؤلف عنك ـ إن كان محايداً ـ بعض ثناءات لا تخلو من مجاملة، أو بقصد رسم القدوة للأحياء، فأنت ثاوٍ هامد لا تُخشى منك منافسة، ولا يثور عليك حسد، اللهم ربما!..

سيقرأ عنك قرّاء يسمعون باسمك لأول مرة، فهم مستغربون من هذا الثناء.. هل أنت مظلوم مبخوس الحق؟ أم المترجم بالغ وتجاوز الحد؟ وهم لو قارنوك بغيرك لوجدوا أن الحياة تحفل بجم غفير ممن لهم ذكر أو أثر يكبر أو يصغر، في الشأن العلمي، أو التربوي، أو الإعلامي، أو الاقتصادي، أو السياسي.

وإن هـؤلاء حين يرحلون فلن يعدم من يؤرخهم أن يجد ما يقوله عنهم، وإذا كان معنياً بالكتابة فسيجمع قصاصات من هنا وهناك قد توهم من يقرؤها مجتمعة أنه أمام شخصية استثنائية، بيد أن الأمر ليس كذلك!..

ستكون الأمور على ما يرام، والناس بخير، والكون كما هو يعمل ويتحرك، والبرامج قائمة، رحيلك لن يكون مشكلة حقيقية، وإن قيل ذلك!..

عَلَيكَ سلامُ اللَّه قَيسَ بنَ عاصم   وَرحمتُهُ ما شاءَ أَن يَترَحَّما
تَحيَّةَ من أَولَيتَهُ منكَ نعمَةً   إذا زارَ عَن شَحطٍ بِلادَكَ سَلَّما
فَما كانَ قَيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحِد   وَلَكِنَّهُ بُنيانُ قَومٍ تَهدَّما

ستكون النوبة إلى آخرين، وسيقومون بالمهمة على الوجه المستطاع، وستُداوَى الجراح مع الزمن، وينتهي كل شيء.

هنا يكون الموت حافزاً حقيقيّاً للعمل والإبداع والمواصلة والإنجاز، وكسب المزيد من الخبرات، وليس سبيلاً إلى التراخي والهمود واستعجال الموت قبل حلوله.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وفي الحديث «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابَكَ قَبل هرمكَ، وصحتَكَ قبل سقمكَ، وغناكَ قَبلَ فَقرِكَ، وفراغَكَ قبلَ شغلكَ، وحياتَكَ قبل موتِكَ**». [رواه النسائي، وأحمد في الزهد، والبيهقي، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما].

وفي البخاري: عن ابن عمر مرفوعاً: «**كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

على أن رحيلك فتح باباً ومنح فرصة لقادمين جدد، تنفَّسوا الصعداء، ولو قُدِّر لك أن تسمع ما يقال حينئذ، لترامى إلى أذنك صوت يقول: رحيله محزن، ولعله كان خيراً، وآخر يهمس: ظننا أنه سيترك فراغاً، بيدَ أن الأمر لم يبدُ كذلك، وثالث يبوح: قدّم ما لديه!..

وسبحان من يفني ويبقى فتخلف الدهورَ دهورٌ والأنامَ أنام.

❋ ❋ ❋

الحق والحق الآخر

محمد بن صالح الدحيم

«إن مشكلة النزاع البشري هي مشكلة المعايير والمناظير قبل أن تكون مشكلة الحق والباطل، وما كان الناس يحسبون أنه نزاع بين حق وباطل، هو في الواقع نزاع بين حق وحق آخر؛ فكلٌّ متنازع في الغالب يعتقد أنه المحق وخصمه المبطل، ولو نظرت إلى الأمور من نفس الزاوية التي ينظر منها أي متنازع لوجدت شيئاً من الحق معه قليلاً أو كثيراً»[(١)].

وهذه حقيقة نغفل عنها أو نتغافل ونحن نقرأ أو نستمع للمخالف؛ بسبب ما استقر في عقلنا الباطن من امتلاكنا الحقيقة وانعدامها لدى الطرف الآخر، الأمر الذي يحول بيننا وبين الإفادة منه أو إمكانية التعايش معه، بل يحملنا على العداء و... و...

إن هذا اللون من التعامل لا يجعلنا نصل إلى الحقيقة؛ لأنها موزعة، وإنما المهارة في اكتشافها واقتناصها في تكامل جميل التركيب منتظم العقد، يقول الشاطبي: «إنما تُعرفُ الحقيقة إذا عُرِفَ جميع ذاتياتها»[(٢)].

يذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالاً لذلك؛ فيقول: «...كثير من أرباب العبادة والتصوف يأمرون بملازمة الذكر، ويجعلون ذلك هو باب الوصول إلى الحق، وهذا حسن إذا ضموا إليه تدبُّر القرآن والسنة واتباع ذلك، وكثير من أرباب النظر والكلام يأمرون

(١) حقيقة اللاشعور، علي الوردي، ص٦١.

(٢) الموافقات: ١/٦٩.

بالتفكُّر والنظر، ويجعلون ذلك هو الطريق إلى معرفة الحق، والنظر صحيح إذا كان في حقٍّ، ودليل... فكل من الطريقين فيها حق، لكن يحتاج إلى الحق الذي في الأخرى، ويجب تنزيه كل منهما عما دخل فيهما من الباطل»[١].

ويعلل ابن تيمية لذلك بقوله: «وسبب ذلك: أن الإنسان فيه ظلم وجهل، فإذا غلب عليه رأي أو خلق استعمله في الحق والباطل جميعاً»[٢].

وابن تيمية ينظر إلى حقيقة أكبر، وهي أن العالم مزيج؛ فهو يقول: «ودار الرحمة الخالصة هي الجنة، ودار العذاب الخالص هي النار، وأما الدنيا فدار امتزاج»[٣].

وهنا تكمن مشكلتنا حين نطلب مصلحة محضة أو حقّاً محضاً، أو نحاذر مفسدة محضة أو باطلاً محضاً، دون اعتبار الأرجحية ومراعاة الأغلبية اللذَين هما طبيعة المزيج، وحقيقة مشكلتنا هذه طموح «لا يعدو أن يكون طموحاً مثاليّاً صادراً عن رؤية لا تستقيم مع مجاري العادات ولا مع ما يجب أن يتوفر عليه رجل العلم من فقه بالواقع المعيش»[٤].

وإذا كان الاكتفاء له هذه الآثار فكذلك الارتماء تضيع معه الحقيقة حين لا يمتلك صاحبه القوة ممتزجة مع الحكمة ليطرح ما لديه وهو يستمع ما لدى الآخر، وأخطر ما تكون الحال حين يكون الارتماء مع غياب الشعور وفقدان التوازن.

والمقصود أن المكتفي والمرتمي كل منهما يعيش ببعض الحقيقة، ونحن بحاجة إلى تربية تعيدنا إلى التوازن في تصوراتنا وأحكامنا؛ لتتحقق مقاصدنا ونأمن على أهدافنا.

سدد الله الخطا وبارك في الجهود.

❊ ❊ ❊

(١) نقض المنطق، ص٣٥.

(٢) الفتاوى: ٢/٣٢١.

(٣) المصدر السابق: ١٠/٦٢

(٤) الفكر الأصولي، عبد المجيد الصغير، ص٥٣١.

آية اللّه (المتنبي)

د. عائض القرني

صار زميلي وصديقي آية اللّه أبو الطيب المتنبي أسطورة في عالم الشعر، فكل الكبار من العلماء والأدباء والساسة والمفكرين والفلاسفة والمصنفين يلهجون بشعره لسحره وأسره وقوته وتأثيره ولموعه وسطوعه وذيوعه وشيوعه.

أمر الرئيس الفرنسي السابق جورج بومبيدو بأن يكتب على الدبابات الفرنسية ترجمة بيت المتنبي:

وَلَم أَرَ في عُيوبِ الناسِ شَيئاً ... كَنَقصِ القادِرينَ عَلى التَمامِ

وقال الكاتب الشهير اليهودي النمساوي المسلم محمد أسد في كتابه (الطريق إلى مكة): إن بعض الأدباء شاهد أمير حايل عبد العزيز بن مساعد في عهد الملك عبد العزيز، فتمثل بقول المتنبي:

قَد زُرتُهُ وَسُيوفُ الهِندِ مُغمَدَةٌ ... وَقَد نَظَرتُ إِلَيهِ وَالسُّيوفُ دَمُ

فَكانَ أَحسَنَ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكانَ أَحسَنَ ما في الأَحسَنِ الشِّيَمُ

وكتب ابن تاشفين ملك المرابطين إلى ملك النصارى بيت المتنبي:

وَلا كُتبَ إِلاّ المَشرَفِيَّةُ عِندَهُ وَلا رُسُل إِلاّ الخَميسُ العَرَمرَم

وقال ابن الجوزي في (صيد الخاطر): الدنيا لا يفي سرورها بهمها، كما قال المتنبي:

أَشَـدُّ الـغَـمِّ عِـنـدي فـي سُرورٍ تَـيَـقَّـنَ عَـنـهُ صـاحِـبُـهُ انتِقالا

وقـال ابـن القيم: مـن أدمـن المعاصي هانت عليه نفسه، كما قال المتنبي:

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ مـا لِـجُـرحٍ بِـمَـيِّـتٍ إيـلامُ

وذكر الغزالي في (الإحياء) أن الإنسان لابد له من الموت بعز أو بذل، كما قال المتنبي:

وَإِلاّ تَمُت تَحتَ السُيوفِ مُكَرَّماً تَمُت وَتُقاسِ الذُلَّ غَيرَ مُكَرَّمِ

وذكر ابن كثير أن الشدائد طريق المجد، كما قال المتنبي:

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ الـجودُ يُـفقِرُ وَالإِقـدامُ قَتّالُ

وذكر طه حسين وفاءه، كما قال المتنبي:

خُلِقتُ أَلوفاً لَو رَحَلتُ إِلى الصِّبا لَفارَقتُ شَيبي موجَعَ القَلبِ باكِيا

وقال متولي الشعراوي: القمم تحتاج إلى الهمم، كما قال المتنبي:

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وذكر الشيخ ابن باز سوء الظن، فقال كما قال المتنبي:

إِذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ   وَصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ

وفي كتاب ابن عثيمين (الدماء الطبيعية) قول المتنبي:

فَإِن تَفُقِ الأَنامَ وَأَنتَ مِنهُم   فَإِنَّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ

وزرت ابن عثيمين في مرضه الأخير، فقال: ما أخبار الشعر يا فلان يقصدني، فقلت كما قال المتنبي:

المَجدُ عوفِيَ إِذ عوفيتَ وَالكَرَمُ   وَزالَ عَنكَ إِلى أَعدائِكَ الأَلَمُ

وذكر ابن حزم أن أباه الوزير دخل عليه عدو الله وقال له: أنا وأنت كما قال المتنبي:

وَمِن نَكَدِ الدُّنيا عَلى الحُرِّ أَن يَرى   عَدُوّاً لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ

فقال أبوه: بل الصحيح:

ومن نَكَدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى   صديقاً له ما مِنْ عداوته بُدُّ

وقال أحد العلماء: إن المسلم على حال واحدة في الرخاء والشدة، كما قال المتنبي:

وَحالاتُ الزَّمانِ عَلَيكَ شَتّى   وَحالُكَ واحِدٌ في كُلِّ حالِ

وسمعت الدكتور القصيبي في (العربية) يستشهد بقول المتنبي:

إِنَّما تُنجِحُ المَقالَةُ في المَرءِ إِذا صادَفَت هَوًى في الفُؤادِ

وسمعت الدكتور سلمان العودة في إضاءات، يتكلم عن كلام الحساد، كما قال المتنبي فقال:

أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ

وذكر الدكتور عبدالعزيز المقحم الاستفادة من أخطاء الآخرين، فقال كما قال المتنبي:

بِذا قَضَتِ الأَيّامُ ما بَينَ أَهلِها مَصائِبُ قَومٍ عِندَ قَومٍ فَوائِدُ

وحضرت مجلس تاجر يتمدح بالجود وهو لم يفعل، فقال أحد طلبة العلم من الحضور: المسألة كما قال المتنبي:

جودُ الرِّجالِ مِنَ الأَيدي وَجودُهُمُ مِنَ اللِّسانِ فَلا كانوا وَلا الجودُ

وذكر الدكتور القصيبي أن الأمير فيصل بن فهد اتصل به يسأله عن بيت المتنبي في سيف الدولة، حيث يقول:

وَكَيفَ تُعِلُّكَ الدُّنيا بِشَيءٍ وَأَنتَ لِعِلَّةِ الدُّنيا طَبيبُ

وذكرت لأحد الأعيان كلام الحساد فقال لي، كما قال المتنبي:

وَلِلَّهِ سِرٌّ في عُلاكَ وَإِنَّما كَلامُ العِدا ضَربٌ مِنَ الهَذَيانِ

وطلب الإمام محمد عبده في مصر من الشعراء معارضة قصيدة المتنبي:

أَقَلُّ فَعالي بَلهَ أَكثَرَهُ مَجدُ وَذا الجِدُّ فيهِ نِلتُ أَم لَم أَنَل جَدُّ

وافتتح عمرو موسى القمة العربية في تونس، فذكر قول المتنبي:

الـرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُّجعانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ الـمَحَلُّ الثاني

وسبَّ الشريف المرتضى المتنبي عند أبي العلاء المعري، فقال له أبو العلاء معرِّضاً به:

لا تسبه أيها الأمير فهو صاحب قصيدة: لكِ يا منازل في القلوب منازل، فغضب الأمير وقال: قاتلك الله، تقصد آخرَ القصيدة:

وَإِذا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ فَهِيَ الشَّهادَةُ لي بِأَنِّيَ كامِلُ

وقال الدكتور سعيد بن مسفر: العز وحسن الصحبة في مقالة المتنبي:

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنا سَرجُ سابِحٍ وَخَيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ

وسألت الشيخ العلامة عبدالعزيز الزهراني، وقد بلغ الثمانين: كيف حياتك؟ فقال كما قال المتنبي:

قَد ذُقتُ شِدَّةَ أَيّامي وَلَذَّتَها فَما حَصَلتُ عَلى صابٍ وَلا عَسَلِ

وزرت أبها فلقيت زميلي الدكتور محمد الحازمي، فقال: أنا وإياك كما قال المتنبي:

وَلَيسَ الَّذي يَتَّبَّعُ الوَبلَ رائِداً كَمَن جاءَه في دارِهِ رائِدُ الوَبلِ

وقال الأستاذ تركي الدخيل في جريدة الوطن: قال آية الله المتنبي في السر:

وَلِلسِّرِّ مِنّي مَوضِعٌ لا يَنالُهُ نَديمٌ وَلا يُفضي إِلَيهِ شَرابُ

❋ ❋ ❋

القابلية للفوضى

د. مسفر بن علي القحطاني

تظهر طبيعة الإنسـان الحقيقية في الأزمـات، وعند التنافس على الحاجات، والتزاحم في طلب الرغبات، وظهور المعدن الحقيقي للإنسان في هذه الحالات يكشف كل الستور التي تخبَّأت خلف الصورة الجميلة للشكل الظاهر، أو الحديث الماتع الذي كان يُسمع في أوقات السعة والرخاء.

تذكرتُ وأنا أكتب هذه الكلمات موقفاً قد يكون مدخلاً لتشخيص هذه الحالة على مجتمعنا المحلي، وهذا الموقف رأيتهُ قبل عام تقريباً لما احتفلت هولندا بيوم عيد المملكة حيث أُعطي المواطنون يوماً إضافياً في إجازة نهاية الأسبوع، وهو ما لم أعمل حسابه عند حجز مواعيدي قبل السفر، مما اضطرني أن أعيش هذا اليوم بكلِّ مآسيه وصعوباته الغريبة!.. فقد رأيت الناس يمارسون فرحهم ومتعتهم بطريقة لا تمتُّ بصلة لذلك المجتمع الذي عرفته محبّاً للنظام والنظافة بصورة مبالغ فيها أحياناً.

فالناس في ذلك اليوم مارسوا طبيعتهم الأخرى والمتخفية خلف بهاء صورتهم النمطية، فالتمرد والإزعاج أصبح سمة يوم المملكة، والقاذورات في كل مكان بل وتكسير قوارير الزجاج بكل جنوح وهمجية؛ مع الحذر من كل سائل يجري في الطرق لأن الأصل فيه النجاسة؛ بعدما رأيتهم يخرجون

عن حد اللياقة في قضاء حاجاتهم، تأملت في الصورة التي رأيتها ذاك اليوم وما وراءها من دلالات، والتي سوف تتغير في اليوم التالي بشكل مذهل، وعرفت حجم الأهمية للأنظمة الرقابية على التصرفات الخرقاء لبعض الناس، وأن هناك قابلية للعودة إلى حالة الفوضى والهمجية ما دامت موجودة في العمق النفسي وليست في القشرة الخارجية من الإنسان.

وهذه الممارسات قد تثور في أي لحظة عندما تتهيأ الأسباب الداعية إلى ذلك، ومع تلك الحالة التي شاهدتها؛ فإن السمت العام لذاك المجتمع لا يمكنه أن يتغير بصورة عكسية وبشكل مفاجئ، لأن السلوك لديهم محفوظ بالثقافة والتوعية المستدامة منذ طفولته وحتى كهولته، لكن هناك طبيعة تحملها النفوس تستطيع التمرد بسرعة عندما تتهيأ الظروف لها، ونتائجها كارثية ومدمرة، والأزمات تكشف هذه الطبيعة بصورة جريئة وسريعة، ولعل نماذج أحداث ثورة الزنوج في لوس أنجلوس عام (١٩٩٢م)، وأحداث الشغب في ضواحي باريس العام قبل الماضي (٢٠٠٦م)، وانفلات الأمن بعد زوال الحكم السوفييتي أو الشيوعي على كثير من بلدان أوروبة الشرقية في بداية التسعينيات، كلها مؤشرات لهشاشة الوضع لو تفجر من خلال أزمة معينة.

هذه بعض النماذج القائمة في أكثر المجتمعات مراعاة لقوانين الضبط والنظام، وأذكر أن رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد قال بعد أزمة انهيار العملة في بلاده عام (١٩٩٤م): «إن الغرب لا يستطيع أن يتحمل أزمة اقتصادية مثل ما مرت في ماليزيا، وذلك أن المجتمع الغربي سريع الانهيار ولا تتحمل روابطه الاجتماعية القدرة على تخفيف الأزمة بالتكافل الذاتي بين أفراده، وليس من خلال مساعدات الدولة».

وحتى أصل إلى مقصودي من هذا المقال وأربطه مع الواقع الحالي، أحكي لكم موقفاً حدث لي قبل أيام وكان السبب في كتابة هذا المقال،

وذلك أثناء الوقوف في طابور التفتيش في مطار الملك خالد بالرياض، ومع وقوفنا الطويل والممل في انتظار دورنا للدخول إلى صالة المغادرة، أفاجأ ببعض الأشخاص الموقرين في أشكالهم، يتجاهلون كل الواقفين في الطابور ويتجاوزوننا من غير أي اكتراث أو استئذان، والحقيقة أني لم أتحمَّل هذا التهميش والخرق الواضح لأبجديات النظام والاحترام، ولكنني تذكرت أن هذا هو المألوف في أغلب الأوقات وليس في حالة خاصة اقتضتها أزمة معينة أو ظرف قاهر فنعذر المخطئ من أجلها.

ولو تأملنا في أماكن الزحام والانتظار والدوائر الخدمية لوجدناها شواهد حيّة على غياب الحسِّ الداخلي بضرورة الانضباط والاحترام للأنظمة والتعليمات المصلحية، وكم سيكون المآل كارثيّاً أن تبقى تلك التصرفات المشينة جزءاً من سلوك المجتمع في أوقات الرخاء والسعة؟!.. بينما السؤال الأخطر؛ في كيف سيكون حالنا وواقع سلوكنا لو حدثت أزمة أو كارثة حقيقية سواء كانت بيئية أو اقتصادية أو اجتماعية ـ لا سمح اللّه ـ ؟!..

هذه التوقعات لا بد أن تكون حاضرة بقوة في تفكير المسؤولين في مؤسسات المجتمع، والوقوف مكتوفي الأيدي أو مكتفين بالحوقلة والتذمر من المجتمع لن تجدي أبداً في علاج تلك الظواهر أو التخفيف من مآلاتها الخطيرة لو اضطربت الظروف فجأة، وليس هناك ضمانة حقيقية إلا بإصلاح ذلك الوعي الداخلي والفردي الذي يعجبك زرعه في السعة وتنعم بثمره في الشدة، وهو الناموس الذي بدأ به ﷺ في رسالته الحضارية الرائدة وبنائه لمجتمع المدينة، فكانت آيات القرآن الكريم تتنزل على الصحابة لإيقاظ القلب من غفلته وتحفيز الرقابة الذاتية من خلال سوط الخوف وأمل الرجاء في عفو اللّه ومغفرته.

ولم تكن الآيات ذات الأسباب ببعيدة عن تربية المجتمع على الاحترام والانضباط حتى لو كان في قضية عائلية بين زوج ظَاهَر من زوجته في لحظة غضب، ولو استقرأنا نصوص القرآن والسنة لأدركنا بجلاء ضرورة بناء سياج خلقي يضبط وينظم كلَّ العلاقات داخل المجتمع، ليس في أوقات الرخاء فحسب بل حتى في أوقات الشدّة، لذلك قال اللّه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**».

وقوله: «**مَنْ نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**».

وقوله: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**».

إلى غيرها من نصوص تفيض في النفوس رحمة وعدلاً ومعروفاً، وتجعل المسلم إذا تربَّى عليها شامة بين الناس، وشاهداً على خيرية الأمة ورفعتها على بقية الأمم الأخرى.



بداية الأشياء

وداد الكواري

كانت العادة أن يُنقل البريد من إنجلترا بواسطة البواخر إلى سائر أنحاء الإمبراطورية، ثم يُنقل بالعربات التي تجرّها الخيول إلى سائر المدن، ثم يقف عامل البريد ليتلو على أهل القرية أو المدينة أسماء أصحاب الرسائل، فيتقدَّم كل منهم ليتسلَّم رسالته مقابل «شلنين» يدفعهما لعامل البريد، وفي أحد الأيام وصلت عربة البريد إلى إحدى قرى اسكتلندا، والتف حولها الأهالي وأخذوا يتسلَّمون رسائلهم، ثم نادى عامل البريد باسم فتاة فتقدّمت متعثّرة الخطا وتناولت الخطاب الوارد باسمها، وأخذت تقلّبه في لهفة، ثم ردّته والحسرة تشيع في قسمات وجهها الجميل، فلما سألها عامل البريد عن سبب ردِّ الخطاب، قالت بارتباك: «اعذرني فأنا فقيرة ولا أملك أجر الخطاب».

وهنا تأثر شاب كان بين الحاضرين، فدفع عنها أجر الرسالة وقالت له: «لم تكن هناك ضرورة لدفع ما تفضّلت بدفعه يا سيدي».

ودُهش الشاب وقال لها: «لقد أردتُ ألا تُحرمي من قراءة هذا الخطاب».

«ولكنني قرأته يا سيدي»، أجابت الفتاة «لقد اتفقت مع خطيبي وهو جندي في المعسكرات «ويلز» على رموز يضعها على الغلاف أفهم منها كل ما يريد، وليس في الرسالة غير ورقة بيضاء».

ثم فضَّت الغلاف فلم يكن فيه سوى ورقة بيضاء!..

دُهش الشاب لذكاء الفتاة وسعة حيلتها، وعاد يسألها: «لمَ فعلت ذلك؟».

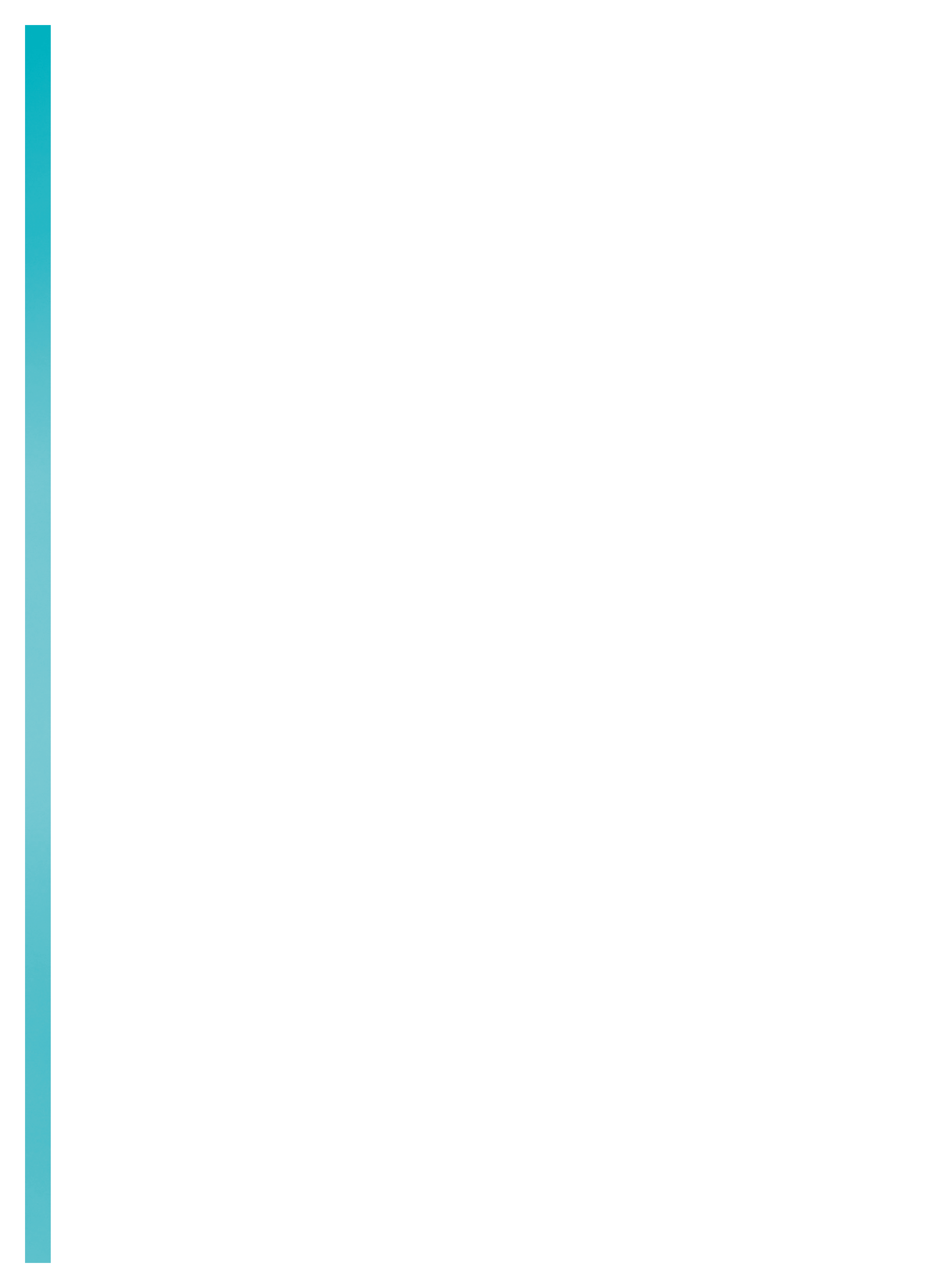
قالت: «إنني أتقاضى ثلاثة «شلنات» في الأسبوع، ولا يمكن أن أدفع منها «شلنين»، ولو كان الأجر قليلاً لدفعته بسهولة».

كان هذا الشاب هو رولاند هل، مُدرس الرياضة، الذي ذهب ليقضي إجازة قصيرة في إحدى قرى اسكتلندا، أما الفتاة فلم يهتم أحد بذكر اسمها، على الرغم من أنها ألهمته، لقد دفعه هذا الحادث إلى إطالة التفكير في مصير البلاد، فلو أن فكرة الفتاة انتشرت، واتفق المعدمون وهم كثيرون على اتباعها، لنشأت أزمة اقتصادية، وهداه تفكيره إلى فكرة أسرع يعرضها على الوزير المسؤول، وفحواها إلصاق ورقة صغيرة على كل خطاب يُكتب فوقها مدفوع الأجرة، وتُدفع مُقدماً، وقيمتها شلن واحد بدلاً من شلنين.

رفض الوزير الفكرة، ولم ييئس رولاند، بل عرضها على تلاميذه وتحمَّسوا لها، وبمساعدتهم طبع كتاباً يشرح فيه أفكاره ودعمها بالإحصاءات والأرقام، قاومت الحكومة هذه الفكرة وتحمّس لها الكثيرون، حتى وصل الأمر إلى قيام مظاهرات تؤيد الاقتراح، وعلمت الملكة فيكتوريا بالأمر فاستدعت «هل»، وسمعت منه حججه وبراهينه، فاقتنعت بها، وازدادت اقتناعاً عندما قدّم لها نموذج أول طابع بريد وعليه صورة لها، ونبّهت عليه أن يُعاد رسم صورتها ليُظهرها بشكل جميل..

وفي عام (١٨٤٠م) ظهر أول طابع بريد في العالم حاملاً صورة الملكة فيكتوريا وكان الفضل لظهوره لتلك الفتاة الاسكتلندية المجهولة، وأطلق عليه «البنس الأسود» للونه وقيمته، أما ثاني طابع بريد ظهر يحمل صورة امرأة فقد كان لمارثا واشنطن، زوجة جورج واشنطن.

* * *



الفصل الثاني

المقالات الاجتماعية

تزوير الشهادات والمهن

د. سعد عطية الغامدي

في بداية مشوارها تعلن الهيئة السعودية للتخصصات الصحية عن ضبط (٦١٠) شهادات مزورة حتى الآن لممارسين صحيين في مختلف التخصصات الصحية أثناء عملية التصنيف والتسجيل، كما أن قائمة الممنوعين من ممارسة المهن الصحية بلغت (٨٩٣٥) ممارساً صحيّاً.. إما منعاً قطعيّاً لا رجعة فيه، أو منعاً يخضع صاحبه لمزيد من التدريب والتأهيل يتمكن بعده من ممارسة العمل.

هذه المعلومات ربما تشكل بدايات الصدمة فيما لو استمرت الهيئة في أعمالها، وكانت من الشفافية والصرامة بحيث تصل إلى المعلومات الحقيقية وتكشف عنها حتى يعرف الناس حجم المشكلة، وقد يكون من المناسب أن توضح الهيئة طبيعة الأمر في الدول التي توجد فيها هذه الهيئات، وما هي نسبة التزوير في وثائق العاملين في القطاع الصحي سواء تعلق الأمر بالتزوير في الشهادات الأكاديمية أو في الوثائق المهنية.

الخطر الناجم عن التزوير الأكاديمي أو المهني يتعلق بصحة الناس وسلامتهم وحياتهم ومماتهم، واستشعار حجم المسؤولية والعواقب يستدعي شكر الهيئة أولاً لأنها قامت بهذا العمل، والتأكيد على أن يكون خاضعاً

لأعلى المعايير والمقاييس، حتى لا يتسرب إلى القيام على صحة البشر من يزوِّرون وثائق وهم أبعد الناس عن ممارسة هذا النشاط، لما يؤول إليه الحال ليس على الصعيد الصحي، بل على صعيد أخلاقي وإنساني، فالذي يزور وثيقة المهنة أو وثيقة المعهد أو الجامعة سوف تكون لديه المبررات الأخرى لعمل كل شيء آخر.

في واحدة من زياراتي إلى كوريا في منتصف الثمانينيات، وفي أحد المطاعم كانت النادل تشرح لنا عن أيامها في الرياض، وعن عملها ممرضة في واحدة من أكبر المستشفيات هناك، وعن رحلتها في الحافلة من السكن إلى المستشفى والعكس، إلا أنها كانت تنتقد بحدة ما رأته وخاصة في قسم الطوارئ؛ حيث كانت تشاهد بعض الأطباء ، وهي تتوسل إليه سرعة التحرك لاستقبال حالة حرجة، فلم يرفع رأسه عن صحيفته التي يقلِّبها بين يديه، وربما تحدثت عن طبيب هندي مبرراً لها بروده أنه يرى الناس يموتون هناك ببطء أو يعانون الإهمال الصحي، فلا بأس من أن يكون هؤلاء كأولئك.

هل ستكون العقوبات عن هذا التزوير الذي وصل حتى الآن (٦١٠) شهادات غير الذين منعوا بشكل قطعي مجرد الإيقاف عن العمل؟ وماذا عن الحالات التي ربما كان التزوير سبباً في سوء تشخيصها بحسن نية أم بسوء نية؟ وماذا عن التقارير الطبية البسيطة والمعقدة؟ وماذا عن الآثار التي نتجت عن ممارسات يقوم بها من ثبت عجزهم أصلاً عن القيام بالعمل؟ وماذا عن الذين وافقوا على اختيارهم مدركين أو غير مدركين واقع حالهم؟ وما هي الإجراءات الاحتياطية التي تمنع تكرار هذه الممارسات حتى يعلم الكل فداحة ما وقع؟...

ما هو دور لجان التعاقد التي توفر لها الإمكانات التي تجعلها تختار الأكفاء من المؤهلين والممارسين والقائمين على الأعمال؟ هل تبحث في سجلات العاملين المتعاقد معهم؟ هل هي تطلب منهم بطاقات أعمالهم حين التعاقد

وسجلات موثقة من جهات يمكن الاطمئنان إلى نزاهتها وكفاءتها حتى لا تقع في فخ الغش والتزوير؟ أم إنها الواسطة والعلاقات الحميمة التي تنشأ مع مكاتب ومن وراء المكاتب من أجل تسهيل أمور بعض المتعاقد معهم، ويدفع المرضى هنا ثمن علاقات مشبوهة أفرزت أشخاصاً غير مؤهلين يمارسون عملهم في المستشفيات والمراكز الصحية، وهم أبعد ما يكونون عن هذا المجال؟..

وحتى لو كان الشخص يمارس بكفاءة عالية ، فإن مجرد انخراطه في أعمال التزوير في الشهادة الأكاديمية أو الوثيقة المهنية فإن ذلك يعتبر نقضاً لقَسَم عظيم تعارف الأطباء والعاملون في القطاعات الصحية على القيام به، وهو يعتمد في الأساس أن هذا الممارس لديه من الخلق والأمانة ما يجعله مؤتمناً على أعراض مرضاه وأسرارهم وخصوصيات حياتهم، وهو في الوقت نفسه ناكث عهداً مع متطلبات التأهيل والممارسة، وهل هناك من علاقة بين ميدان فيه كثير من التزوير والتأهيل الفاسد، وبين ما صرَّح به طبيب سعودي من أن (٧٠٪) من الأدوية التي تصرف للمرضى في المملكة ليسوا بحاجة إليها؟!..

ليس كافياً أن يقتصر الأمر على الإعلان عن الحالات، بل لا بدّ من وضع معايير في الاختيار والتقويم، وأن يعلن أيضاً عن العقوبات وأسلوب التأديب، كما أن الأمر يستدعي الدعوة بشكل أكثر وضوحاً إلى تدريب كوادر سعودية من البنين والبنات في مجالات الصحة، وأن توجه لها من وسائل الدعم والمساندة ما يحقق الغاية من جعل التدريب والتأهيل مشروعاً فاعلاً يهدف إلى قطع الطريق أمام الحصول على كوادر من الخارج؛ لأننا قصّرنا وبخلنا كثيراً في الإنفاق على شباب وفتيات نحن في أمس الحاجة إليهم متى ما أخذنا من وسائل إعدادهم وتأهيلهم بالطرق الصحيحة التي نجحت فيها مؤسسات كثيرة، وأن نقطع الطريق على العابثين في الداخل أو الخارج بحياة الناس وصحة الناس.

❊ ❊ ❊

حديث الأربعاء

محمد عمر العامودي

مستشفى حجز مولوداً لأن أصحابه لم يسددوا الفاتورة، وقامت الدنيا ولم تقعد، وانهالت الألسنة تندِّد بذلك الموقف اللاإنساني.. ولم يكن التنديد في محله! لقد فعل المستشفى ذلك لضمان الحصول على حقه، فمعظم الناس كما نرى يستخفُّون بالحقوق، ومنهم من يستحلُّ أكلها، وإذا ذهبنا إلى المحاكم نجدها حُبلى بقضايا الناس، ويقال: إن قضايا الشيكات تجاوزت هذا العام العشرة بلايين ريال؛ وهو مبلغ ضخم يعكس لا مبالاة الناس، واحترافهم في استغلال بعضهم، ويثبت في نفس الوقت حاجتنا إلى إدارات تنفيذية جادة قادرة على إيصال الحقوق إلى أهلها.

ويحتار المرء في تفسير هذا الذي يحدث عندنا ويزداد غرابة عند مقارنة سلوكنا مع الآخرين، ففي دولة أوروبية وبعد مراجعات لأكثر من شهر لعيادة طبيب، قالت سكرتيرته عندما سُئلت عن فاتورة العلاج: سنبعثها لك إلى الفندق.

ولكني قد أسافر غداً.

حسنا أليس البريد كافياً لخدمة التعامل بين الناس؟

أليس عنوانك في جدة لدينا؟.

ونظرتُ إلى براءة التعامل وحسن النية في عين تلك الخواجايا، مشفقاً من استغلال «البلطجية» في سنوات هجمة غير عادية على بلادها.. ولكن ذلك السلوك الفطري لم يدم! لقد استطعنا في فترة وجيزة اجتثاث الثقة من جذورها..

لقد أفسد العابثون السلام الأخلاقي بين الشعوب، مما خلق نوعاً من الريبة من كل قادم من شرقنا، لا فرق بين صالح وشرير، فلا يقبلك طبيب اليوم ما لم تدفع له مقدماً، ولا يستقبلك مستشفى ما لم تقدِّم له تأميناً، ولم يندد أحد بتلك الإجراءات السويسرية ولم يصفها باللاإنسانية.



وقال بسيوني

جعفر عباس

نبقى مع كتاب «وقال نسوة» لشيخنا عبدالسلام بسيوني؛ وهو داعية إسلامي معروف ومحبوب في قطر، وهو فلَّاح من صعيد مصر ولكنه تمدَّن وصار يستخدم الإنترنت، ورغم هذا فقد يجد بعض القراء والقارئات في أفكاره ما يثبت أن رجعيته متمكنة منه كلحيته الشعثة..

يقول بسيوني: إن الأديبة الحلنجية (وهذه تسمية فبركها من عندياته) ترى أن البنت تحتاج إلى المرونة لا إلى الحبس والخشونة حتى تتفجر طاقاتها وتظهر مواهبها وملكاتها:

سيبوا الفتاة وشأنها
للفرفشة والدردحة
وثقوا جميعاً أنها
تعطي نتائج مفرحة
هي حرة بسلوكها
مهما بدا من رحرحة
لا تطلبوا لبس الحجاب
ولا الهدوم الكالحة
إن الفتاة أروبة

وخفيفة وملحلحة

شوفوا فالنتينا وكوري

شوفوا مادونا الشالحة

شوفوا البنات الرائعات

المائسات بدردحة

شوفوا الشياكة والعياقة

والجسوم الصابحة

فيها التدلل والصبا

منها الأنوثة لائحة

فيها المهارة والشطارة

بالمواهب طافحة

أما ما جعلني أكره لطيفة الحلنجية هذه وأتولى نشر تنكيل البسيوني بها، فهو قولها عن الرجال:

إن الرجال جميعهم

مثل الحمير الرامحة

بل كالضباع الناهشات

وكالكلاب النابحة

بل كالأفاعي الكامنات

وكالبغال الضابحة

يعني أنا حمار يا حمارة يا بنت ال...! ثم تضيف قليلة الحياء، التي لم يبقَ في وجهها قطرة ماء:

ولتحْيَ نون النسوة، ولنا في الأوروبيات أسوة.

وقد آن لكل حواء، أن تفعل ما تشاء، فدعونا من نصائح لا تجدي. وأفكار تهلك وتردي. ولا تخافوا على الشباب، ولا تبالوا باختلاط الأنساب، فحبوب المنع موفورة، وطرق التخلص من الأجنة معروفة ومشهورة... وسلم لي على...! (والله أنقل هذا الكلام عن بسيوني، وقرأت له ذات مرة سلسلة مقالات عن الحشاشين وقلت له: يا شيخنا أنت تعرف لغة الجماعة المساطيل بشكل يثير الإعجاب والريبة!)..

ويواصل بسيوني الحديث على لسان لطيفة المتحنجلة ما يؤكد أنها صاحبة رسالة: وأخرج من خلاصة عبقريتي أندر درة، وكل فكرة بُرمجت لها من بلاد بره،... ولا يزال بعض المتزمتين يتحدث عن العرض والشرف، مما يجلب لي ولأهل التنوير الهم والقرف... فهذا الصنف من البشر جامد، وللحرية مخاصم ومعاند، يطالب بكبت النزوات ومحاربة الرغبات:

يدعو الجمود طهارة

يقلو الغنى والسحسحة

يأسى على كل انطلاق

من فتاة جامحة

يبكي إذا سارت ضحًى

منها الرغائب فائحة

ويتصدى (المتزمت) لكل صبية، غضة الصبا طرية:

عرضت بدلّ قدها

في خفة في صرمحة

أو أصبحت لدلالها

طرف البلوزة فاتحة

❊ ❊ ❊

الفائز الكبير

سمير عطا الله

يجب أن ننتبه إلى أن اللوحة ـ للمصادفة ـ إفريقية كلها! من الشمال إلى الجنوب: الجزائر، مصر، السودان، ومن ثم جنوب إفريقية.

والأفارقة هنا مضحكون، إلا مواطني مانديللا.. والفائز في مباراة الخرطوم، ليس الجزائر ولا مصر، ولا طبعاً الخرطوم! الفائز، جنوب إفريقية.

الباقون، مضحكون أو مزعجون.. زعيق وهتافات فارغة وشعوب فقيرة تركب الطائرات والباصات بالآلاف لكي تصفق ضدَّ بعضها البعض.. وجماهير تنام على الأرصفة لكي تنكد على بعضها البعض.. وفي النهاية المسألة كلها لا تتعدى ركلة كرة من المطاط في قفص من الخشب!.. وبعدها عاد الجزائريون إلى بلدهم منتشين بفرحة نصر سخيفة، وعاد المصريون إلى أم الدنيا حزانى بهزيمة أكثر سخفاً!.. وأعتذر أعتذر أعتذر، لهواة الكرة عن هذه التعابير؛ لكن ما حدث، من الألف إلى الياء، لم يكن مباراة في الكرة، بل كان مباراة في الجهل وفي الصفاقة، وفي كشف الصدور البدائية والمريضة.

جنوب إفريقية دولة «استقلت» منذ حوالي العقد، سكانها ثلث سكان مصر، لديها ثروات طبيعية؛ لكن أين منها النفط وغاز الجزائر؟! وتجربة جنوب إفريقية في العقد الماضي تفوق تجارب الدول العربية الإفريقية الثلاث، في الاقتصاد وفي النمو وفي العلوم وفي السياحة وفي التربية.

بلغ ثمن تذكرة المباراة في الخرطوم مئة ألف جنيه سوداني! وهو رقم يعادل مليار دينار عراقي! أو ألف مليار دينار صربي؛ أي لا شيء؛ لأن الدول التي تسلِّم نفسها للحروب الأهلية تسلِّم كرامتها النقدية للمطابع.

ما حدث خلال الأيام الماضية كان عرضاً مشتركاً لسذاجة الشعوب؛ مجموعات من الفقراء يعتقدون أن الشارع للصراخ لا للعمل والإنتاج! هل انتبهنا إلى أن عشرات الآلاف الذين جاؤوا من مصر والجزائر، إما أنهم لا عمل لهم، وإما أنهم تركوا أعمالهم؟!..

سوف يخجلون جميعاً عندما يذهبون إلى جنوب إفريقية.. عندما يرون مدنها وطرقاتها ومنتجعاتها.. عندما يكتشفون أن دخل الفرد فيها خمسة أضعاف دخل الفرد المصري والسوداني، ويزيد (٣٠٪) على دخل الفرد الجزائري برغم احتساب النفط والغاز وخيرات الأرض والمياه!.

لماذا رقص الجزائريون فرحاً في مدن فرنسا؟ هل يستحق الانتصار على الفريق المصري كل هذا الابتهاج الوطني؟ هل تستحق المسألة أن يفاخر السودان باستضافة هذه المبارزة بالأقدام والصراخ والزعيق؟ أليست القضية كلها في نهاية المطاف، مباراة «حبية»، «رياضية» بين «أشقاء» كما يطيب للعرب أن يسموا أنفسهم، ما بين شمال إفريقية وجنوبها؟!!..

❊ ❊ ❊

راتبي عشرة آلاف

عمر إبراهيم أفندي

نعم راتبي عشرة آلاف ريال لا غير! فأنا موظف في إحدى شركات القطاع العام، ومضى على عملي زمن طويل، ولا زال راتبي عشرة آلاف ريال.

تزوجت منذ عدة سنين عندما كان راتبي أربعة آلاف، وبعد مرور السنوات أصبح راتبي ثمانية آلاف ريال، حيث مررت بترقيات نتيجة لاجتهادي في عملي، ثم رزقني اللّه بالأبناء، وأنا إلى الآن لا أزال أعمل باجتهاد، سيارتي كانت يابانية متواضعة، تكفيني وتكفي عيالي، وتقضي لي مشاويري.

المشكلة أن زميلي في العمل في ذات المرتبة، وذات الراتب إلاَّ أن حاله غير حالي.. كيف؟ لا أدري! فأنا شخص على نيّاتي أعمل ورأسي في الورق، ولا أنظر أعلى منّي، إلاّ أنني سألته ذات يوم: كيف استطعت شراء منزل بهذا المبلغ؟ وما شاء اللّه عندك سيارة ألمانية غالية، وسيارة بيت، وسائق، و(٣) خادمات، وتسافر كل سنة مع أهلك، غير السفر اللي كل شهر مع الشباب، وعندك جوالان يعني.. كيف يعني!! فهِّمني لأني أنا وأنت في مكتب واحد، وشغلنا واحد، وأداؤنا واحد، حتى إننا تدرَّبنا سوا، يا أخي، باللّه

علّمني كيف؟ أو لا تكون وارثاً عن أبيك أو عمك، أو أحد من أهلك؟ ولّا ضربة أسهم؟..

فقال لي بمنتهى الهدوء والوقار: هذا رزق من اللّه، ولا تسأل في شيء ما يخصُّك؛ لأن مصدر الرزق يجب أن يبقى سرًّا (استعينوا...)، فأصررت عليه أن يعلّمني معنى (استعينوا...) فنظر لي نظرة غريبة، وضحك ضحكة شيطانية بحتة، ظهرت منها أنيابه كلها! فعندها نظرت إليه، وقلت: أنا الآن فهمت، الظاهر أنك تستعين بالشيطان، وليس باللّه! فقال لي:

هذا وراتبي عشرة آلاف ريال، كيف لو كان أكثر؟!..

واللّه المستعان..

❊ ❊ ❊

تناقضات الموقف من التدخين

محمد صلاح الدين

أكد تقرير صادر عن مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (مركز أنقرة)، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أن واردات المملكة العربية السعودية من السجائر وصلت الى (٤٣٤) مليون دولار، حيث تحتل المرتبة الأولى بين الدول الإسلامية، وتعقبها إيران بـ(٨١) مليون دولار، وأذربيجان بـ(٧٧) مليون دولار، والمغرب بـ(٦٣) مليون دولار، وألبانيا بـ(٤٨) مليون دولار (الجزيرة ١٧/٦/٢٠٠٨م).

❊ ❊ ❊

ومع هذه الأرقام المفزعة، لابدّ أن نذكر بأن المملكة كانت بفضل اللّٰه أول بلد في العالم تحظر التدخين حظراً تامّاً، قبل نحو خمسين عاماً، وتحرِّمه تحريماً شرعيّاً لأضراره الجسيمة بالإنسان وبيئته، ولابدّ أن نسأل أنفسنا: كيف انتهينا، لنكون من أكثر البلدان في العالم إنفاقاً على هذا الوباء الخبيث؟!..

ولا بد أن نسجِّل كذلك أن بعض الدول الخليجية الشقيقة، قد سبقتنا أيضاً في التطبيق الدقيق الصارم لحظر التدخين في الأماكن العامة، خاصة في المطارات التي هي أشد الأماكن العامة ازدحاماً، بينما هناك

أوامر سامية بحظر التدخين صدرت منذ سنوات طويلة، وأنظمة وضعت وعقوبات للمخالفين اقترحت، ثم نامت في أدراج الروتين، كما أوضح ذلك معالي رئيس هيئة الطيران المدني المهندس عبدالله نور رحيمي، في رده على مقال للدكتور وليد أحمد فتيحي حول هذا الموضوع.

❋ ❋ ❋

هناك اتجاه لفرض المزيد من الرسوم الجمركية على منتجات التبغ، وجعلها (٢٠٠٪) بدلا من (١٠٠٪)، وهو إجراء ضروري ومطلوب أيًّا كانت وسائل تطبيقه، لكن ذلك قد لا يجدي كثيراً، طالما تركنا المدخنين يمرحون في كل مكان دون عقوبات..

مما يتناقض تناقضاً صارخاً مع الادعاءات المقدمة من وزارة الصحة، كأساس لقضيتها المرفوعة للقضاء، ضد الشركات الصانعة والموزعة لمنتجات التبغ في المملكة، تطالبها بتعويضات بآلاف الملايين لإضرارها بصحة المواطنين، ونشر الأمراض الخبيثة القاتلة بين مستهلكي هذه المنتجات.

إن وزارة الصحة تتحمَّل المسؤولية الكبرى في هذه القضية، باعتبارها الوزارة صاحبة الاختصاص (حماية الصحة العامة للمواطنين)، ومن الضروري أن نسمع من معالي وزير الصحة الدكتور حمد المانع، ما يطمئن النفوس، وما يبشرنا بأن نظاماً شاملاً لحظر التدخين، وعقوبات صارمة لمخالفيه، هي في الطريق إلى التنفيذ.

❋ ❋ ❋

قلب للبيع (بالتقسيط)

مشعل السديري

في زمن مضى عملت في إعداد برامج للإذاعة امتدت أكثر من سنتين، وبعد أن (حوَّشْتُ) مبلغاً من المال أردت أن أستثمره كأي رجل نابِه، خوفاً من أن يطير من يدي في أي سفرة طارئة أو مغامرة صبيانية، وقد سمعت أن مجال العقار أكثر أماناً، وفعلاً توجهت إلى أحد المحلات العقارية، ووجدت به صاحبه وكان رجلاً قصيراً (مدردحاً) يعرف جيداً من أين تؤكل الكتفُ.

عندما سلمت عليه استقبلني كأنه يعرفني منذ زمن، وقدَّم لي فنجاناً من الشاي البارد لم أشرب منه إلّا نصف رشفة، وسألني عن بغيتي ـ وكأنه ليس عارفاً ـ، فأخبرته، فتبسَّم بابتسامة الثعلب المحترف، وسألني عن (ميزانيتي) ـ أي: مقدار المبلغ الذي معي ـ فلما أخبرته امتعض قليلاً لأنه كان متوقعاً (الصيدة) أثمنَ من ذلك، ولكنه مع ذلك واصل شرحه للخريطة ثم أشار إلى قطعتين متلاصقتين وقال: إنني أنصحك بهما، وهما على (قدك)، (ومد رجليك على قد لحافك)، فلما رآني خائفاً ومتردداً، حيث إنني لأول مرة في حياتي أشتري عقاراً، ومعتبراً الموضوع مغامرة كبرى، عاجلني وأنا في قمة ارتباكي ببيت شعر لا زال راسخاً في ذهني، وقال بصوت مرتفع، وهو (يلكزني):

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ   فـإنَّ فسـادَ الـرأيِ أن تتردَّدا

الواقع أنه عندما قذفني بذلك البيت من الشعر، بدأت قواي تخور، وبدأ يداخلني شيء من الغرور، فالرجل يصفني بأنني ذو (رأي)، فكيف أتردد ولا أكون ذا (عزيمة)، رفعت له نظراتي وأنا مقطب الحاجبين، فغمزَ لي بعينه غمزة ناعمة، وكأنه يقول لي: تقدَّم، وفعلاً انقدتُ له كما تنقاد أي سمكة لسنارة الصياد، ووافقته على الشراء، وكان شراء المتر المربع في ذلك الوقت على ما أتذكر في حدود عشرة ريالات، وموقعها كان خارج النطاق العمراني، المهم دفعت له الثمن + (٢,٥٪) عمولة، ووقعت المبايعة وتسلمت الوصلَ..

وأصبح لا شغل ولا مشغلة عندي إلّا السؤال عن أسعار الأراضي، ولا يمر أسبوع إلّا وأتصل تلفونيّاً بالمكتب على أمل الربح، وفي كل مرة لا أجد منه غير كلمة: اصبر، اصبر، ولكن كيف أصبر والأرض سعرها ينحدر كل شهر، ولا من زبون ولا مشترٍ.

وفي أحد الأيام جاءني اتصال من صاحب المكتب يبشرني أن هناك زبونا للأرض، وفعلاً تركتُ كل ارتباطاتي وذهبت إليه، ووجدت الزبون جالساً عنده، وكان رجلاً (تربل ميكر) ـ ليس لديه أي أدب أو مجاملة ـ، لم يسلم عليّ ولم أبادله أنا كذلك السلام.

وعرفت من صاحب العقار أنه سوف يشتري الأرض مقابل سيارته المستعملة، والغريب أنني وافقت على مبدأ (ريحة أبو زيد ولا عدمه)، وتبادلنا المواقع وانتقلت ملكية السيارة لي، وبعد عدة أيام سافرت بها من جدة إلى الطائف مروراً بمكة.

وفي طريقي، صدمت بها ثلاث مرات؛ قبل أن أخرج من جدة مرتين،

ومرة ثالثة عندما وصلت إلى الطائف مع سيارة بوليس! صحيح أن الصدمات كانت بسيطة وتصالحت مع مَنْ تصادمت معهم بمن فيهم رجل الشرطة الذي كتب لي مجرد مخالفة دفعتُها فيما بعد، إلا أنني تشاءمت من تلك السيارة وعرضتها في (الحراج) للبيع، ولم يأتني غير نصف ثمنها الذي اشتريتُها به، فخسارتي كانت في الأرض ثم السيارة، وذهب جهدُ سنتين من كتابة البرامج هباء منثوراً.. والآن أصبحت تلك الأرض في وسط المدينة وسعر مترها الواحد (بالآلاف)، وكل ما أمرُّ من هناك أغمض عيني من شدة القهر.

صحيح (المتعوس متعوس حتى لو علقوا على رأسه فانوس).. ولكن الحمد لله، فعلى الأقل لا يزال قلبي حتى الآن يخفق، وهو معروض للبيع (بالتقسيط المريح)، فهل هناك من زبون لأضحك عليه؟!..

❊ ❊ ❊

الحب التركي العربي

عبدالرحمن الراشد

غادر آخر الأتراك الأراضي العربية منذ نحو قرن، فكانت نهاية حزينة لإمبراطورية عظيمة عانت من التفكك والفساد حتى سقطت بيد أبنائها الذين أعلنوا الجمهورية في العقد الثاني من القرن الماضي على يد كمال أتاتورك. ولا يزال يذكر الأتراك في كتب التاريخ العربية سلبيّاً كقوة احتلال غاشمة، رغم رايتهم الإسلامية، وحرصهم على الواجبات الدينية؛ فقد أرهق الأتراك العرب بإتاواتهم، وسوء إدارتهم، وكثرة حروبهم، وبطشهم العسكري.. على الأقل سجل ذلك الانطباع في الفصل الأخير من الحكم العثماني الذي كان سيئاً حتى للمواطنين الأتراك الذين ساندوا الثورة الكمالية.

ومنذ ذلك الحين ساد الجفاء بين الأتراك والعرب حتى استيقظ الطرفان في مناسبتين مفاجئتين:

الأولى: ارتفعت شعبية الأتراك بسبب مسلسل غرامي تركي عرضه تلفزيون الـ«إم بي سي» في الصيف الماضي، وحرَّك في العرب شيئاً جديداً من الحب للجار الشمالي الذي طرد في الماضي بسبب قسوته.

والمرة الثانية: بعد التضامن التركي مع الفلسطينيين في أحداث غزة،

واحتفى به العرب، حيث أصبحت تركيا في نظرهم فجأة دولة إسلامية عظيمة، بعد أن كانت تُرمى بالعلمانية، ورأى فيها الإسلاميون حليفاً، متجاهلين أنها حليف لإسرائيل من جانب آخر.

هذا الغرام المتبادل الذي أوقده حماس رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان واستجاب له الأصوليون سريعاً؛ حيث عقدوا مؤتمرهم في تركيا.

الحماس جعل العديد من المحللين العرب يعلنون أن تركيا غيرت بوصلتها من القارة الأوروبية إلى الجنوب العربي، رأيٌ متعجِّل مبنيٌّ على حوادث قليلة، وتحديداً مناسبتين:

الأولى والأهم: موقف تركيا الإيجابي في أزمة غزة.

والثانية: الانسحاب المسرحي لأردوغان في مؤتمر دافوس احتجاجاً على كلام قاله رئيس إسرائيل شيمون بيريز.

وكما وقع البعض في غرام المسلسلات التركية الجديدة، المدبلجة سوريّاً، هام البعض أيضاً في الموقف التركي السياسي المعادي لإسرائيل والموالي للعرب.. وقد لا يكون موقف رئيس الوزراء التركي حقيقيّاً أكثر من حقيقة وجود شخصية مهند، بطل مسلسل نور التلفزيوني؛ فهناك حقائق عديدة تجعل الموقف الحقيقي لأنقرة، لا الموقف الدعائي، مغلولاً بجملة ظروف؛ فأكبر مداخيل تركيا الخارجية لا يوجد فيها طرف عربي، فهي تبيع وتشتري على التوالي مع ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وروسيا وإسبانيا، وتركيا هي الطرف الضعيف لأنها لا تصدِّر موادّ أساسية مثل البترول.

وإذا كان يظن البعض أنه يمكن تعويض الأتراك بالتجارة البينية مع العرب؛ فإن العرب أفقر من تعويض الأتراك عن اليوروات الأوروبية، فميزانية الحكومة التركية تبلغ مئة وسبعين مليار دولار، في حين لا تصل مصاريف سورية إلى سبعة مليارات فقط.. الأمر الآخر تركيا عضو مهم في

حلف الناتو، ولعضويتها التزامات أمنية وعسكرية، تجعل موقفها الحقيقي لا يماثل موقفها الفعلي، فهي تجري مناورات عسكرية مع إسرائيل في نفس الوقت الذي كانت تجري فيه مناورات صداقة كلامية مع العرب!.. موقف ليس خاصّاً بالأتراك، فالعرب أنفسهم لا يقلُّون نفاقاً، حيث إن بعضهم يتبنَّى سياسة علنية معادية، وأخرى ودِّية بعيدة عن الأنظار.

رغم ذلك فإن دخول الأتراك على خط النزاعات العربية قد يكون نعمة، وقد يصبح نقمة؛ فإن التزم الأتراك موقفاً مؤيِّداً للقضية العربية فإنهم سيضيفون إليها ثقلاً مهمّاً نحتاج إليه في الأيام التفاوضية المقبلة، أما إن كان مجرد انضمام إلى حلف عربي ضد حلف عربي آخر فإننا سنرى فيه عودة للسياسة التركية المرفوضة قديماً التي تسببت في طردهم، وأسوأ من ذلك لو كان موقفاً انتهازيّاً، مثل موقف إيران، للمساومة مع الأوروبيين على عضويتهم في الاتحاد، هنا كل ما نقوله: أعان اللّٰه العرب على كثرة الانتهازيين.



..ليه يا شيراك؟

جميل فارسي

أكتب لك باسم الملايين في العالم العربي من مشرق شمسه على الخليج إلى مغربها على هامات جبال الأطلس.

لقد صدمْتَنَا على شاشة التلفزيون يوم الأربعاء وأنت تُغادر قصر (الإليزيه) مُسلِّماً إلى خلفك (ساركوزي) رئاسة الدولة، وتُناوله بيدك صندوق شِفرة سلاح الردع النووي الفرنسية.

كيف تسمح له بالدخول إلى (الإليزيه) بدلاً منك؟ كيف تترك الأمة الفرنسية في هذا المنعطف التاريخي الهام؟ لم يمضِ عليك إلا عقد واحد فقط في قصر (الإليزيه)! وما هو عقد واحد في عمر الشعوب؟ أين الاستقرار؟ لماذا تحرم الأمة الفرنسية من نعمة الاستقرار؟ وها أنت تُغادر (الإليزيه) ماشياً على قدميك وبدون عكاز متمتعاً بالصحة والرزانة.

«يا راجل» كيف تستجيب لصندوق الاقتراع؟ لماذا لم تُلغِ نتائج الانتخابات؟ فلعلّ من فاز بها لا يُريد الخير لفرنسا، أو أنه يُريد أن ينقضَّ على الديموقراطية، آه يا (شيراك) ليتك استعنت بنا من البداية! كان بإمكان العالم العربي أن يُرسل لك فريقاً (يوضِّب) لك الانتخابات ليكون النصر حليفك، حتى وأنت لم تُرشح نفسك أصلاً للانتخابات!

فربمـا الأمـة الفرنسية لا تعـرف مصلحتهـا، خصوصاً أنـك تعلم مدى التلاحم بينك وبينها.

«شوف يا عم شيراك»، الدستور الفرنسي يسمح لك بإعلان حالة الطوارئ في الحالات التي تُهدّد الأمة الفرنسية، وهل يوجد تهديد أكثر من هذا؟! لذا كان بإمكانك التحفظ على (ساركوزي) شخصيّاً، وممكن أن نبعث لك من العالم العربي فقهاء في القانون الدستوري يوجدون لك المخرج القانوني.. وإن لزم الأمر فممكن أن «نفصِّل لك كام» مادة دستورية.. وإن لم تُردها دستورية وتُريدها شعبية فممكن أن «نوضِّب لك كم» مظاهرة تهتف «كاك كاك، بالروح بالدم نفديك يا شيراك».

فتحت صحيفة (لومونـد) فلم أجـد فيها أي صفحات إعلانيـة ترحيباً بـ (ساركوزي)! أين أثرياء فرنسا؟! أين رجال الأعمال؟!..

أما مجلة (باري ماتش) فهي أسوأ، لا توجد فيها أي مقالة توديعية! أين المثقفون؟! كيف نسوا موائد العشاء معك؟! لم يكتب أحد أنه بكتك طيور النورس وبكاك حمام (الكونكورد) واشرأبَّ لك عنق التاريخ ـ يعني إيه اشرأبَّ بالفرنساوي؟ ـ أين المثقفون أحفاد (بلزاك) و(جان جاك روسو)؟! لماذا الصمت؟! هل صمت المثقف موقف؟!..

أمّا وقد ضاعت عليك، هداك الله، وخرجت، فإنه آلمنا أن أعلنوا في التلفزيون أنك خرجت وليس لك بيت إلا الشقة التي أهداك إياها أصدقاؤك، كان بإمكان الجمعية الوطنية أن تجتمع وتُقرّر أن يكون (الإليزيه) سكناً دائماً لك، ويختاروا قصراً آخر للرئيس الجديد؛ فلكل رئيس قصر وللأمة العشش!..

ثم أصلاً كيف خرجت وليس لك بيت؟ يا راجل ألم تعمل محفظة استثمارية من ذلك النوع الخاص المعروف في عالمنا العربي والتي ترتفع

قيمتها عندما ينهار السوق وتتضاعف قيمتها عندما يهتز المؤشر؟ انسَ المحفظة الاستثمارية، ألم تعمل أي مخطط عقاري؟ ألم تحلُ في عينيك أي قُطيعة أرض؟ أنا شخصياً لاحظت وجود زائدة تنظيمية في أول شارع (سانت هونوريه) الذي يُحاذي قصر (الإليزيه) فكيف لم تلاحظها أنت؟ بعد قصر (الإليزيه) بثلاثة شوارع توجد حديقة لا لزوم لها لماذا لم تتنبه لها؟! في آخر شارع (شانزليزيه) توجد برحة غير مستغلة، لمَ لمْ تأخذها؟ برج (إيفل) أرضه رائعة، من يحتاجه الآن وهو قديم؟ إنها فرصة هائلة كانت أمامك؟ موقف السيارات في زاوية الحي اللاتيني أكبر من اللازم، ومن يحتاج موقف سيارة بينما (المترو) أسرع وأنظف للبيئة، إنها قطعة ذهب.. عند مخرج النفق في (الساكريكور) توجد قطعة أرض طويلة رائعة وهي من مخلفات النفق بطول (٩٨٨٥) متراً، مخلفات والله مخلفات، لمَ لمْ تلحظها؟ كيف تسير في شوارع باريس ذهاباً وإياباً وعيناك مغمضة عن كل هذا؟!..

فعلاً تستحق أن تخرج من قصر (الإليزيه)! «كسفتنا» مع الجماهير العربية!..

ثكلتك أمك... بئست الحياة حياة الفرنجة!.

* * *

في الحجاز لا تسمع آلو آلو

د. محمد حامد الأحمري

كتب أمين الريحاني عند قدومه إلى الحجاز في زمن قديم ـ أو قل: على الأصح أيام اعتزاز أهلها باللغة العربية ـ وكان فرحاً بوجود جهاز الهاتف في هذه المنطقة مع الحفاظ على ثقافة أهلها، قال: «الهاتف في مكة المكرمة! ولكنه مستغرب تماماً، فالحجاز هي البلاد العربية الوحيدة التي لا تسمع فيها: آلو آلو، الناس هناك يهتفون ويتحادثون بلغة عربية لا رطانة ألبتة فيها»[(١)].

قريباً، دخلت مكتبة عربية في دولة مشرقية، وعند الباب حارس بيده قائمة يسجل فيها الداخلون أسماءهم، فكتبت اسمي بالعربية، فاعترض الحارس الهندي محتجّاً، وقال: «إنجلش»، قلت له: «هذا بلد عربي»، ولم أقل له بأن البلد لم يصبح: «مستعمرة هندية»، فطلب بعد إصراري أن أكتب بالعربي، أن أكتب بجانبه ترجمة بالإنجليزية، قلت: اطلب مترجماً غيري، غضب مني غضباً شديداً، ومرّر الموقف بحنق، ثم عقب مفسراً: إن الإدارة هنا ـ وهم عرب ـ يريدون الكتابة بالإنجليزية! هممت أن أقول له: لعلهم أميون معقدون، يحبون أن يقال عنهم: أفندية!..

(١) ملوك العرب، ص٢٩، طبعة ١٩٥١م.

الحارس صادق؛ فالإدارة العربية تخضع للغة الحارس الإنجليزية الهندية، التي لا يكاد يفهمها هو نفسه، فهو من يردد بعض حروفها، وتستحيي الإدارة أن يقال عنها: أمية أو غير واثقة من نفسها لو كتبت بلغتها؛ لأن اللغة العربية لدى الأميين العرب أصبحت علامة تخلف، والإدارة تحب أن تكون تقدمية، فتكتب أو تحاول أن تتحدث بلغة الاحتلال الثقافي الهندي؛ فالبربرة وخلط كلمة إنجليزية وأخرى عامية هي ثقافة تميز بها الأميون في المشرق العربي.

مشيتُ وفي القلب مشاعر عديدة، أهمها أن هذا الحارس الهندي الطيب الأمي، ربما أصبح محتلّاً لعقول المشرفين على مؤسسة ثقافية، ورثيت لهذا الخليج العربي الذي تتسع فيه أمية السكان، يلطخون أميتهم بكلمات إنجليزية تثبت أميتهم، هذا الخليج الذي يتجه ليكون هنديّاً تابعاً لبدائية هامشية ثقافية للأميين الهنود، ليست حتى ثقافة الهندي، وبرغبة الأميين المؤثرين من سكان المنطقة، وخنوعهم للأميين العابرين، وما تشير إليه لغتهم من احتلال هندي للمستقبل.

ثم إن عقدة التبعية للهند أكبر ممَّا تخطر ببال السكان في المشرق العربي، فها هو سائق أو خادمة هندية أو سيرلنكية تحل ببيت العرب، فتحوِّل لغته مباشرة، ويصبح البيت مستعمرة سيرلنكية أو بنجالية، وإذا أرادت الخادمة أن تتبعهم أو تتعلم لغتهم، أبوا ذلك، بل يتبعونها بشغف!.

في مطار الرياض، جاء راكب متأخِّر، فحاول اللحاق بالطائرة، وكان يطلب السماح من المراقب ـ من أهل بلده ـ فأخبره بعدم إمكان ذلك، فنهر المتأخر ابن بلده بقسوة، فحوله مقهوراً للمراقب الهندي، فبدأ يخاطب الهندي: «بليز»، أي: فضلاً! تعجب المواطن، وقال بمرارة: عندي سبّ، وعنده «بليز!».. شهدت الموقف؛ فهل المتأخر لا يعرف من اللغة الأجنبية

إلا هذه الكلمة؟ أم هل هذا شعور بالدونية اللغوية؟ وهل العربية لغة إهانة والإنجليزية لغة احترام؟ أم أن اللغة الأجنبية تفرض ثقافة احترام ليست عندنا! أم أننا إذا تحدثنا بلغة أجنبية عادت لنا بعض سمات الاحترام للذات! أم أنه الضعف الثقافي المريع، والأمية المغرقة، فالقابلية للاستتباع، تقمع الذات وتذهب العزة وتبيد الكرامة الذاتية، وتسحب العربي لقمع الرقي اللغوي، وهجر التهذيب!..

إن المواطنة والعزة والقومية والدين والمصلحة المادية لسكان بلدك، تفرض عليك تقديس وتقديم لغتك، لتجد ثقافتها سوقاً ومـالاً، وليجد متكلموها مكاناً، وتحيي تراثاً، وتصنع لها مستقبلاً، وإن التبعية والمهانة والخذلان، تجعلك تبربر في بلدك بلغة المحتلين القاهرين، والإحصاءات غير الدقيقة، تقول: إنه يتحدث بها أربعمئة مليون.

في فندق خليجي، اشتكى الضيف من عدم قدرته على تحقيق مصالحه فيه، فهاتفت موظف الاستعلامات بالعربية، فلم يعرف، فقلت له بالإنجليزية: أريد أحداً يتحدث العربية، فحولني لثانٍ ثم لثالث ثم للاستقبال، ثم قال لي المسؤول الكبير: بعد نصف ساعة سيأتي موظف يعرف العربية!.. وأحد ضيوف الفنادق العربية مرة ـ وهو غربي ـ يقول: كنت أود أن أجرب وأطبق ما أعرفه من العربية الضعيفة، فوجدت في بلادكم أنه يجب علي أن أتعلم الإنجليزية العربية والإنجليزية الهندية! سيحتج الأميون بالسياحة! وكأن سياحة قريتهم أكثر من تركيا أو فرنسا التي تدافع عن كرامتها اللغوية بشراسة!..

ثم إن من معاني هذا: أن الضيوف العرب ـ وأغلبهم رأيتهم من الخليج بثيابهم ـ لا بد أن يهينوا أنفسهم في بلادهم، ويلغوا عزتهم القومية،

ويبربروا بإنجليزية هندية وإنجليزية صينية وإنجليزية عربية، وما شئت من لهجات الدنيا؛ إلا العربية فإنها محرمة، ومن معاني هذه المأساة تردي الخدمة وضياع الذوق، وغربة الإنسان في بلده، وإهانة لغته.

أما عن الإنجليزية الهندية في الخليج، فقال لي أحد الأصدقاء: كنا في الرياض نرى كلمة «سيم سيم» تعني عندما تكرر الشيء نفسه أو أمرين متساويين، وفي معهد لتعليم الإنجليزية في بريطانيا قال الإنجليز: إننا لا نستعمل هذه الكلمة مكررة بهذا الأسلوب، ولا تكفي مقطوعة هكذا عن السوابق أو اللواحق، وبقي أن يستفسر هؤلاء عن معانيها في اللغات الانجليزية.

أما اليوم، فإن استطاع أحدهم أن يخلط عربية بإنجليزية في أي مقطع من الكلام، فسوف يشعر بأنه تقدَّم تقدُّماً كبيراً فوق الجميع، وفي مصر لغة هجين عجيبة، فالمتحدث يضع الكلمة العربية ثم يخبرك بعدها أنه يعرف المرادف لها، فيقولها بالإنجليزية المصرية، وإن كان متعمقاً أكثر. حذف المفردة العربية ووضع ما يعرف من اللغة الأجنبية مكانها، في تشويه يمكن تسميته «تجدير العربية ـ نشر الجدري على وجهها ـ وهناك بلاد أصبحت تسمي نفسها: كسا (KSA)، كما يطيب لبعضهم في الإعلام حتى الرسمي، وفي لوحات السيارات ألغي اسم البلد العربي، وأصبح KSA، وشركة الهاتف كان اسمها «الاتصالات»، هذا الاسم الجميل الواضح وفي بلد الولاء والبراء، أصبح يروج لها ماروني ويسميها «إستيسي STC»، وشركة فودا فون البريطانية، فتحت فرعاً فسمته: «زين»، فأيهما متخلف حضاريّاً ومصرّاً على السير للوراء؟ البريطاني يفكر في الربح والذوق، والبدوي لا يفكر بل يستولي عليه التبعية والانسلاخ؟..

إني أعذر كبار السن الذين يتناولون جهاز الهاتف ولابد أن يقولوا: آلو

آلو، حتى يرد عليهم الطرف الآخر؛ لأنهم توقعوا أن آلو شرطاً في عمل الجهاز أو تشغيله، ولكن كيف أعذر نفسي وغيري عندما نتكلف لغة غيرنا ونتصنع ما لا نفهم؟!..

مرة، كان يسير سائح أمريكي مسلم يسير في سوق مغربي، وسمع أغنية جنسية وقحة تذاع في الشارع العام على آذان مواطنين محترمين، فاستنكر وقال: هل فعلاً يفهم هؤلاء هذه الكلمات؟ إنها كلمات غاية في البذاءة، أين ذوق الناس في بلادكم؟! ولكن العربي الذي كان معه قال: إنهم لا يفهمون من هذا الكلام شيئاً، إنهم يذيعونها حتى ترضوا عنهم ويقال: إنهم مثلكم! إنها من رسوم التخلف العقلي والثقافي أن تجبر سكان المستعمرات على لغة وثقافة المستعمرين وإن لم يفهموها، فيقال في المستعمرات ويمارس من الدناءة باسم المستعمرين ما يترفَّع عنه المستعمرون في بلادهم!.

وعوداً على مستوى الوعي الحجازي أيام الريحاني، فقد كانوا في الحجاز آنذاك يفرِّقون بين الهاتف وبين ثقافة مصنعيه، ولكن يراهن المستعمرون دائماً بالقضاء على عقول وهوية المستعمرات بالتهويل، فلو حصل فصل بين اللغة والقوة، أو اللغة والذوق، أو بين المسيحية والنجاح، أو بين الشقرة والذكاء، لفقد المستعمر بعض مبررات الاستعباد للشعوب والثقافات المهزومة.

وقد كان المستعمرون يحرصون على الاتصال الموهم بين المستعمر والآلة، بل وقوى الكون المسخرة له، أو يوهمون بأنها جزء من قوته، وكانوا يهوّلون ذلك في وجوه الضعفاء، فمن تلك القصص التي سجلها المستعمرون في أمريكا الجنوبية: أنهم زعموا أن الهندي لم يكن يتخيل أن الفارس الإسباني والفرَس كيانين منفصلين، بل يتوقعونهما مخلوقاً واحداً هائلاً،

أو حيواناً مرعباً قاتلاً له ذكاء الإنسان المحارب وقوة الحيوان، حتى إنهم كما قيل: كان الإسبان يقتلون الفرس المصاب أو يحرقونه، حتى لا تهتز أو تختفي الأسطورة من رأس الهندي المغلوب على عقله.

أما فرحة الريحاني بما رآه في الحجاز، فقد سابقه عبد الغني العريسي متحسِّراً من تملق بعض المواطنين أو إكراههم على لغات أجنبية: «أما في ولاياتنا العربية، فإنهم لا يخجلون من أن يستعملوا اللغة الفرنسية بدلاً من العربية مضافة إلى التركية، فترى أوراق البرق ودوائر البريد تعلوها الرسوم التركية والفرنسية، فيا ويح من لا يخجل أن يهين الأقوام في بلادهم بامتهان لغتهم»[1]. ولكن الضعفاء الذين لم يمتهنهم الصنفان من قريب، أهانوا أنفسهم في بلادهم!.

فالمؤتمرات في بلاد العرب بالإنجليزية، وأسماء العرب بها، أو قد تكرم فتكتب تحت الرطانة الأجنبية، وزعماء أوروبة يسمع كل منهم لخطاب الآخر عبر مترجم، وفي بدء الاتحاد الأوروبي، (١١) ألف وظيفة ترجمة، فحصل إغناء للغات المحلية، ويوم تحدث وزير فرنسي في اجتماع للاتحاد الأوروبي انسحب شيراك من المؤتمر بسبب الإهانة أمام تلفازات العالم، ولم يعد إلا بعد نهاية الإهانة، فكم من زعيم عربي طرد موظفاً أو وزيراً لأنه أهان بلده ولغته في داره! لا، لن يحدث؛ لأن هؤلاء يعتزون بأن يهانوا في بلادهم!..

أجهزة الرد الآلي في المكاتب لم تعرب بسبب بخل مديريها، وغربة التقنية في بلادهم فتبقى كما استوردت، والمستورد لا يملك من الفطانة لاشتراط التعريب، أو حتى يدَّعي صاحب الشركة أنه أصبح أفنديّاً، ويعرف

(١) مختارات المفيد، ١٩/٢/١٩١٢م (عن مجلة الدوحة، ١٩).

إنجليـزي في السنين الخوالي.. كان الأفندي مـن يملك الراديو «المذياع»، وكان الدارج: «يا واللّه اللي تفندى واشترى رادي»، لم نذهب بعيداً!..

أما لوحات السيارات في بعض البلدان العربية، فهي دليل على فوضى عقلية وبؤس في الذوق، فتخلط لغتين، وتلغي اسم البلد بالعربية، وتجمع رسمين مختلفين بالحروف، وتترجم الأرقام، ففيها كل ما تتخيل إلا تحقيق هدفها! وقد يكون السبب وجود سائق أجنبـي!..

وتخفيفاً لأخبار التخلُّف، لا طمساً للفكرة التي أتمنى أن تفهم، فقد زعم أحد أقاربي أن: «لوحة الدكان بالإنجليزي وعندنا راعي يقرؤها! وعندنا إشارة مرور ضوئية لا نعتبرها، بل نمرّ بحسب السنّ الكبير فالكبير!».

لا نؤيد رفع شعار: «مكتبنا نظيف من العجمة»، ولا: «شارعنا نظيف من الرطانة»، بل نحب من يحترم حق لغتنا أن تعلو في بلادنا.

أيها العباقرة دمروا ما بقي من العربية، لأن حارس المكتبة هندي، ولأن في البادية راعياً، ولأن في المدينة سائقاً! فاللّه عهد إليكم تعليم وتعلم الإنجليزية ونشرها، سيحزن الريحاني الذي تعلَّم العربية بعد اللغات الأجنبية، فأبدع بها أجمل النصوص، ثم يقول: شَوَّه جدري اللغة وجه الحجاز، الذي كان قد أغرق العالم بالإعجاز!



كلمة أهالي تولوز!

صالح محمد الشيحي

في تولوز الفرنسية، أو «تولوشة» كما أطلق عليها المسلمون بعدما سقطت في أيديهم في معركة تولوز ـ كنا جنباً إلى جنب أنا والروائي ضخم الرأس جدّاً «عبده خال» في حفل شركة إيرباص حينما التفتُّ نحوه وقلت له: هناك خلل في تنظيم الحفل يا عبده: لم يتم استقبال الرئيس التنفيذي لشركة إيرباص بالمباخر والعودا..

وعلى الطرف الآخر كان العكاظي «خالد السليمان» يؤكِّد فشل الحفل الخطابي.. لأنه كان مبسَّطاً ولم يشتمل على قصيدة شعرية!..

الحفل كان لاستلام عدد من الطائرات فئة (إيرباص ٣٢٠) التي ستدخل ضمن أسطول الخطوط السعودية الجديد.. وكانت صورته بسيطة بشكل لافت.. بهو واسع يضم مجموعة من الكراسي الخشبية ـ أشبه ما تكون بكراسي طلبة المدارس.. تم اختيارها وتوزيعها بعناية، لا فرق بين كرسي وآخر؛ لا في اللون ولا في الحجم.. أمام الكراسي كان هناك طاولة صغيرة للمايكروفون.. لم يكن هناك أي شيء آخر على الإطلاق!..

لا طاولات ضيافة ولا وروداً ولا لافتات ترحيبية ولا جيشاً من المستقبلين و«المترززين» أمام الرئيس التنفيذي لشركة إيرباص.. لم يكن هناك قهوة

ولا فناجين قهوة «تقرقع» في الحفل.. بدأ الحفل بحضور السفير السعودي المثقف «محمد آل الشيخ» بكلمة الرئيس التنفيذي لشركة إيرباص لصناعة الطائرات.. ثم كلمة المهندس خالد الملحم مدير عام الخطوط الجوية العربية السعودية.. ثم تم تبادل الهدايا التذكارية البسيطة والتقطت الصور، وانتهى الحفل الذي يقام على هامش صفقة بمليارات الريالات خلال عشر دقائق بالضبط، وانتقل الحضور لحفل غداء مبسَّط هو الآخر أقامته الشركة لم يحتوِ على المفاطيح ولا الأرز!..

أتذكر أنني همست في أذن العمدة محمد صادق دياب: «أين هي كلمة أهالي تولوز؟!»..

الخلاصة: اليوم حفل تقيمه إدارة ما؛ استقبالاً لوزيرها يستهلك أسابيع طويلة من الاستعدادات والترتيبات وميزانية ضخمة وصراعات ولجاناً لاختيار من سيلقي كلمة الأهالي، ومن سيلقي القصيدة على مسامع معاليه!..

❊ ❊ ❊

مصر التي في خاطري

د. جميل محمود مغربي

يخيَّل إليَّ أنه لا يوجد شعب يحب بلده قدر حبّ المصريين لمصر، كما أنه لا يوجد شعب يسيء لبلده قدر إساءة بعض المصريين لمصر، وللمصري أن يغضب، ولكنني ألتمس منه التريُّث لاستكمال قراءة المقال؛ علّ الحروف القادمة تمد كفها لتمسح ما ران على قلبه.

من شاهد بطولة كأس الأمم الإفريقية قبل الأخيرة والتي أقيمت مبارياتها على أرض مصر ربما خامره ما خامرني من شعور وهو يلحظ دفق المشاعر المصرية، واكتظاظ الشوارع وتأجج الحياة في المنازل والمتاجر والطرقات تشجيعاً لمصر ودعماً معنويّاً لمنتخبها.

وقلت في نفسي أو لنفسي: من يملك مثل هذا الشعور تجاه بلده وترجمه إلى تطبيق فعلي وعملي يستطيع أن ينقل بلده إلى الصفوف الأولى من التقدم والازدهار؛ فمصر الواقع والتاريخ استطاعت بنوابغها الأفذاذ أن تجعل من بلدها مدرسة رائدة يستقي منها العالَمان العربي والإسلامي مبادئ المعرفة والثقافة، وتضع بقية الدول على مسار التعلُّم والفكر والحضارة.

فليس الأمر على ما أورده هيردوتس ويتناقله المثقفون من أن مصر (هبة النيل)، مصر منجز ثقافي وحضاري حقّقه أبناء مصر منذ

عهـد الفراعنــة، وامتداداً إلى عهـد الهكسوس، وانتهــاء بالإسهام العربي والإسلامي.

ولم أذكر الأقباط لقناعتي التي سبق أن ذكرتُها هنا قبل زمن من أنَّ كلَّ مصري قبطي، ولكن مصر بانفتاحها الحضاري تمتصُّ وتتشرب خصائص كل مرحلة تعيشها، وينصهر في بوتقتها كل وافد على أرضها لتصنع مجتمعاً متجانساً ومتماسكاً يجتثُّ القادم من جذوره ليغرسه على ضفاف النيل، ويصبح غرسه في حديقة الوعي المصري، ولك أن تذكر وتتذكّر أدباء وفنانين لا يهتدي لأصولهم إلّا من خلال التتبع التاريخي، ولا يتم التعامل معهم إلّا على أنهم رموز وشخصيات مصرية.

مصر ليست هبة النيل، وإنما هي هبة اللّه للمصريين، حيث منحهم عبقريات ترتقي بمصر والمصريين؛ ففي المرحلة المعاصرة عرفنا في الأدب أسماء تصنف على أنهم المدرِّسون الأوائـل في مدرسة الثقافة العربية، فَقَلَّ أن أفلت أحد في العالم العربي من الأدباء أو شداة الأدب من مدرسة العقاد أو طه حسين أو الزيات أو الرافعي أو المازني، وندر أن ندَّتْ عن أذن متلقٍّ أشعار البارودي وشوقي وحافظ وخليل مطران، أو لم يستمع متأمل لترتيل محمد رفعت أو طه الفشني أو الطبلاوي أو غيرهم ممن يصعب تعدادهم في عجالة عابرة.

وقَلَّ من لم يقرأ أو يعرف نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد اللّه ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس.. وهناك أسماء تداني هذه الأسماء في مجالات الطب والعلوم والاقتصاد والإحصاء والإدارة والتخطيط، وكل فرع من فروع العلم والمعرفة.

وكثير من الـدول قامت على ضفاف أنهار فلم يمنحها ذلك الحياة والخلود والإنجاز المؤثِّر في بقية دول العالم، أو يضع لها بصمة في الدول

المتاخمة والمجاورة لأراضيها، أو في محيطها الإقليمي قدر ما صنعت العبقريات المصرية.

ولذلك فإن حجر الزاوية الذي أود أن أخلص إليه يتصل بمسألة وعي المصري بأهمية مصر ودور مصر ليس بمجرد سلّ الأقلام وتجريد حسام المقارعة للنيل من الآخرين، وإنما باستعادة استنهاض تلك الهمم الكامنة للشروع بنهضة مصر كي تبزغ شمسها ثانية على أديم الكون.

لم يعد كافياً أن نردد مقولات دون أن نترجم الرغبة إلى خطة عمل، ونجعل منها إرادة صامدة وقوية نحو الاندفاع إلى الأمام، ومصارعة الدول المتقدمة.

ومعضلة مصر أنَّ نسبة الأمية تصل إلى (٥١٪)؛ وهي نسبة عالية تتجاوز نصف تعداد السكان بدرجة واحدة، وهو ما انعكس سلباً في صورة ضمور الوعي بقيمة وأهمية مصر، وأفضى بالتالي إلى تراجع دور مصر الحضاري.

في آخر زيارة لبريطانيا التقيت أسرة تربطني بها صداقة وجوار، فساءني استياء تلك الأسرة من سوء التعامل معها في مصر، وأنا على علم بمستوى تلك الأسرة العلمي والخلقي والاقتصادي، وأعلم من جانب آخر أنَّ السائح الغربي يحظى بمنزلة متميزة في مصر تفوق منزلة السائح العربي، مع أن الأخير ينفق أضعاف ما ينفقه الأول.

وتفسير ذلك يكمن في ما ينتهجه بعض الغوغاء من أبناء مصر من زعم الذكاء الموهوم، أو ما يطلق عليه (الفهلوة) في استلاب أموال الآخرين بصورة سلبية تنعكس على الحياة الاقتصادية بعامة، وتضر بأفراد وأسر تقوم حياتهم على الأنشطة السياحية التي تنعكس تأثيراتها على الحياة الاقتصادية بعامة، باعتبار السياحة ركيزة من ركائز الدخل القومي المصري.

ولقد سبق أن جمعتني طاولة عشاء دعاني إليها سعادة السفير الصديق محمد أحمد طيب مدير عام فرع وزارة الخارجية بجدة، بمعالي وزير السياحة في مصر الأستاذ زهير جرانة، وضمت طاولة العشاء معالي الدكتور محمود سفر وزير الحج الأسبق، ومعالي الدكتور سهيل حسن قاضي مدير جامعة أم القرى الأسبق والشيخ عبدالرحمن شربتلي رجل الأعمال، فسألت معالي وزير السياحة عن أهم أنواع الأنشطة السياحية في مصر، أو أكثرها إيجابية في تحقيق دخل قومي من خلال ضروب السياحة المختلفة من علاجية ورياضية وآثار؛ فكانت إجابته بأنها السياحة الشاطئية، لذلك أحسست بأهمية الإعلان الذي تُركِّز عليه وسائل الإعلام المصرية في تهذيب سلوكيات بعض الأفراد تجاه ضيوف مصر، لكي ينعكس إيجاباً على الاقتصاد المصري، وإجمالاً على الصورة المصرية في أذهان الآخرين.. وحينما يعلم كل مصري بأن مصر قد سبقت اليابان في ميدان الصناعة، ولكنها بدأت بالصناعات الثقيلة؛ لأدرك من خلال الفارق الصناعي ضرورة اختزال الزمن، ومضاعفة الجهد، وتغيير النمط السلوكي للَّحاق بركب الحضارة الصناعية، وحاول أن يجسِّد حقيقة ما تحدثت به مصر عن نفسها على لسان حافظ إبراهيم حينما قال وقالت:

وقفَ الخلقُ ينظرونَ جميعاً   كيف أبني قواعدَ المجدِ وَحْدِي

❋ ❋ ❋

أطفال وخادمات

عبد العزيز السويد

إذا كان لديك أطفال صغار يمكثون كل صباح مع الخادمة لأنك وزوجتك تذهبان إلى العمل، فإن هذا المقال يهمك، بل إنه من الواجب عليك أن تشاهد مقطع الفيديو المنتشر حالياً على شبكة الإنترنت، يصوِّر المقطع خادمة آسيوية تضرب طفلاً عمره سبعة أشهر على رأسه ضرباً مبرحاً، تسمع صوته من دون مؤثرات صوتية، ويظهر أن بكاء الطفل أزعجها؛ وهذا هو العلاج الوحيد الذي تجيده، القصة ومشهد الفيديو يتم إرسالهما من طريق البريد الإلكتروني، وهو موجود أيضاً في رسالة من أم الطفل على موقع للتربية والتعليم، وعلى هذا الرابط (http://alsedeg.net/a.htm).

شكوى الطفل وأخيه الأكبر (سنتان) من الخادمة بلغة الطفولة جعل الأب يضع كاميرا مراقبة، وسجلت الكاميرا مشهداً مروِّعاً ينمُّ عن صفات غير إنسانية في تلك الخادمة، خصوصاً أن أهل الطفل قالوا: إنهم يتعاملون معها بإنسانية ومودة، ولم يلاحظوا عليها قسوة في معاملة الأطفال أثناء وجودهم في المنزل، وكانت المفاجأة، والقصة كما وصلتني في البريد وشاهدتها في موقع وزارة التربية والتعليم حديثة العهد، بل إن عمرها أسبوع واحد فقط.

هذه الحادثة المؤلمة حدثت في المدينة المنورة، وهي قد تصيب الطفل وأخيه بعاهات نفسية وجسدية عميقة، ربما يحدث مثلها لكثير من الأطفال الذين أهاليهم ليسوا على درجة من الإحساس والانتباه، فهم في ركض يومي محموم.

قصة مثل هذه ألا تجعلنا نعيد النظر في أمور كثيرة، مثلاً: هل تستحق الوظيفة ترك الأطفال نهبة للخادمات والسائقين، ونحن نرى الإجرام يقفز على الأسوار ويكسر الأقفال، أم أن الواجب على من يوفر الوظيفة تجهيز البيئة المناسبة لها، بحيث يتم نشر رياض الأطفال بجوار مدارس البنات تحت إشراف وبرسوم، هل ستعتبر مثل هذه الحوادث خارج نطاق صلاحيات ومسؤوليات التربية والتعليم، كما قيل عن حوادث المعلمات على الطرق السريعة والطويلة، على رغم أن مسمَّى الوزارة تم تغييره من المعارف إلى التربية... والتعليم.

وبالله عليكم كيف يمكن لمعلمة أن تعطي لأطفال الآخرين في الفصول الدراسية وأطفالها في أيدي غير أمينة، ألا يكفي قلقها عليهم ليجعل منها صورة في الفصل من دون مضمون يذكر، وتبقى القضية الأساس في أعمالنا هي الحضور والانصراف وفوق الخط الأحمر أو أسفل منه.

أعتقد أن كل جهاز حكومي في بلادنا في حاجة إلى إدارة يطلق عليها إدارة التفكير، مهمتها لا تتعلّق بتصريف الأعمال اليومية، بل تكون المهمة الأساسية لها استنباط الأفكار الجديدة لحل القضايا والإشكالات التي تعوق العمل أو تؤثر في العاملين، أرجو ألا يقال لي: إن هناك إدارات للتخطيط والتطوير، لأن مثل هذه الإدارات توضع غالباً بجوار الأرشيف، وتعلمون ماذا يعني الأرشيف؟!.

* * *

الصيف.. يفضح تناقض السعوديين

تركي الدخيل

منذ أن أفل صيف العام الماضي، وصديقي يمنِّينا بالصيف المقبل، ولكن لماذا؟!.

يعتقد صاحبنا أن الصيف المقبل، سيحمل في طياته كشف تناقض السعوديين وازدواجيتهم!..

سألناه حينها: كيف؟!..

أجاب بكل ثقة واطمئنان إلى نظريته: عادة ما يقضي الناس الصيف ليكون شهر أغسطس (آب) هو لب الصيف، والإجازات.. وقد اعتاد السعوديون على السفر في الداخل والخارج خلال هذا الشهر، وهم يصرفون الميزانيات الضخمة جماعات وأفراداً في سبيل المتعة الصيفية، البريء منها، والمتوحش، المقبول منها، والمرفوض.

في وسط شهر أغسطس (آب) للعام الجاري (٢٠٠٩م)، سيحل شهر رمضان، وسيعيش معظم السعوديين صدمة في سلوكهم، بين ما يمارسونه في الصيف، وما يمارسونه في رمضان.. بين اليسار واليمين.. بين الانفلات والالتزام!..

قلنا لصاحبنا: أربع على نفسك.. وفي رواية محلية: أركد شوي، اضبط

أعصابك، فالحالة بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، لا تنطبق على معظم السعوديين، بل على قلَّة منهم، كما كل شعوب الدنيا.

أطلق الرجل ضحكة سخرية من حديثنا، وقال: هذا التفريق الذي تقولونه ينطبق على الأسرة السعودية، لتأكيد كلامي، لا لنفيه؛ فأنتم ترون الأب يكون محتشماً يبدو عليه آثار الوقار أمام أبنائه، ثم يخلع هذا الزي المزور فور أن يكون بين شلته.. ذات الأمر يكون عند الأم، وإن بازدواجية أقل، وهكذا الأبناء.

رفعنا عقائرنا جميعاً بالاحتجاج على صاحبنا، معتبرين أنه يحاول أن يعمم حالات يعرفها على شعب يكاد تعداد سكانه يزيد على العشرين مليون نسمة؛ قلنا له: الأحكام العامة، والانطباعات المعلبة، لا تصح في حق الجماعات والشعوب..

لم نقتنع بكلامه، ولم يقتنع بكلامنا، وقبل أن يتركنا، قال: غداً سترون وموعدنا أغسطس!.



لماذا يحترف اللبناني «النقّ»؟

جهاد الخازن

تركتُ والعائلة بيروت الأسبوع الماضي والحرارة فيها (٢٠) درجة مئوية أو نحوها، ووصلت إلى لندن والحرارة درجتان تحت الصفر.. وأمطرت الدنيا يومين خلال أسبوعين قضيتهما في بيروت، وهطل الثلج في لندن بعد وصولي بيوم وضربت بريطانيا عاصفة قطبية.

أعرف أن الدنيا ليست طقساً فقط، إلا أن الطقس على مدار السنة، وعندنا في لبنان أربعة فصول واضحة المعالم، لذلك نقول: إن الدنيا «تشتّي» بمعنى تمطر؛ لأن المطر في الشتاء.. في لندن هناك فصل واحد، وهو ليس ربيعاً أو صيفاً، والمطر على مدار السنة، وعندما غبت عن لندن يومين في «الصيف» الماضي وجدت أنني ضيعت صيفها كله، فقد عدت وقد استؤنف المطر.

لا أنتقص من لندن شيئاً، وقد أقمتُ فيها أكثر مما أقمتُ في بيروت وذكرياتي عنها سعيدة، وهي مركز مالي دولي ومدينة ثقافة وفن وعلوم، وعاصمة الإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغيب عنها، وأصبحت لا تشرق عليها بعد أن تقلصت ضمن حدود بريطانيا.

غير أنني أسأل من منطلق معرفتي بلندن وبيروت: لماذا يشكو اللبناني ويتجلّد البريطاني؟ إذا تجاوزنا الطقس؛ فهناك في لبنان بحر وجبل وسهل،

والشاطئ بين صخري ورملي (مثل سمك اللّقز)، فإذا أراد اللبناني أن يقفز من الصخر إلى ماء البحر فهو يجده في بيروت وغيرها، وإذا اختار أن يستلقي على الرمل فمنه كثير شمال صيدا وجنوب صور وحول طرابلس.

واللبناني الذي لا يعجبه العجب ويضيق بالوطن الصغير يستطيع بعد ساعة بالسيارة أن يكون في دمشق، أقدم مدن العالم المسكونة باستمرار، وهو على بعد ساعة بالطائرة من القاهرة وعمّان والقدس، بعد تحريرها، أو قبرص وشواطئ جنوب تركيا.

وأسأل مرة ثانية: لماذا يحترف اللبناني «النقّ»؟ هو يشكو من الغلاء، وأقول له: «لا تشكُ لي حتى لا أبكي لك».. لندن أغلى مدينة في العالم بحسب مؤشر الغلاء الدولي، وتتقدم حتى على طوكيو ونيويورك، وأنا وأصدقاء كثيرون ندفع الحد الأعلى من الضريبة؛ وهو (٤٠) في المئة، وهناك ضريبة إضافية يدفعها من لا يريد أن يحاسب على ما يملك في الخارج.

هذا لا ينفي أن في لبنان غلاء، ولكن إذا كان اللبناني غير قادر على تحمل البضاعة «السينييه» المستوردة؛ فهناك أسواق شعبية كثيرة، أو هو يستطيع أن يتسوق في دمشق حيث الحاجات المماثلة متوافرة بأسعار أرخص.

ومن المحسوس والملموس إلى المعنوي، فهناك لمسة لبنانية مفقودة تماماً في الغرب، وزارتنا صديقة لابنتي يوم وصولنا إلى بيروت والبيت خال من طعام أو شراب، وفوجئنا في اليوم التالي وصناديق الخضار والفاكهة تتدفق علينا فلأهل الصديقة مزرعة خاصة، ورأيت الصديقة الشابة بعد يومين وشكرتها وقلت ممازحاً: إننا أكلنا كل ما تلقينا، ومع أن قصدي كان الهذر لاستحالة القضاء على ما في الصناديق ولو كنا من جياع الصومال، فقد تلقينا مزيداً من الصناديق في اليوم التالي، ووزعنا على الأهل والأصدقاء ما يمكن أن يعتبر «إعاشة».

لم يحدث شيء مثل هذا لي ولعائلتي على رغم طول إقامةٍ في لندن وواشنطن وجنوب فرنسا، ولن يحدث ولو عشت الدهر في الغرب.

ثم هناك فارق مهم، فما آكل في لندن أو واشنطن من فاكهة أو خضار ينضج على الطريق بين مكان زرعه ـ وهو عادة في خيام معدنية مدفأة ـ ومكان بيعه.. أما في لبنان فالفاكهة والخضار من إنتاج الطبيعة، وأكثرها يقطف في الصباح ليبقى طازجاً وهو يباع خلال النهار، وهذا يعني أن البرتقال و «الأفندي» الذي أكلت من مزرعة الأصدقاء لا شيء يعادل طعمه اللذيذ، مما يتوافر لنا في لندن.. وأستطيع أن أكتب قصيدة غزل في العنب البحمدوني، أو ذلك العنب الأبيض الصغير الحبّات والفائق الحلاوة كأنها سكّر سائل.

والشيء بالشيء يذكر فأصدقائي الكويتيون لا يزالون يسترجعون أيامهم في بحمدون المحطة، وأهل الخليج كله لا يزالون يختارون الإجازة في لبنان بعد أن أصبحت مدنهم تنافس تقدُّماً أرقى مدن الغرب، وقد رأيت كثيرين منهم حول إجازة الأعياد الغربية، حتى مصر، وهي أم الدنيا، ترسل إلينا أبناءها سياحاً، أو عمرو دياب وشيرين لإسعاد أهل لبنان وضيوفه.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق، فعندنا في لبنان أكثر من (٦٠) ديناً أو مذهباً أو طائفة، والمقيم أو الزائر سيجد أنه يستطيع أن يصلّي كما يريد وبحرية.. والمشهد الغالب هو مسجد ثم كنيسة، وهذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح، كما رأى أبو العلاء في اللاذقية يوماً.

لبنان ليس المدينة الفاضلة، ولو كان لغاب عنه كثير من زواره، وهناك غلاء وفساد، وهناك وجه اللؤم والشؤم إسرائيل إلى الجنوب.. ويغضبني وأنا القادم من مدينة القانون لندن أن أضواء المرور في شوارع بيروت هي من زينة شجرة عيد الميلاد، إلا أن هناك ألف إيجابية في المقابل، وبدل «النقّ» أجد حاجة إلى خرزة زرقاء ترد العين.

❊ ❊ ❊

طلابنا في الخارج

د. عبد العزيز حسين الصويغ

دشنت المملكة العربية السعودية في السنوات القليلة الماضية برنامجاً طموحاً للابتعاث الخارجي؛ وهو برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي يُعد أكبر برنامج ابتعاث في تاريخ المملكة، فقد تم ابتعاث ما يقارب (٢٠، ٠٠٠) طالب في السنتين الماضيتين وحدهما في برنامج شامل للابتعاث سيبلغ الستين ألف بعثة خلال الأعوام الخمسة القادمة بإذن الله.

وقد تم تخصيص إمكانات مالية ضخمة وصلت إلى (٥٦، ٠٠٠) مليار ريال لزيادة الكفاءات العلمية والأكاديمية المتقدمة والمؤهلة لتحمُّل أعباء المسؤوليات الجسام والمناصب العليا في مراكز الدولة ومؤسساتها المختلفة.

ويمنح البرنامج الفرصة للمبتعثين للدراسة في جامعات مرموقة في (١٥) دولة؛ هي: أمريكا، كندا، أستراليا، نيوزيلندا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، النمسا، إيطاليا، هولندا، الصين، ماليزيا، سنغافورة، اليابان، الهند.

❊ ❊ ❊

إن أبرز قيادات العمل في مؤسساتنا الحكومية والخاصة.. في المؤسسات التعليمية والاقتصادية هم ممن تعلّم ودرس وتدرّب في جامعات أو معاهد دولية، وكاتب هذه السطور هو أحد من أتيحت له الفرصة للابتعاث في بداية السبعينيات الماضية؛ فلقد كنت واحداً من خمسة وعشرين ألف مبتعث في الولايات المتحدة، وكما يقول أحد كتّابنا: «ولو أعدنا النظر ثانية لعددت هؤلاء أقل الأجيال قلقاً، ويندر أن يوجد بينهم متطرف أو إقصائي»، وهو أمر لا نستطيع تأكيده على البعض ممن حازوا على شهاداتهم العليا في الداخل!.

* * *

لذا فإن الغرض من الابتعاث ليس مجرد اكتساب لغة أجنبية والحصول على بعض المعارف والمعلومات، بل الاحتكاك بثقافات ومجتمعات أخرى وبأساليب وطرق جديدة في التفكير.. والهدف الأكبر هو الانفتاح على العالم الخارجي، وتعريف الآخرين بديننا وثقافتنا ونشر الثقافة العربية والإسلامية الصحيحة.

وأتمنى أن تدرك الدول التي حددتها المملكة لإرسال طلابها إليها ما يشكله برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث إلى الخارج من أهمية للمملكة من جهة، ولتوثيق العلاقات الثقافية والتعليمية بين المملكة وتلك الدول، وأن تستجيب بفتح أبوابها للدراسين دون عوائق أو تعقيدات. ولنا عودة إن شاء اللّه.

نافذة صغيرة:

(اطلبوا العلم ولو في الصين).

* * *

نجوم الظهر

زاهي وهبي

تسود أوساط الفنانين، خصوصاً المغنِّين والممثلين منهم، حالة من عدم احترام الوقت وعدم الالتزام بالمواعيد، والتأخر على المناسبات، سواء أكانت مهنية أم اجتماعية.

يظن أصحاب هذا السلوك أنهم ـ بعدم احترام الوقت ـ إنما يمارسون نجومية ما، أو أن النجومية تقتضي مثل هذا الأمر، لكن الحقيقة تكمن في مكان آخر تماماً، فالنجم الحقيقي، والمبدع الحقيقي هو من يحترم الوقت ويدرك قيمته، ويحترم الآخرين، ويتصرف بلياقة ورقي وشياكة.

الإبداع في جوهره ذوق، والذوق يفرض على صاحبه احترام الآخر، ومن أبسط أشكال الاحترام عدم الاستخفاف بأوقات الآخرين، والتصرف وكأن لا شيء لديهم سوى الانتظار، فالعلاقة مع الوقت ومع الآخرين مقياس للتمدُّن وللمستوى الثقافي والأخلاقي، بل لمدى إنسانية هذا أو ذاك من بني البشر.

«إضاعة الوقت أشد من الموت» (مصطفى أمين).

«الوقت روح العالم» (بيتاغورس).

«الوقت أثمن ما ينفقه الإنسان» (ثيوفراستوس).

«أيُّ جريمة أكبر من ضياع الوقت» (مَثَل إنجليزي).

«الوقت من ذهب» (قول شائع).

والأمثلة لا تُعدُّ ولا تُحصى على أهمية الوقت ومقدار قيمته، وهي متشابهة لدى مختلف الشعوب، التي تؤكد ثقافاتها، كتابةً ومُشافهةً، هذه الثروة النفيسة التي تُدعَى الوقت، لكننا مَعشَر العرب أكثر من يجيد إهدار ثروة الوقت إلى جانب ما نهدره من ثروات.

طبعاً، لا يقتصر إهدار الوقت وعدم احترام المواعيد على الفنانين، ثمَّة شرائح كثيرة تفعل الأمر نفسه، حتى عندما نتحدث عن الفنانين، إنما نعني فئة من المغنين والممثلين الاستهلاكيين، ذوي الثقافة المحدودة، لأن المبدع الحقيقي ـ كما أسلفنا ـ هو الأكثر التزاماً والأكثر احتراماً للوقت.

لقد سمَحَت لي طبيعة عملي باختبار نماذج متنوعة من البشر، خصوصاً في أوساط الفنانين، ولاحظت كيف أن الحقيقي منهم هو الأكثر خفراً وتواضعاً، والأشد التزاماً واحتراماً لوقته ولوقت سواه، النجوم الحقيقية تشع وتلمع ذكاءً و فطنةً، ورُقيّاً وسلوكاً إنسانيّاً نبيلاً، أما نجوم السطحية والاستهلاك فأشبه بنجوم الظُّهر، لا ضوء ولا بريق ولا نفع ولا مَن يَحزَنون!.



الرسالة الأخيرة

إبراهيم محمد باداود

إذا كنا نعمل جاهدين على حماية أبنائنا من أن يسقطوا في مستنقع المخدرات الذي يؤدي بهم إلى الهلاك، ونحرص على تحصينهم من أن يقعوا في مصيدة الإرهاب الذي يؤدي بهم إلى التهلكة، ونسعى إلى توعيتهم بأضرار كثير من العادات السيئة التي قد تقضي عليهم؛ فيجب علينا أيضاً أن نكثِّف من جهودنا لكي نحميهم أيضاً من أنفسهم ومن الإهمال الذي قد يؤدي بهم وبغيرهم إلى الموت.

حـوادث السيـارات في المملكة أصبحت تشكل قلقـاً كبيراً للمجتمع؛ فهي في ارتفاع يوماً بعد يوم ففي الوقت الذي كان فيه عدد الوفيات من الحـوادث لا يتجاوز (٣١٣٠) وفـاة قبل عشرة أعوام، فقد تضاعف هذا العـدد اليوم حيـث بلغ عدد الوفيات في عـام (٢٠٠٨م) (٦٣٥٨) وفاة، كمـا أصبحت حوادث الطـرق في المملكة من أعلـى المعدلات العالمية؛ إذ يبلـغ معدل الإصابـات في تلك الحوادث نحو ثمانـي إصابات في كل حادث تكلف الاقتصاد الوطني نحو (١٢) مليار ريال سنويّاً، في حين أن المعدل العالمي للإصابات من الحوادث يسجل إصابة واحدة لكل ثمانية حـوادث، وقد حصدت هذه الحوادث خلال العشرة أعوام الماضية أكثر

من (٣٥) ألف قتيل و(٢٠٠) ألف مصاب؛ منهم (٥) في المئة أصيبوا بإعاقات جسدية.

واليوم وفي عصر التقنية والسرعة يقوم البعض باستخدام هذه الوسائل بأسلوب يسهم في زيادة هذه الحوادث ورفع معدلات الإصابة والقتلى، وذلك من خلال استخدام الهاتف الجوال أثناء القيادة، ولئن حرص البعض على استخدام سماعة البلوتوث في المحادثة الهاتفية أو من خلال دمج نظام الهاتف الصوتي بنظام السيارة، فإن الثانية التي يتم من خلالها النظر لمعرفة من المتصل أو طلب رقم للاتصال كفيلة بأن تؤدي إلى حادث مهلك لا تحمد عواقبه.

واليـوم نرى كثيراً مـن السائقيـن لا يكتفون بالتحـدث بالهاتف أثناء القيـادة، بـل يقومـون أيضاً بقـراءة الرسائـل الهاتفية والرد عليهـا أثناء القيادة، وكثيراً ما ترى بعض الأفراد عند الإشارة المرورية وبعد أن تضاء باللـون الأخضـر وهو مشغـول بكتابة رسالـة، ومن خلفه النـاسـ ينتظرون انتهاءه من إرسالها، وبعضهم يقوم بكتابة الرسالة وهو يقود السيارة؛ وهو بذلـك يعرض حياته وحياة الآخرين لخطر كبير، بل إن هذه الرسالة التي هو مشغول بها قد تكون ـ لا سمح اللّه ـ الرسالة الأخيرة في حياته، والتي قـد لا تكـون مهمة بـل تكون عبارة عـن رد سلام أو تعليـق أو غيرها من المحادثات الهامشية.

إن مؤشر تصاعد الحوادث سيبقى مستمراً ما لم تكن لنا وقفة جادة مقابل هذا الاستهتار الذي طغى على معظم الذين يقودون السيارات؛ فنحن لـم نكتفِ اليـوم بمشاكل قطع الغيـار المغشوشة، أو عـدم صلاحية بعض الطرق للقيادة ليضاف إلى ذلك ارتفاع مستوى تجاهل أنظمة المرور؛ مثل قطـع الإشارات، أو عكس الطريق أو تجاهـل الإشارة المرورية، بل ارتقينا

في سلم المخالفات لنقوم باستخدام الهاتف بشكل سيِّئ أثناء القيادة، بل إن البعض تمادى في هذا الأمر ليتابع بعض المسلسلات والمباريات الكروية وهو يقود من خلال الشاشات التلفزيونية التي أصبحت موجودة داخل السيارات.

إن معظم ضحايا هذه الحوادث هم من فئة الشباب الذين هم عماد الوطن، والذين تركوا خلفهم آباء وأمهات يتمنى بعضهم أنه لم يقدم لابنه سيارة ليقودها فيلقى بها حتفه، ومع إيماننا بالقضاء والقدر إلا أن ما نراه أمامنا من استخفاف بالأنظمة وعدم احترام لحقوق الآخرين أثناء القيادة يتطلب منا أن نعيد النظر في أسلوب تربية أبنائنا على هذا المفهوم، كما يحتاج منا إلى حملة متواصلة ومركزة لتغيير ثقافة المجتمع تجاه الأنظمة المرورية، فالحملات المرورية المؤقتة أثبتت فشلها عاماً بعد عام، لأنها لا تعدو أن تكون حملة شكلية مظهرية إعلانية، وما نحتاج إليه اليوم هو حملة مؤصلة متكاملة تنطلق من الأفراد أنفسهم ومن داخل بيوتهم وعبر المدارس وأماكن العمل، وتنتهي بالتطبيق في الطرق.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

المقالات التربوية

مخافة اللّه

خالد القشطيني

من اللوحات الشائعة في معظم الحواضر العربية لوحة تقول: «رأس الحكمة مخافة اللّه».. طالما شاهدت هذه اللوحة في الدكاكين والمطاعم والمساجد والبيوت والمحلات العامة في بغداد.. بالطبع لا يلتزم بها الكثيرون ممن علقوها.. يكفينا أن نتذكر كل هؤلاء الذين أداروا ظهورهم لما جرى للمسلمين في غزة، ولكن اللوحة كانت هناك وما زالت، وأعتقد أن لها مثيلها في معظم اللغات الأخرى، بيد أنني رأيت في هذه الأيام لوحة مغايرة تحملها بحروف كبيرة باصات لندن، وهي تقول: «لا تخشَ شيئاً واستمتع بالحياة».. لهذا القول جانب سلبي، هو أنه طالما لا وجود للعقاب، فافعل ما تشاء! وهذا بالضبط ما فعله أحد الشبان الإنجليز في نفس هذه الأيام.. يظهر أنه قرأ اللوحة في طريقه إلى البيت.

هجم هذا الشاب في منطقة بينر بلندن على امرأة عجوز في الواحدة والثمانين من عمرها، وأرداها طريحة على الأرض وقد ارتطم رأسها بحجر الرصيف، ثم خطف محفظتها وهرب.. نقلوها للمستشفى ولكنها ماتت في الطريق! كان هذا الشاب في حاجة لبعض الفلوس ليشتري بها بعض المخدرات، ليستمتع بها على نحو ما قالت له تلك اللوحة التي تحملها باصات

لندن بفخر واعتزاز: لا تخشَ شيئاً وتمتع بالحياة! لا عجب أن يرفض أحد السائقين قيادة أحد هذه الباصات التي تحمل هذا الشعار! قال: كيف أقود هذا الباص وبين الركاب من تجاوزت سنُّه التسعين عاماً؟!.

كل ما في المجتمع الغربي من متع الحياة الدنيا يقوم على التبضع والاستهلاك، ولكل شيء ثمنه؛ ما الذي يفعله من لا يملك في جيبه ثمن استمتاعه بالحياة؟ أقول ذلك وأتساءل في الوقت الذي تجاوز فيه عدد العاطلين في بريطانيا مليوني نسمة، ونحن ما زلنا في بداية الطريق، بداية هذه الأزمة المالية الخانقة.

الكثير من اللادينيين، أو من يسمونهم بالإنسانيين (هيومنست)، تحولوا من الإيمان بالله إلى الإيمان بالإنسان، ونقلوا محبة الله إلى محبة الإنسان وخدمة الإنسان.. بيد أننا نواجه الآن ضرباً من المخلوقات لا تؤمن بالله ولا بالإنسان؛ إلهها الوحيد الذي تقدسه هو الدولار، أو الباوند أو اليورو، الذي تشتري به متع الحياة! أو بالأحرى ما تتصور أنه متع الحياة. الخدمة الوحيدة التي تعرفها هي ليست خدمة الإنسان أو خدمة الخالق، وإنما خدمة أنفسها في جشعها وجريها وراء ملذاتها! المخافة الوحيدة التي تخشاها هي ليست مخافة الله، وإنما مخافة مفتش الضريبة والوقوع في مرض الإيدز.

راحت عولمة الاقتصاد العالمي تسير جنباً إلى جنب مع عولمة الفساد، فساد المرأة، فساد الساسة، فساد المفكرين والكتَّاب ورجال الدين، وفساد البنوك والأسواق.



سامحنا يا سيدي يا رسول اللّه

د. عصام العريان

سيدي الحبيب الرؤوف الرحيم محمد بن عبد اللّه..

رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين..

صلاة اللّه وسلامه عليك في الأولين..

وصلاة اللّه وسلامه عليك في الآخرين..

وصلاة اللّه وسلامه عليك في الملأ الأعلى إلى يوم الدين..

سيدي أبا القاسم..

هذه أول رسالة أخطُّها إليك وأناجيك بها، فاعذرني لجلال الموقف واختلاط المشاعر وتزاحم الأفكار.

ماذا أقول يا سيدي يا رسول اللّه ﷺ؟!

أأقول لك: إن الأمة التي تركتَها بعد أن أحييتَها من العدم، وأخرجتَها من ظلمات الجهالة إلى نور المعرفة، ومن التخبط في الضلالة إلى الهدى والنور، ومن الفُرْقة والشتات إلى الوحدة والتوحيد.. هذه الأمة قد خالفت تحذيراتك لها وأنت تقول لهم: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض**»، ولم تنتبه إلى صوتك الرخيم وهو يتلو عليهم الآيات البينات التي حفظها اللّه إلى يوم الدين: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذه الأمة اجتمع من نصَّبوا أنفسهم قادةً لها على غير رغبة من شعوبها بالأمس القريب بعد أن تفرَّقوا إلى أكثر من ٥٠ دولةً؛ كل قطعة منها تسمي نفسها ـ ويا للسخرية ـ أمة!.

أنعى إليك يا سيدي يا رسول اللّه ـ صلوات اللّه عليك وسلامه ـ هذه الوحدة التي جمعت المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وبلدانهم؛ فقد دبت النزاعات بين المسلمين بسببٍ وبدون سببٍ، بتدخل من أعدائهم الذين صاروا أولياء للبعض من دون البعض، وبسبب العصبية القبلية أو الاختلاف المذهبي أو الصراع على حطام الدنيا الفانية.

أشكو إليك يا حبيب اللّه ما وصل إليه حالنا؛ فثروات المسلمين في يد أعدائهم، وأموالهم لا يستثمرونها في بلادهم، بل وضعوها في البنوك الغربية؛ يسيطر عليها من حذَّرتنا منهم وحذَّرنا اللّه بقوله: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ [المائدة: ٣٣] بينما ينتشر الفقر ويتكاثر الفقراء في بلادنا بصورةٍ فاقت الخيال والتصور، ويا ليت الأمر وصل إلى الفقر فقط، بل إن المجاعات أصبحت سمةً لبلاد المسلمين؛ حتى إن بلادًا زراعيةً تجري بها الأنهار باتت يشكو أهلها من الجوع.

سامحنا يا رسول اللّه صلوات اللّه عليك وسلامه؛ فعدد اللاجئين الفارِّين من ديارهم والهائمين على وجوههم من أبناء ملَّتك فاق عشرات الملايين، وهم أكبر مجموعة من اللاجئين في العالم، وكان الأمل أن يكونوا مواطنين في بلادٍ تجمعها عقيدة الإسلام، وأن يحتضنهم إخوانهم في العقيدة والدين، وأن ينصروهم على أعدائهم أو يساعدوهم على العودة إلى بيوتهم وحل ما نشب من نزاعات بين بني قومهم؛ عملاً بتوجيهاتك

النبوية: «**المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله**»، وعملاً بالأمر القرآني الكريم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وكان من الواجب أن يغيثهم من الجوع والعطش؛ فكما قلت لنا وعلمتنا: «**ليس منا من بات شبعانَ وجاره جائع**»، ولكن تفرَّقت أمتك يا حبيب اللّه إلى من يموت من الجوع والعطش؛ لأنّه لا يجد ما يسد رمقه، وبين من يموت من الشبع والتخمة بسبب الأثرة والأنانية، والجشع والطمع.

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد؛ فإن أمتك التي حباها اللّه بثروات هائلة وأنهار جارية وأراضٍ خصبة وأيدٍ عاملة وعقول نيِّرة أضحت تعيش عالةً على المعونات أو الاستيراد من بلاد اللّه الأخرى؛ تستورد غذاءها كما تستورد لباسها كما تستورد سلاحها، والجميع في ذلك سواء، الدول التي بها قاعدة صناعية أو ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة أو الدول الريعية التي تعيش على عوائد النفط؛ فالكل في همِّ الاستيراد سواء، والجميع باتوا عالةً على غيرهم؛ إما يمدُّون أيديهم السفلى لأخذ المعونات، وإما يرهنون قرارهم السياسي والاستراتيجي لمن يتولَّى حمايتهم بالسلاح والقواعد العسكرية وجنود المارينز.

سامحنا يا سيدي يا رسول اللّه صلوات اللّه عليك وسلامه..

أمتك أمة الإسلام المليار وربع مسلم ومسلمة، الذين نزل فيهم أول ما نزل من وحي السماء على قلبك لتكون من المنذرين قول اللّه تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١].. أمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ بها أعلى نسبة من الأمية على مستوى أمم العالم، وفي ذيل ركب الأمم المتقدِّمة في العلوم والتكنولوجيا، وليس بها مخترع أو مبدع أضاف في القرون الأخيرة شيئًا يذكر إلى الحضارة الإنسانية بعد أن

علَّمتَها وربَّيتَها على العلم والمعرفة، فكانت شمسُ الحضارة منها تسطع على الدنيا بأسرها، وبعد أن علَّمتْ أوروبة كيف يكون العلم وكيف يكون النقد وكيف يكون التقدم، إذا بها تتأخر لتصبح في ذيل الركب، بل تحارب العلم وتحمي الخرافة.

أأقول لك: لقد فشلت جامعاتنا أن تحرز موقعًا متقدِّمًا بين أفضل (٥٠٠) جامعة في العالم؟! أشكو لك كيف باتت جامعاتنا وكلياتنا لا تقوم بالبحث العلمي، ولا تعلِّم الطلاب شيئًا، ولا تهتم بإرساء قواعد العلم والمعرفة؟! ولا مدارسنا تهتم بتربية النشء، وأن معظم معاهدنا العلمية أو التي من المفترض أن تكون علميةً قد أصبحت مرتهنة لضباط الأمن ومسؤولي المباحث الذين دمَّروا كل شيء في حياتنا بأوامر من قادتهم السياسيين؟!.

سامحنا يا سيدي يا رسول الله صلوات الله عليك وسلامه..

لقد علمتنا من البداية أن هناك صنفين إذا صَلُحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء، وها هو حال العلماء لا يخفى على امرئٍ، سواءٌ أكانوا علماء في علوم الدنيا أم كانوا علماء في علوم الدين والشريعة.

ويا للحسرة من سمَّتهم الأمة علماء السلطان؛ فقد تخلَّوا عن واجبهم في الجهر بكلمة الحق في وجه السلطان الغاشم الظالم، بل أصبح من واجبهم تبرير كل ما يقوم به السلاطين، وتقديم كل المبررات لاستبدادهم وفسادهم.

كان المأمول أن يكون هؤلاء، وهم علماء الإسلام ـ كما أخبرتنا ـ ورثتَك من بعدك؛ فالعلماء ورثة الأنبياء كما علمتنا، ولكن هؤلاء في زماننا هذا ضيَّعوا ما ورثوه من ميراث النبوة؛ فلم يصبح منهم هداةً تقاةً إلا قلة نادرة يفزع إليها الناس ويهتدي بها المسلمون.

أما علماء الدنيا من علوم تعمر بها الأرض، وتقام بها حضارة تهتدي بها البشرية لتكون أمتنا حجة على الناس، فقد باعوا أنفسهم وزراء عند الملوك والأمراء والرؤساء، وتركوا معاملهم خاويةً على عروشها، وسلَّموا كلياتهم وجامعاتهم وطلابهم لقمةً سائغةً لوحوش الأمن يفتكون بآمالهم وطموحاتهم، ويدمرون مستقبل الأمة كلها.

يا سيدي.. لقد توقف علماؤنا ـ إن صحت تسميتهم بالعلماء ـ عن فريضة التفكير والتجديد والاجتهاد، فتعطلت شريعة الله، ليس فقط بإهمال الأمراء والذين جعلوها خلف ظهورهم، بل أيضًا بتقاعس علماء الشريعة أنفسهم عن التجديد والاجتهاد؛ حتى يواكبوا العصر ومستجداته، ويقيموا الحجة على المسلمين عامتهم وحكامهم، بل إن الأدهى والأمرَّ أنهم شغلوا أنفسهم وشغلوا الناس بسفاسف الأمور وتوافه الفتاوى؛ مما ضيع هيبتهم في كافة العيون..

ولو أنَّ أهلَ العلم صانوه لصانَهم ولو عظَّموه في النفوسِ لعُظِّما

سامحنا يا سيدي يا رسول الله صلوات الله وسلامه عليك..

لقد علَّمتَنا وربَّيتَ أمتك على قيم العزة والكرامة والعمل والإنتاج، والدقة والأمانة، والحب والتسامح، والكرم والجود، والمساواة والعدل، والحرية والشورى.. فأين نحن الآن من هذه القيم ومن غيرها؟!..

لقد تردَّت أحوالنا في معظم بلاد المسلمين حتى باتت تعيش على عكس ما ربَّيتَنا عليه، والأسى والحسرة والحزن والكمد يملأ قلوبنا ونحن نعترف بهذه لحقيقة المرَّة، ولكنه تشخيص الداء لنبدأ العلاج.

والأمل يملأ قلوبنا، فها هي أمتك تصحو وتنتفض لكي تنهض وتعمل على

تغيير أحوالها، فإنك علمتنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ولقد بدأت نهضتنا منذ عقود وبدأت صحوتها منذ فزعت على أقدام الكفار يحتلون بلادها، وهي مستمرة في صحوتها ونهضتها، ولكن العقبات ما زالت أمامها كبيرة، وها هي تتخطَّى العقبات، فأعلنت الجهاد ضد الاحتلال وضد الاستبداد وضد الفساد وضد الجهل وضد الخرافة وضد التعصب وضد الفرقة والتشرذم.

وأنت الذي بعثت فينا الأمل بقولك: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

سامحنا يا رسول الله صلوات الله عليك وسلامه..

لقد كنتُ أبثُّ إليك هذه النفثات أمام قبرك الشريف مع ملايين الزائرين من المسلمين، ولكني محروم من هذه الزيارة تلك الأيام، وما زلت أتذكَّر تمثُّلي بأبيات أحمد شوقي التي تعبر كل التعبير عن مكنون نفسي:

إذا زرتَ بعد البيت قبرَ محمد ... **وقبَّلتَ مثوى الأعظُم العَطِرَاتِ**

وفاضتْ مع الدمع العيونُ مهابةً ... **لأحمدَ بين السترِ والحجراتِ**

وأشـرقَ نـورٌ تـحتَ كلِّ ثنيةٍ ... **وضـاع أريـجُ تحت كلِّ حصاةِ**

لمظهر ديـن الله فـوق تنوفة ... **وباني صروح المجد فوق فلاة**

فقلْ لرسولِ الله يا خيرَ مرسل ... **أبثُّك ما تـدري من الحسراتِ**

شعوبُك في شرقِ البلادِ وغربِها ... **كأصحاب كهف في عميق سباتِ**

بأيمانهم نـوران: ذكـرٌ، وسنةٌ ... **فما بالهم في حالك الظلمات؟**

وذلك ماضي مجدهم وفخارهم ... **فما ضرَّهم لو يعلمون لآتي؟**

وهـذا زمـانٌ أرضُـه وسماؤه ... **مـجـالٌ لـمقـدامٍ كبيـرِ حياةِ**

مشى فيه قوم في السماءِ وأنشؤوا بـوارجَ فـي الأبــراج ممتنعاتِ
فقل: ربِّ وفِّق للعظائمِ أمَّتي وزيِّـن لها الأفعالَ والعزماتِ

كان هذا منذ حوالي قرن من الزمان عندما دعاه الخديوي عباس حلمي للحج معه، فاعتذر وسطر هذه الأبيات التي شدت أم كلثوم ببعضها، ولكنها ما زالت معبِّرة بصدق عن هموم كل مسلم تتقطع نفسه حسراتٍ على أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

سامحنا يا رسول اللّه صلوات اللّه عليك وسلامه..

لقد نزل في القرآن العظيم قول اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وها نحن ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا، وأقبلنا على اللّه تائبين، وأنت الذي وصفك اللّه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فسامحنا واستغفر لنا اللّه، وسله سبحانه أن يرحمنا ويثبتنا، ويقويَ ظهرنا، ويجبر ضعفنا، ويغيِّرَ أحوالنا؛ فأنت خير شافع لنا، يا سيدي يا رسول اللّه.

* * *

اثنان في مقبرة المحرق

جمال زويد

من مفارقات القدر أن يحتشد مئات من الناس ظهر يوم الأحد من الأسبوع الماضي في مقبرة المحرق ليهيلوا التراب على جثامين شخصين اثنين: أحدهما في الثمانين من عمره، بينما الآخر لم يتعدّ خمسةً وعشرين ربيعاً من سني حياته! وتضع هذه الجموع هذين الجثمانين في لحدين لا يفصل بينهما شيء، ثم يصفّون عليهما لبنات الطوب والطين وينهال التراب عليهما.

لقد توفي محمد عبد اللّه فلامرزي عن عمر ناهز الثمانين عاماً، وقدّر المولى عَزَّ وَجَلَّ أن تُشيع في ذات الوقت جنازة أخرى لشاب في مقتبل عمره؛ هو عبد العزيز أحمد محمود الكوهجي ابن الخمسة والعشرين عاماً! ومات الأول ذو الثمانين عاماً بسبب مرض لم يمهله كثيراً، في حين ودّعنا الثاني فجأة بلا مرض ولا حادث ولا سابق ألم! رحمهما اللّه رحمة واسعة وأسكنهما فسيح جناته.

هكذا هي نهاية الدنيا، وحقيقة الحياة، ومصيبة الموت التي لا تقدّم الشيوخ على الشباب ولا الشباب على الشيوخ، بل من جاءه أجله رحل، وتركنا نحن أبناء هذه الدنيا وفي عيوننا عبرة وفي قلوبنا حسرة وغصّة.

إنها دنيانا التي أشغلتنا حاجاتها فلا يطرأ علينا طارئ الموت، ولا ذكرى الراحلين، ولا مشهد هذه القبور التي تملأ الرحب، نعيش فيها كالمخلّدين الذين لا يتوقعون فراقها ومغادرتها.

وقد كتب الشيخ الأديب علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدى روائعه بعنوان «كلنا نموت»: «هل رأى أحد منكم يوماً جنازة؟ هل تعرفون رجلاً كان إذا مشى رجّ الأرض، وإن تكلم ملأ الأسماع، وإن غضب راع القلوب، جاءت عليه لحظة فإذا هو جسد بلا روح، وإذا هو لا يدفع عن نفسه ذبابة، ولا يمتنع من جرو كلب؟! هل سمعتم بفتاة كانت فتنة القلب وبهجة النظر، تفيض بالجمال والشباب، وتنثر السحر والفتون، تُبذل الأموال في قبلة من شفتيها المطبقتين كزر ورد أحمر، وتراق الكبرياء على ساقيها القائمتين كعمودين من المرمر، جاءت عليها لحظة فإذا هي قد آلت إلى النتن والبلى، ورتع الدود في هذا الجسد الذي كان قبلة عُبّاد الجمال، وأكل ذلك الثغر الذي كانت القبلة منه تشترى بكنوز الأموال؟!..

هل قرأتم في كتب التاريخ عن جبار كانت ترتجف من خوفه قلوب الأبطال، ويرتاع من هيبته فحول الرجال، لا يجسر أحد على رفع النظر إليه، أو تأمل بياض عينيه، قوله إن قال شرع، و أمره إن أمر قضاء، صار جسده تراباً تطؤه الأقدام؟!.

هل مررتم على هذه الأماكن، التي فيها النباتات الصغيرة، تقوم عليها شواهد من الحجر، تلك التي يقال لها المقابر؟!.

فلماذا لا تصدقون بعد هذا كله، أنّ في الدنيا موتاً؟!.. لماذا تقرؤون المواعظ، وتسمعون النُّذُر فتظنون أنها لغيركم؟ وترون الجنائز وتمشون فيها فتتحدثون حديث الدنيا، وتفتحون سير الآمال والأماني.. كأنكم لن تموتوا كما مات هؤلاء الذين تمشون في جنائزهم، وكأن هؤلاء الأموات ما

كانوا يوماً أحياء مثلكم، في قلوبهم آمال أكبر من آمالكم، ومطامع أبعد من مطامعكم؟.

لماذا يطغى بسلطانه صاحب السلطان، ويتكبر ويتجبر يحسب أنها تدوم له؟ إنها لا تدوم الدنيا لأحد، ولو دامت لأحد قبله ما وصلت إليه.. ولقد وطئ ظهر الأرض من هم أشد بطشاً، وأقوى قوة، وأعظم سلطاناً؟ فما هي... حتى واراهم بطنها فنسي الناس أسماءهم!.. يغتر بغناه الغني، وبقوته القوي، وبشبابه الشاب، وبصحته الصحيح، يظن أن ذلك يبقى له.. وهيهات!..



فيك جاهليّة

د. عبد الوهاب الطريري

هو رابع أربعة دخلوا الإسلام. أتى إلى النبي ﷺ وهو في مكة في بكور الدعوة، فقال: سلام عليك يا نبي اللّه، ثم أسلم بين يديه، فرأى الاستبشار في وجه النبي ﷺ؛ فلما سأله: من أنت؟ قال: جندب، رجل من غفار، ولذا كان أبو ذر يقول: أنا ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة.

ولقد كان لسابقته هذه فضلها، فلما هاجر إلى النبي ﷺ في المدينة كان عنده بمكان، فكان رسول اللّه ﷺ يبتدئ أبا ذر إذا حضر، ويتفقده إذا غاب.. ولكنه وهو بهذه المنزلة من رسول اللّه ﷺ حصل له هذا الموقف الذي أثّر في نفسه، وكان أثراً بالغاً؛ إذ بقي على ذكر منه بقية عمره.

فقد كان بينه وبين رجل من العبيد كلام، فتسابّا، وكانت أم هذا الرجل أمَة أعجمية سوداء، فعيّره أبو ذر بها وقال له: يا بن السوداء، فغضب الرجل من ذلك، وذهب إلى النبي ﷺ وشكا إليه أبا ذر، وأخبره بما قاله له ليعذره منه.

فلما لقي أبو ذر النبي ﷺ سأله فقال: **يا أبا ذر أساببت فلاناً؟** قال: نعم يا رسول اللّه، قال: **أعيّرته بأمّه؟** قال: نعم يا رسول اللّه، من سبّ الرجال سبّوا أباه وأمه. قال: **يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية.**

ووقعت هذه الكلمة من أبي ذر موقعاً شديداً، فهو أبعد الناس عهداً بالجاهلية؛ فقد كان رابع أربعة كانوا أول الناس إسلاماً، فكيف تبقى فيه جاهلية بعد ذلك؟! فقال: يا رسول اللّه، فيّ جاهلية وأنا على حين ساعتي هذه من كبر السن؟!.

فقال رسول اللّه ﷺ: «**نعم على حين ساعتك هذه من كبر السن، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه فليعنه عليه**».

وتشرّبت نفس أبي ذر كلام رسول اللّه ﷺ وبقي نصب عينه حتى آخر عمره، فقد نزل في آخر حياته بالربذة وهي بادية قريبة من المدينة، فمر به المعرور بن سويد فرآه ومعه غلامه، وقد قسم أبو ذر حلة بينه وبين غلامه، لبس أبو ذر منها ثوباً ولبس غلامه ثوباً. (والحلة: كساء من قطعتين يكونان من جنس واحد).

فعجب المعرور من حال أبي ذر مع غلامه؛ إذ لم يكن من عادة الناس مساواة خدمهم في الملبس، فقال: يا أبا ذر، لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا الذي عليك لكانت لك حلة كاملة، وكسوت غلامك ثوباً غيره.

فقال أبو ذر: سأخبرك عن ذلك، إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام علـى عهد رسـول اللّه ﷺ وإني ساببته، وكانت أمه أعجمية فعيّرته بها ....، ثم ذكـر قصته تلك، وما قاله له رسـول اللّه ﷺ، فعرف المعرور سبب صنيع أبي ذر، وزال عجبه وحفظ القصة ووعاها ورواها لتبقى لنا فيها عبر ودروس.

١- قرب النبي ﷺ من الصحابة كلهم، فإن هذا الرجل الذي عُيّر بأمه وجد في النبي ! ملاذاً قريباً يشكو إليه، ويستعذر منه ممن عيّره؛ وقد اهتم النبي ﷺ بشكاته، وعاتب أبا ذر هذه المعاتبة الشديدة.

إن عبودية هذا الرجل واختلاف لونه لم تكن تعوقه عن الوصول إلى النبي ﷺ وعرض شكاته عليه؛ إذ كان ! قريباً من الناس كلهم جميعاً.

٢- كانت التربية النبوية تحيي في نفوس الناس الاعتزاز بذواتهم، ومعرفة حقوقهم كما يعرفون واجباتهم، ولذا شعر هذا الرجل بالندِّية مع أبي ذر حين جرى بينهما الكلام، وهو ما عبَّر عنه أبو ذر بقوله: ساببت رجلاً، أي إن المراجعة الكلامية كانت متبادلة بين الطرفين.

ثـم لما شعر أن أبا ذر تجاوز ما يحق له فعيره بلون أمه، وليس لون أمـه عـاراً ولا منقصة؛ شكاه إلى رسول الله ﷺ ليجد من النبي ﷺ هـذا الاهتمـام والعتـاب الشديـد لأبي ذر علـى الرغم مـن سابقته ومنزلته.

أين هذا كله من شعور هذا الرجل في الجاهلية حين لم يكن يشعر إلاّ بأنه أحد المقتنيات الشخصية لبعض الناس، وقد كانت هذه الكلمة وأشد منها مما اعتاد على هضمه صباح مساء.

إنها نقلة بالإنسان بدأت ببناء نفسه من الداخل ليستشعر قيمته وحقوقه، وقدره، إنها رفعة الإنسان بالرسول الذي أرسله ربه رحمة للعالمين كل العالمين.

٣- نرى قوة الاستئصال للنعرة العنصرية والتي لا تزال بقاياها مترسِّبة في النفوس من آثار الجاهلية؛ إذ قال النبي ﷺ لأبي ذر: «أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية».

فسواد أمه ليس عاراً، وهي لم تختر لونها الأسود، كما أن أبا ذر لم يختر لونه الأبيض، وليس لأحد أن يعيّر أحداً بأمه أو أبيه؛ فإن أمه وأباه ليسا من كسبه، فإن فعل فإنه يمارس فعلاً جاهليّاً؛ إذ كان من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب.

إن العار الحقيقي ليس سواد اللون، ولكن التخلّق بخلق الجاهلية، ولذا كان وقع هذه الكلمة شديداً على أبي ذر، فقال: يا رسول الله، على ساعتي هذه من كبر السن؟! أي: بعد ما كبرت في الإسلام، وقد دخلت فيه أول من دخل، وفارقت الجاهلية أول من فارقها تبقى فيّ الجاهلية؟!..

٤- في الوقت الذي كان النبي ﷺ يحطم نعرات الجاهلية وتفاخرها بالأنساب والألوان والأعراق، كان يشيِّد بناء متيناً من الأخوة بين المسلمين، ويظهر ذلك في هذا الحديث؛ حيث قال ﷺ: «**إخوانكم خولكم**» (أي خدمكم)، وترتيب الكلام أن يقول: خدمكم إخوانكم، ولكنه قدم الخبر ليفيد الحصر والقصر والاهتمام؛ أي: إنما خدمكم إخوانكم.

ثم قال: «**جعلهم الله تحت أيديكم**» أي تذكَّروا أن كونهم تحت أيديكم وفي خدمتكم هو من قدر الله، ولو شاء لجعلكم أنتم تحت أيديهم.

ثم قال: «**فمن جعل الله أخاه تحت يده**» فأعاد النظر إلى قدر الله واستشعار فضله ونعمته في جعل بعض خلقه في خدمتكم، وسمّاه أخاً؛ فهو وإن كان خادماً لم ينزل عن رتبة الأخوة، وأن له الحق في المواساة في المطعم والملبس، والرفق به في أداء العمل، فانظر بتأمل إلى العبارة النبوية المختصرة كيف أسست معنى الأخوة، وأصلت مفهومها وحفظت حقوقها!.. إنه كلام من أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً.

٥- يبهرك شدة تأثر أبي ذر بمقالة النبي ﷺ، وقوة التزامه بالأمر النبوي؛ فإنه سكن الربذة في آخر حياته وتوفي فيها، ومع ذلك كان في أعلى مستويات الامتثال، يظهر ذلك في قوله: كان بيني وبين رجل من إخواني.. فانظر كيف عبّر بالأخوة وهو يحكي قصة المخاصمة والتسابّ، ثم في تنفيذه للتوجيه النبوي بأكمل صورة؛ إذ التزم بالمساواة بينه

وبين غلامه؛ حيث قسم الحلة بينهما، ولم يكتفِ بالمواساة التي يجزئ فيها ما هو دون ذلك.

ثم سياقه للقصة بتفاصيلها يدلُّ على حياتها في نفسه؛ كأنما حصلت له البارحة، مع أنها حصلت قبل ربع قرن.

إن هذا خلق أصحاب رسول الله ﷺ في تلقي أمره وهديه، ثم امتثاله؛ فكانت أوامره تتشكّل التزاماً سلوكيّاً قويّاً وعميقاً يبقى حيّاً في نفوسهم ما بقيت لهم حياة.



مدمن من فيرونا

عبد الحميد البلالي

بينما كنت أمشي في صيف عام (٢٠٠٨م) في أحد أزقة فيرونا في إيطاليا، وإذا بشاب ملامحه عربية استوقفني وقال لي: أنت الشيخ عبدالحميد البلالي؟ فقلت: نعم، وكيف عرفتني ؟ فقال: استمعت إلى بعض دروسك، وقرأت بعض كتبك فتأثرت بها واهتديت.

فرحت أيما فرح بهذا الموقف، واستغربتُ لهذا القدر العجيب، كيف أسير في بلد أوروبي، وفي أحد أزقته، ويتعرف عليَّ شاب عربي، ويبشرني بهذه البشارة، فقلت له بلهف: فكيف اهتديت؟ قال: كنت مدمناً للمخدرات، فلما استمعت إلى اللقاء الذي عقدتموه عن المخدرات في فيرونا منذ أربعة أشهر، تأثرت بذلك وقررت الإقلاع عن المخدرات، والآن أنا ملتزم بصلوات ربي، والمسجد لا أتركه أبداً، ثم نادى لي أباه وأخبره عنِّي، وكان أبوه لا تسعه الأرض من شدة فرحه بابنه، وطلب مني التصوير معه، وبعد يومين التقاني بالمسجد، وأهداني صورته معي.

كان هذا الموقف هدية من الله لي، بعد هاجس طرأ عليّ، بأنَّ ما نقوله من مواعظ في المساجد وفي غيرها من الأماكن لا أثر لها، ولا نتيجة، فإذا بالإجابة تأتي بهذا القدر الذي قدَّره الله، وكأنه يقول لي: لن يضيع عند

اللّه شيء، ولن تضيع كلمة طيبة يبتغي بها الداعية وجه اللّه تعالى، وإن لم تؤثر في السامع فإن اللّه يقبلها، ويكتبها لصاحبها ليفرح بها يوم القيامة، أو يريه بعض نتائج كلماته، ودعوته في الدنيا قبل الآخرة، لتكون محفِّزاً له للمضي في هذا الطريق والإصرار عليه بمقدار ما هو مسؤول عن العمل.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* * *

بالفجور تزول النعم

د. عبد الرحمن السميط

كانت الكارثة التي حلت بالأندلس بحكم ملوك الطوائف الذين تميزت حياتهم بالترف والرفاهية، والانغماس في الملذات والشهوات التي شغلتهم عن الدين، نقطة الضعف التي استغلَّها الملك المسيحي ألفونسو السادس لإجلاء المسلمين عن بلاد الأندلس، بعد أن بلغ الضعف والخور بملوك الطوائف أن كانوا يتسابقون لشراء ودِّ هذا الملك، ودفع الجزية والأموال له بعد أن ظل القوط يدفعون الجزية للمسلمين طوال (٨٠٠) سنة.

وعندما تخاذل ملوك الطوائف، هاجم الفونسو طليطلة سنة (٤٧٦هـ)، فاستنجد بضعهم بالخليفة المرابطي في بلاد المغرب «يوسف بن تاشفين» الذي عبر مضيق جبل طارق بجيشه الذي التحم بجيوش الإفرنج في معركة الزلاّقة الشهيرة بعد سنتين، والتي انتصر فيها على جيوش ألفونسو، وعاد إلى قاعدته في المغرب.

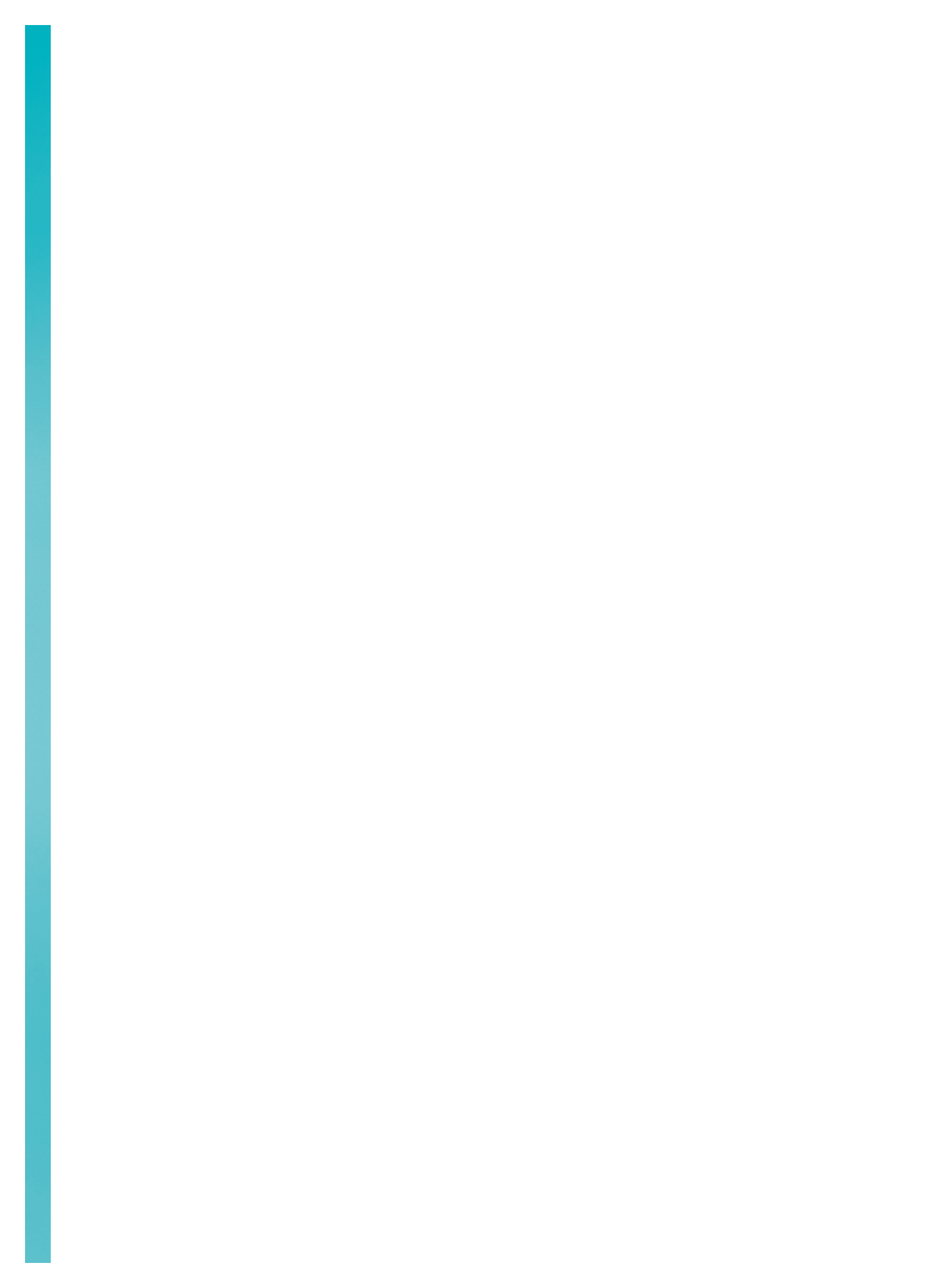
لكن ملوك الطوائف سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه من اللهو والمجون وحياة الترف، حتى إن أحدهم ملأ حوضاً بدهن العود الغالي وبالزعفران لتتطيب به زوجته وجواريها، لا يلقي بالاً للخطر الذي يحيط بالأمة.

وعندما أحس ملوك الطوائف ثانية بالخطر الذي يهددهم بعد أن جهز الإفرنج جيوشهم للهجوم على أمراء أنهكتهم ملذات الحياة، طلبوا النجدة ثانية من ابن تاشفين الذي جيَّش جيوشه من جديد، وعلم أن مشكلة المسلمين في الأندلس تكمن في هؤلاء الأمراء الخونة الذين باعوا دينهم واشتروا الملاهي والفجور، فكانوا بذلك سبب نكبة المسلمين في هذه البلاد.

وعاد ابن تاشفين إلى الأندلس، وقضى على نهم أمراء الطوائف واستهتارهم بالدين، وقضى على جيوش الإفرنج، وثبَّت الإسلام لمدة مئتي عام، ولكنه لم يرجع إلى بلاد المغرب إلا بعد أن أسر جميع ملوك الطوائف، وصادر أموالهم وأخذ بعضهم معه إلى المغرب ليعيشوا على صدقات المحسنين تأديباً لهم على ما فعلوه من تضييع أمانة الدين في بلاد الأندلس، وكان أول من بدأ به أمير غرناطة عبدالله بن بلقين الذي أشعل الخلاف مع المرابطين، وتعاون مع جيوش الإفرنج، وقطع الطريق على تموين ابن تاشفين، وتذلل لألفونسو، وكان يوسف بن تاشفين قد استجاب لنداء العلماء والفقهاء، وانكشف لملوك الطوائف كيف خدعهم الشيطان بعد فوات الأوان.

ما أشبه اليوم بالبارحة! فهل من ابن تاشفين جديد، يعيد من ضل إلى الدرب السليم؟!.





الفصل الرابع

المقالات الشخصية

وداعاً ماهر.. وإلى لقاء في رحاب الخلود

راشد الغنوشي

ليس أثقل على المرء في هذه الحياة من الابتلاء بفقدان الأحبة والأصدقاء، وبالخصوص إذا ابتلي بطول العمر ـ رحمة أو نقمة ـ فيظل المرة تلو الأخرى معرَّضاً للفجيعة بحبيب أو قريب، ولا يكاد جرحه يندمل حتى ينفتح جرح آخر.

لقد كانت الليلة الفاصلة بين السبت والأحد (١١ و١٢) سبتمبر/ أيلول من أشّد ليالي حياتي حزناً.. لقد كنا (العبد للّه، والبشير نافع، وماهر عبد اللّه، ومن كان يلتحق بنا أحياناً من الأصدقاء..) كنا نجلس في ردهة الفندق كعادتنا نتبادل الحديث حول عموم قضايا الأمة، وذلك على هامش انعقاد الأمانة العامة للمؤتمر القومي.

ولم ينفضّ اللقاء إلا بسبب اعتزامي لقاء أحد الصحفيين كان مقيماً في فندق آخر، وكان ماهر الذي سُخِّر في خدمتي منذ حلولي بالمطار ـ في تفانٍ وكرم عجيب ـ وقته وماله وعلاقاته، يرتب اللقاءات وحفلات العشاء والغداء، قد تولى ترتيب اللقاء مع ذلك الصحفي، غير أننا ونحن نهمّ بمغادرة المكان رنَّ هاتفي النقال لأجد على الخط قناة اقرأ الفضائية تعرض عليَّ المشاركة في ندوة حول دروس حدث (١١) سبتمبر/ أيلول، وذلك بعد قليل.

فوافقت حرصاً مني على اهتبال كل فرصة إعلامية في زمن الحصار، وهو ما حمل ماهراً على تغيير البرنامج: أن يتولَّى هو مهمة استقدام الضيف بدل ذهابي أنا، واقترح على الأستاذ نافع مصاحبته، فوافق بحسبان أنه خلال مدة الذهاب والإياب أكون أنا قد فرغت من حديثي مع اقرأ.

كان مشهداً مروِّعاً، إذ لم يبدُ من جسد ماهر المسجَّى في لفافات بيضاء غير الرأس الملفوف؛ هو الآخر لا يبدو منه غير أنف طويل أشم قائم فوق فم باسم محاط بشارب غاية في السواد.

وهكذا كان ترتيب البشر، غير أنه كان لرب البشر ترتيب آخر لم أبدأ في تلمس خيوطه إلا بعد حوالي ساعة، إذ رنَّ الهاتف بالغرفة لأجد على الخطِّ صديقاً مشتركاً لي ولماهر يسألني في هلع عن أحوالي، وبدا كأنه فوجئ بأني أجيبه في اطمئنان أني بخير، فسأل: أين أنت؟ فأجبت: إني بالفندق، فبدا وكأنه يحاول التلطف في الإخبار عن مصيبة، فذكر متصنعاً الهدوء: أن حادثاً خطراً عرض لماهر ولبشير غير بعيد عن الفندق، وأن حالة ماهر خطرة، فبادرت بمهاتفة ماهر على النقال وقلبي واجف، يساورني أمل حائر أن يجيبني.

كان الهاتف لا يزال يرن ولكن بلا مجيب، وكررت العملية مرات دون جدوى، فعدت إلى ذلك الصديق أستزيده من الأنباء، فذكر لي أنه ذاهب إلى قسم الطوارئ بالمستشفى، فطلبت إليه أن يصطحبني، فما لبث أن أرسل إلـيَّ سيارة تنقلني إلـى هناك، سرعان ما وصلت، فبادر سائقها بتعزيتي في ماهر وأخذ يهدئ من روعي.

ومـا لبثت السيارة أن مـرت بمكان الـحـادث حيث لا تـزال سيارات الشرطة وجمع من الفضوليين هناك.. أما سيارة ماهر المرسديس التي كان يقودها وإلى جواره البشير فقد ذكروا أنها اصدمت بشجيرة نخيل على

حافة الطريق حولت جانبها الأيسر المجاور للسائق إلى قطعة عجين تكوّرت حول ماهر.

أمام قسم الطوارئ بالمستشفى كان عدد من صحفيي الجزيرة ومعهم السيد وضاح خنفر مدير القناة قد تجمَّعوا يغشى وجوههم سواد عظيم. طلبت مسرعاً رؤية البشير، فدلفوا بي إلى قاعة الجراحة؛ حيث كان ممدداً والأطباء محيطون به؛ هذا يخيط جلداً منزوعاً من رقبته في جانبه الأيسر، وأخرى تميط الدم عن وجهه، وآخر يطلعه على صورة للكسور التي في يده والتي تقتضي عملية، والبشير ـ واعياً ـ يسأله: هل يمكن لي بعدها الكتابة؟ فيجيبه الطبيب مطمّناً، فيعود يسأله: هل يمكن لي الكتابة على الكومبيوتر؟ فيجيبه: نعم، فيسأله: أأنت واثق مما تقول؟ قل لي الحقيقة كلها: هل هذا كل ما في الأمر؟ فيجيبه: نعم، فيرد: أنا أثق فيك، واصل عملك. ويسلّم أمره مردداً دعوات وأذكاراً.

غير أنه تذكَّر أهله، فطلب إليَّ أن أهاتفهم لتطمينهم، حتى لا يسبق الخبر إليهم من طريق الإعلام، وأملى عليَّ الرقم.

واضح أن البشير رغم أنه لا يتذكر شيئاً من وقائع الحادث، إذ لم ينتبه من هول الصدمة إلا وهو في المستشفى، وهو بالتالي لم يبلغه ما أصاب رفيقه.. واضح أنه بخير وأن اللّه قد نجّاه، وأن عقله والحمد للّه لم يمس، والباقي يجبر.. وحتى لو نقص من بدنه شيء فلن ينال ذلك من عقله الكبير، وهي الوظيفة الأساسية المتدفقة عنده ثماراً يانعة، والواعدة بالكثير باعتباره من خيرة العقول العاملة للأمة في زمننا هذا.

قبَّلت جبينه مودِّعاً داعياً الرحمن الرحيم أن يحفظه ويرعاه، وطلبت إلى الطبيب أن يأذن لي في رؤية ماهر، فوافق بعد تردد معلّلاً إذنه ـ ونحن في طريق العودة ـ بأن رؤية أحباب الميت لميتهم تسهم في تفريغ كثير من

شحنات الصدمة والحزن رغم قساوتها حتى بالنسبة للأطفال والنساء.. صحبني مع جمع من الإخوة يقودنا من ممر إلى آخر حتى دلف بنا إلى غرفة الأموات؛ حيث كانت تنتصب ثلاجات كبيرة تحمل أدراجها أسماء محتوياتها من الجثث. سحب الحارس درجاً منها كتب عليه اسم ماهر عبد اللّه.

كان مشهداً مروِّعاً، إذ لم يبدُ من الجسم المسجَّى في لفافات بيضاء غير الرأس الملفوف؛ هو الآخر لا يبدو منه غير أنف طويل أشم قائم فوق فم باسم محاط بشارب غاية في السواد.. قبّلت الرأس وأنا أتصبر وما أكاد، وكذلك فعل من معي وهم يصبّرونني، وغادرت المكان محني الظهر أدفع هيكلاً يكاد يتداعى إلى السقوط.

وعلى أبواب المستشفى طلب إليَّ ضابط في الشرطة أن أدلي إليه بشهادتي حول الحادث رغم أني لم أشهده، وذلك لما علم بصحبة ماهر لي طوال الوقت منذ حلولي بالدوحة، وأني كنت ضمن برنامج رحلة الكارثة، لولا أني تخلفت عنها في اللحظة الأخيرة بسبب مكالمة طارئة: سألني عن صلتي بماهر والبشير، وعن الجهة التي كنا نعتزم الذهاب إليها، وهل هناك أحد كان على علم ببرنامجنا؟ وهل هناك جهة في الدوحة تستهدفك؟ فنفيت ذلك.

لم يعرف لماهر من تجربة حركية سياسية خارج السياق الإسلامي في المهجر، حتى جاء أوان رحلته الكبيرة للإطلال على الأمة الإسلامية من خلال قناة الجزيرة

ووقّعت على شهادتي متوجهاً إلى الفندق، إلا أن الجهة المضيفة رأت أن لا أنام في نفس الفندق هذه الليلة إجراءً احتياطياً، فصحبني أحد

الأصدقاء إلى حيث يقيم في فندق متنازلاً لي عن غرفته، لينام هو في غرفة زميل له.

كانت ليلة عصيبة، ما أحسب أني مررت بمثلها، ولم يخفف من وطأتها غير التسليم والرضا بقدر الله والذكر والتلاوة.

تفكَّرتُ في معنى الموت والحياة، وكيف أن الموت قد أحاط بالحياة من كل جانب، وسدَّ عليها كل منفذ حتى ما يكون شيء أقرب إليها منه، ولكنها تمضي في حبور تخطط وتبرمج لنفسها وكأنه غير موجود أصلاً، أو أنها قد تعاقدت معه ألا يحضر أبداً، أو أنها انتصرت عليه بالضربة القاضية، فما تضع لمفاجآته التي طالما تدخلت فحسمت الأمر، حساباً ولا تقديراً.

كم من برامج نحن سطّرناها لأيامنا وسنيننا ونسينا أن ندرج الموت ضمنها، بينما هو أثبت شيء فيها كما تتظافر على ذلك الشهادات المتكررة، مع أن مؤذن السماء لن يزال يرجُّنا ويذكرنا بحقيقة الموت والاستعداد للقياه باعتباره ثابتاً من ثوابت برامجنا اليومية.

عن مجاهدة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور**» فقال لي ابن عمر رضي الله عنهما: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً وعد نفسك من أهل القبور"[1].

وذلك أن الحياة لا تأخذ مكانها المناسب إلا باستحضار الموت أبدا إلى جانبها، مما يفسح المجال أمام الحياة الأخلاقية والروحية، فلا تطغى غرائز الأثرة والامتلاك والطمع في الخلود.

(١) سنن الترمذي (٢٣٣٣).

إن ذلك لا يعطِّل حركية الحياة والتنافس على الاكتساب، ولكنه يخفف من لهيبها وسعارها المحموم، لا سيما والحياة هي التي تنتصر نهاية على الموت: حياة سعيدة بلا موت أو شقاء، أو حياة شقية بلا موت.. وكل ذلك بحسب منهج التعامل مع الموت في هذه الحياة الدنيا.

لقد مثّلت الساعة (بين السابعة والثامنة) التي فصلتني عن الأخوين لأجد أحدهما يخيطه الأطباء، والآخر في الثلاجة، صدمة بالغة وجرح غائر لا يمحى: لقد نمت علاقتي بالأخوين نمو علاقتي بقضية الوطن الحبيب السليب فلسطين، فهما من تربته الطاهرة وإرثه المقدس المجيد قد صيغا، د. بشير نافع من قطاع غزة رمز ملحمة المقاومة الأسطورية، وماهر عبد الله قادم من الجناح الآخر من الضفة الغربية محضن القدس الشريف.. قد جمعتنا جغرافية وهموم المهجر البريطاني على امتداد زهاء عقد ونصف، جمعنا الإسلام ومشروعه الإصلاحي التجديدي العظيم، كما قرَّبنا إلى بعضنا وضع الاغتراب.

شخصية بشير واضحة، شخصية المفكر الإسلامي الذي ينهل من الإسلام وتراثه الطارف والتليد متفاعلين مع وقائع وعبر التاريخ القديم والحديث وثقافة العصر وهموم الأمة.

أما ماهر عبد الله فنسيج متفرد هو الآخر في سياق الحراك الإسلامي المعاصر.. لم يعرف له من تجربة حركية سياسية خارج السياق الإسلامي؛ مناضلاً ضمن النشاط الطلابي الإسلامي في المهجر، منتقلاً منه إلى النشاط الإسلامي العام في حقوله الواسعة، حتى جاء أوان رحلته الكبيرة للإطلال على الأمة الإسلامية من خلال قناة الجزيرة.

وأذكر يومها أن عدداً من الجمعيات الإسلامية في لندن أقامت له حفل

توديع، تخللتها كلمات رفاقه في المهجر؛ تقرّظه في أسف على فراقه، فلما جاء دوري لاحظت وكأن الإخوة آسفون على فراقه ويتمنون بقاءه معهم، بينما لا أجد أحداً منا إلا ويرجو أن تأتيه الفرصة يوماً ليعود إلى وطنه أو حتى إلى قريب منه.

ثم لاحظت أنَّ خطابهم يلقي في النفس وكأنهم يودعونه إلى الأبد، بينما المسافات قد تقاربت، وما كنت أدري أن مشاعر الإخوة كانت صادقة فعلاً تودع الأخ إلى الأبد.

ولكن ماهراً ولئن انتقل من وضع الاغتراب والخصاصة والبحث الناصب عن فرصة لنشر كلمة في صحيفة هنا أو هناك، أو كتابة تقرير صحفي ربما قاده إلى أقصى الأرض؛ إلى جنوب إفريقية حيث توثقت صلتنا، ماهر ولئن نقلته الجزيرة من حال شظف العيش في لندن لأمثاله؛ فإن ذلك لم يكن ـ كما لاحظ بعض أحبابه (ياسر الزعاترة) ـ ليغل من يده المبسوطة بكرم لا يعرف الحدود، ولا من نهم على المعرفة لا يرتوي.

إن تلك النقلة أعطته الفرصة ليجوس خلال مدن وعواصم كثيرة، ويحاور نخبة المفكرين في الأمة، ويقيم علاقات دولية ويتحول إلى نجم ساطع في سماء الإعلام، حتى افتتن به الكثير، غير أن ذلك لم يغير من شخصيته شيئاً؛ إذ ظل كما هو إسلاميّاً ملتزماً ولكن دون أن يتنازل قيد أنملة عن ثوابت شخصيته المميزة كما عرفه كل من اتصل به.

شخصية مستقلة إلى حدود التطرف، ناقدة النقد اللاذع إلى حدٍّ تحسب معه أن نقد الحركة الإسلامية ورموزها ومؤسساتها صناعته واختصاصه، حتى لتحسبه يتلذذ بذلك لدرجة المشاغبة، فما وقف مثولها بعظيم حاوره رغم احترامه الشديد لضيوفه، ولا تعطلت أدواته النقدية إعجاباً بأحد.

وأشهد أني ما سمعته يبدي إعجاباً بشجاعة شخصية مثل إعجابه

بشخصية الشيخ يوسف القرضاوي، ولكن دون أن يسلم أحد من نقده وسخرياته.. وربما ـ وعلى نحو غير شعوري ـ كان ذلك جسراً من أهم الجسور التي جمعتني إلى الرجل فأحببته، ربما كنت أحب فيه جانباً من شبابي.. ولم يفته أن يلاحظ لي أن ذلك الوتر النقدي ربما قد يكون هو ما شده هو الآخر إلي، قد أصابه كر السنين ببعض الوهن.

رحم الله ماهراً الشعلة التي سطعت في سماء الإعلام الإسلامي المعاصر، والعقل الناقد الساخر الذي يبلغ حد المشاغبة، ولكنه في ساعات العسرة يكون في الصف الأول يذب عن الأمة، فقد كان هناك في عاصمة الرشيد لم ترهبه العواصم ولا القواصم، وكان الموت أقرب إليه من حبل الوريد. ولكن من لم يمت بالسيف مات بغيره.

وأذكر كلمة تعزية قالها لأحد من إخوانه قد تفجَّع كثيراً لموت محمد قطبة الداعية والشاعر القطري رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كان صاحبك من أهل النار فلا يستحق التفجع عليه، وإذا كان كما تعتقد من أهل الجنة فما يليق بك التفجع عليه من باب أولى».

لقد اتصل بي الأستاذ معن بشور مهنئاً بسلامتي قائلاً تستحق قناة اقرأ أن نبعث لها بالشكر، فأجبته: إنها آجال يا صاحبي لا تتقدم ولا تتأخر وإلا لأدركت المنية ماهراً وهو في ساحة فلسطين ببغداد حيث تعرض للاستهداف الأميركي فأصيب غيره ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

❊ ❊ ❊

شيوخ (عبدالفتاح أبو غُدَّة)

د. سلمان بن فهد العودة

ثلَّةٌ من فضلاء الشيوخ يتولّون التدريس في المرحلة العليا التي تسبق الأطروحة للماجستير، كانت سمعتهم تسبقهم، وأسماؤهم المنقوشة بخط فارسي جميل على أغلفة الكتب؛ تأليفاً أو تحقيقاً تمنحهم الكثير من التقدير.

١ـ أوصاف الشيخ:

عبد الفتاح أبو غدة، ذو اللحية البيضاء الكثَّة، والابتسامة الصافية، وهدوء الصوت، واطّراد النبرة في الحديث، مع الوقوف على نهايات الكلمات بالحركة دون تسكين، كان هو أستاذ علوم الحديث أو ما يُسمَّى بالمصطلح.

٢ ـ طريقته في التدريس:

مقدِّمة ابن الصلاح تُقرأ، والأستاذ يعلِّق أو يشرح، بياناً لكلمة، أو فكّاً لغامض، أو تصويباً لنطق، أو نكتة لغوية، أو لطيفة أدبية، أو حكمة سائرة، أو قصة عابرة، أو طرفة حاضرة.

الطالب يقرأ: فلان صدوق يوهِم، بكسر الهاء، فيصحح الشيخ الفعل بأنه بفتح الهاء، وأصلها: يَوْهَم.

منه سمعوا لأول مرة: «يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار» إشارة إلى أن الحكمة قد توجد عند الأصاغر.

يسوقُ الشيخ الكلمة السائرة: اثنان أبرد من يخ، شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ، فيقول الشيخ: إنه وقف بعد البحث على أن اليخ هو : الثلج بالفارسية.

أحياناً يقول مُلمحاً: «لا تهمزوا المشايخ»؛ المشايخ كلمة تكتب بالياء، ولا تُهمز، فلا يحسن أن تقول: «المشائخ»، ولكن الشيخ يشير إلى معنى في قلب الشاعر.

يسوق موعظة في صورة قصَّة للحسن بن صالح وأمه وأخيه، الذين كانوا يقومون الليل أثلاثاً، فماتت الأم، فتناصف الأخوان قيام الليل، فمات الأخ فقام الحسن الليل كله.

٣ ـ معرفته الواسعة بالكتب النوادر والمخطوطات:

الحديث عن الكتب النوادر والمخطوطات شأن لصيق بالشيخ، وعن طريقه عرف الدارسون كتاب «التمييز» للإمام مسلم، في الرجال والعلل، أو تعرَّفوا على القطعة المطبوعة منه.

يتوسّع الشيخ في ترجمة الإمام مسلم من المطوَّلات، ويقرأ ما كتبه الذهبي، ويعلق ويثني.

الشيخ يمنح الطلاب شيئاً من بحوثه أو تحقيقاته: «صفحات من صبر العلماء على شدائد التحصيل والطلب»، «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج».

٤ ـ لطف الشيخ وأدبه وذوقه:

العلاقة يشوبها شيء من التوجس، بيد أن لطف الشيخ وأدبه وذوقه يتجاوزها، وقد تنِدُّ عبارات هنا وهناك تنم عما في الصدور.

٥ ـ مواقف الخصوم:

كتب تُنشر وتُوزع في «تفنيد أباطيل تلميذ الكوثري»، والشيخ يصدر رسائل علمية سلفية، ويقرر فيها عقيدة السلف في الإيمان، والأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات بغير تأويل.

٦ ـ تفاقم الخصومة:

على أن تفاقم الخصومة واحتدامها لم يُجِّد معه دواء، ولا بد عند بعض الموغلين فيها أن يتبرأ من شيخه ومن كتبه، وأن يردَّ عليه، وأن يعلن ذلك على الملأ، ولو حدث هذا فالظن أنه سيقال بأن وراء الأكمة ما وراءها، وأن الأمر لا يعدو أن يكون ذرّاً للرماد في العيون!..

٧ ـ الدائرة المفرغة:

الدائرة المفرغة تضيع بدايتها، بين طلاب يتأثرون بأقوال شيوخهم، أو شيوخ يستحوذ عليهم الأقوياء من طلابهم.

٨ ـ الانشقاق الحركي في سورية وأثره في إذكاء الخصومة:

بُعدٌ آخر، لعله كان حاضراً بطريقة أو أخرى، الانشقاق الحركي الذي ضرب تيار الحركة الإسلامية في الشام، وامتدت آثاره إلى حيث يوجدون في السعودية، والعراق، والأردن، وغيرها.

٩ ـ قصيدة الأستاذ عصام عطار:

الذين كانوا يحفظون قصيدة الأستاذ عصام العطار الوجدانية، والتي حوت شوقاً وزملاء طريقة، لاحظوا أن الرواة نسخوا بعض أبياتها لأسباب لم تكن محل الإفصاح!:

إيهِ أبا زاهدٍ يا قمةً شمختْ ... بالعلمِ والفضلِ يا كنزاً لمكتسبِ

ماذا عن الصحبِ والإخوان في حلبٍ ... يا طولَ سُهدي على الإخوان في حلبِ

ما قرّ جنبي وقد أقوتْ مضاجعكم ... كأن جنبي مطويٌّ على قضبِ

ماذا تعانون من عسرٍ ومن رَهَقٍ ... ماذا تقاسون من سجنٍ ومن حَرَبِ

يا أوفياءُ وما أحلى الوفاءَ على ... تقلُّبِ الدهر من معطٍ ومستلبِ

أفديكُم عصبةً لله قد خلصتْ ... فما تغيَّر في خصبٍ ولا جدبِ

١٠ ـ تلقين قالة السوء:

تداخل في الانشقاق الحركي التنظيمي، والتمايز العقدي والمذهبي أدّى إلى أن يتلقن بعض الشبيبة قالة السوء في الرجل، فتضطغن قلوبهم، حتى لا ترى للرجل فضلاً أو علماً أو حقّاً.

١١ ـ من مواقف الشيخ مع طلابه وتشجيعه لهم:

يصلِّي صاحبنا في مسجد كلية الشريعة صلاة المغرب، وإذا يدٌ تَرْبُت عليه من ورائه، ويلتفت ليرى الشيخ أبا غدة يصافحه، ويحييه ويدعوه لمصاحبته إلى منزله، حيث أهداه مجموعة من كتبه، وحين يقلِّب صفحاتها، يجد أنه لم يعد طالباً في الدراسات العليا، بل أصبح «فضيلة الشيخ».

١٢ ـ الشيخ أبو غدة في حاجة لمن ينصفه:

كان الشيخ أبو غدة في حاجة لمن ينصفه، وكما قيل:

ولم تزل قلةُ الإنصاف قاطعةً　　بينَ الرجالِ ولو كانوا ذوي رَحِمِ

وكما قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

١٣ ـ إقحام العوام والصغار والبسطاء في الخصومة:

من دروس الخصومة تعلَّم أن من شر ما يحدث إقحام العوام والصغار والبسطاء في دهاليزها، وهم غير مستبصرين.

وأدواتهم في الانتصار والغلبة، ليست هي الحُجَّة والبرهان والمعرفة والحوار والجدل والنصيحة، إنها الوقيعة والثلب والتعيير والتحذير والاستفزاز والتسرُّع، والتصنيف والاتهام والغيبة والتجرؤ والإهدار.

وهم يواصلون الحرب إلى النهاية، فلا صلح ولا سلم ولا هدنة ولا متاركة، ولا يكفي تراجع أو تصحيح حتى يقع الإذلال والمصادرة وتدمير آخر الحصون!.

١٤ ـ ميدان المعركة بعد انطفائها:

ينظر المرء إلى ميدان المعركة بعد انطفائها، فيجد أشلاءً ودماء وطعنات، ووسائل شريفة وأخرى ليست كذلك، ويدري أن العراك يستخرج أسوأ ما في النفس الإنسانية من معاني الأنانية والعدوانية والظلم والجهالة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢].

١٥ ـ ضرورة سيطرة الكبار على من تحت أيديهم:

وكم يجمل أن يُحكم الكبار سيطرتهم على من تحت أيديهم، وأن يضبطوا أصول التعامل الرشيد اليقظ مع الاختلاف، ومع الخطأ وفي مقام النصيحة ومقام الرد، ويتفطنوا لإفرازات الخصومة وتبعاتها، وينأوا بأنفسهم عن التعزُّز بالأعوان أو بالسلطان، بل يمحضونها للّه، لا حظَّ فيها للنفس، رحمة بالعباد، وإشفاقاً عليهم، وحماية للمدرسة الشرعيَّة من التصدّعات.

١٦ ـ ميل الدهماء إلى الخصام:

الدهماء تميل إلى الخصام، وتجد نفسها فيه، فهي تتقحم المعارك والمهالك دون تردّد، والروح عالية، والحماسة مشتعلة، واللسان حديد، والعصبية والثقة بالمتبوع لا تحتاج إلى برهان، والعربي اليوم كهو بالأمس!:

لا يسألونَ أخاهم حين يندبُهم ... في النائبات على ما قالَ برهانا

وهم يخرجون من معركة ليستعدّوا لأخرى، فما قيمة الحياة إن لم تكن طرفا عراك، وهو يظنُّ نفسه في مقام الذي كلما سمع هيعة طار إليها!..

١٧ ـ الحاجة إلى نفوس كريمة وأدوات شريفة وعقول نيِّرة:

ثمة اختلاف، وثمة خطأ وصواب، وراجح ومرجوح، بل وحق وباطل، بيد أن الحق يحتاج إلى نفوس كريمة تحمله، وأدوات شريفة تدافع عنه، وعقول نيِّرة تفهمه، وإلا فيرحم اللّه من قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم.

واللّه أعلم.

❊ ❊ ❊

حسان حتحوت.. أمة في رجل

د. يوسف القرضاوي

١ ـ شخصية حسان وعلمه وشعره:

ودعت الأمة الإسلامية، والدعوة الإسلامية، منذ أيام، علماً من أعلامها الفارعة، ونجماً من نجومها الساطعة، ولساناً من ألسنتها الناطقة بالصدق، وعقلاً من عقولها المفكرة بالحق، وقلباً من قلوبها النابضة بالحب، ودّعت الطبيب النابغة، والعالم المتمكن، والكاتب البليغ، والشاعر المطبوع، والداعية المؤثر، والإنسان الرائع، الأستاذ الدكتور حسان حتحوت، الذي وافاه الأجل في لوس أنجلوس في الولايات المتحدة، بعد عمر حافل بالعطاء بلا منّ، وبالجهاد بلا كلل، وبالبذل بلا انتظار مكافأة من أحد: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل: ١٩ـ ٢١].

وصف هو هذه الحياة بقلمه البليغ، فقال: إنها حياة ليس فيها مجال للملل، ولم يكن فيها للعبث مجال، يمد الناس أيديهم ليأخذوا، وأمد يدي لأعطي!.

يتحيّر من يرثي حساناً أو يؤبنه، عن أي جانب من جوانب هذه الشخصية الفذة، وأي ناحية من نواحي حياته العامرة بالخير والبركة يتحدث، وهو أمة في رجل؟..

أيتحدث عن حسان الطبيب الذي نبغ في طبه، وأحب مهنته، وأعطى لها حقها، فأحبه مرضاه، واعتبروه أباً لهم، لأنه لم يكن يرى الطب تجارة وكسباً، بل يراه رسالة ورحمة.. ولم يكن يتعامل مع المريض على أنه جسد، بل يتعامل معه على أنه نفس إنسانية، تحتاج إلى البسمة الصادقة، والكلمة الطيبة، كما تحتاج إلى التشخيص الجيد، والدواء الملائم، فلا غرو أن كانت بشاشة وجهه، وحلاوة لسانه، وحسن معاملته، وصدقه مع نفسه، وتقواه لربه، من أدوات علاجه، مع الأسباب المعتادة.

ومن المعلوم أن تأثير النفس في الجسم أمر أقره العلم، وأقره الدين، وأقره الواقع.

أم نتحدث عن حسان العالم الذي يشهد له المتخصصون أن له باعاً في اللغة والنحو والأدب، وباعاً في الفقه والدراسات الإسلامية، بجوار تضلعه في العلوم الطبيعية.. وقد كنا ـ نحن علماء الشريعة واللغة العربية ـ نسمع له بإعجاب من سعة اطلاعه، وحسن فهمه في هذه المجالات.

أم نتحدث عن حتحوت الكاتب، الذي كان الكثيرون ينتظرون مجلة العربي، ليقرؤوا خواطره الحية المعبرة عن عقل متألق، وشعور متدفق، وقلم متأنق، يخاطب الكيان الإنساني كله: يقنع العقول، ويحيي القلوب، ويقوي الإرادات.. ويعنى بالبشر كافة، عربهم وعجمهم، مسلمهم وغير مسلمهم، شرقيهم وغربيهم، متقدمهم ومتخلفهم، ويجتهد أن يعالج مشكلاتهم كلها، المادية والمعنوية، الدنيوية والدينية، فليس من طبيعته ولا من أخلاقه التعصب إلا للحق..

أم نتحدث عن حتحوت (الشاعر) المطبوع، الذي ورث الشاعرية عن أبيه، ولذا كان هو وشقيقه ماهر شاعرين مجيدين وإن كان حسان أغزر وأشهر وأبهر، ومما عرفنا من شعر والده: الأبيات الجميلة التي ودَّع بها حساناً، وهو ذاهب إلى أرض فلسطين:

اهبطْ على أرضِ السلامِ جُعلت يا ولدي فداك
ضمِّد جراحاتِ العروبةِ سدَّد المولى خُطاك
وامسحْ دموعَ الثاكلاتِ عساك تُسعدُها عساك
واذكرْ فلسطينَ الجريحةَ وانسَ أمَّك أو أباك
إني وهبتُك للجهاد وأينَ لي سيفٌ سواك؟

وقد ضاع الكثير من شعره، ولكن ما بقي منه أصدره في ديوان (جراح وأفراح) الذي أسعدني بإهداء نسخة منه إلي.. ومن روائع شعره قصيدة: (**من وراء الأسوار**) التي كتبها، وهو في سجن أبو زعبل ـ طرة (١٩٦٥م)، وفيها يقول:

إلى رحمةِ الرحمنِ أشكو وأفزعُ ... سقتني الرزايا كأسَها وهو مترعُ
ألا إنَّ ركن الحرِّ في الخطب قومه ... فماذا إذا ما خانه القوم يصنعُ؟
لقد كانَ لي في عزِّ قومي مطمعٌ ... فأضحى لقومي في هلاكيَ مطمعُ
وقد أزمعوا أمراً عليَّ وقدَّروا ... فبئس الذي قد قدروه وأزمعوا
وما أسفي للقيد في الرُّسغ إنَّما ... لقيدٍ أرى فيه بلادي تمزَّعُ!
وما كربتي سجني ولكنَّ كربتي ... لسجنٍ أرى فيه الملايين تقبعُ!
وُلدنا من الأرحامِ أحرارُ أنفسٍ ... وتُرضعنا مصرُ الإباءَ فنرضعُ
فما بالنا صارتْ تروَّض أُسْدُنا ... فتغدو كأسدِ السِّرْك تعنو وتخضعُ؟
إذا ما فقدتَ الظفرَ والنابَ لا تقلْ ... أنا أسدٌ بل أنت كبشٌ مطوَّعُ!
إذا الشعب ربَّوْه على خشبةِ العصا ... فماذا لدى ساح الوغى نتوقَّعُ؟

إلامَ تظلُّ الأُسْدُ رهنَ سجونِها وأبناءُ آوى في الكنانة ترتعُ؟

إلهيَ طالَ الليلُ ظُلماً وظُلمةً فهل تأمرُ الصبحَ المبينَ فيطلعُ!

فليسَ لنا من دون صُنعكَ كاشفٌ وليس لنا من دونِ بابكَ مرجعُ

ومن شعره في (العاطفيات) قصيدة: (نسمة حب):

أنا بالكلية بالقاهرة، وهي بالشرقية بالإجازة .. وهبت نسمة هواء شرقية ذات ليلة (صيف ـ ١٩٤٦م):

وساريةٌ بالليلِ قلتُ لها هُبّي صَبَتْ نحوَها روحي وخفَّ لها قلبي

معطَّرةً فوّاحةً فكأنما على من أتتْ من عندِ حيِّهمُو تُنبي

هموس أحاديث الصبابة كلَّما تصدَّت لها إصغاءةُ الفننِ الرَّطْبِ

من الشرق هبَّتْ تحملَ الحبَّ هل أتتْ تعود فتًى قد شفَّه الحبُّ في الغربِ؟

أقولُ لها: هاتي الحديثَ وصارِحي فقد نامتِ الدُّنيا سوى مقلة الصَّبِّ

ألا كيف هُمْ مُذْ فارقَ الدارُ ركبُهُم وفارقني قلبي.. وراحَ مع الرَّكْبِ

وقد همستْ بي نسمةُ الليلِ همسةً سلاماً وبرداً فهي للرُّوحِ كالطِّبِّ

بأنَّ الهوى حيٌّ وأنَّ أحِبَّتي يسيرون في شرعِ الوفاءِ على دربي

ومن روائعه في المدح النبوي قصيدة: **(في ذكرى المولد النبوي الشريف)**:

ذكرتُكَ في ليلةِ المولدِ وناري في القلبِ لم تخمدِ

ذكرتُكَ يا أشرفَ المرسلين — ويا خيرَ هادٍ لمن يهتدي
ذكرتُكَ والقدسُ فيه اليهودُ — يعيثونَ بالنارِ في المسجدِ
ذكرتُكَ والهامُ فوق الترابِ — وقد كانت الهامُ في الفرقدِ
ذكرتُكَ والوطنُ اليعربيُّ — تعيثُ به نزوةُ المعتدي
ذكرتُك بانيَ أركانه — ولو لم يضيعك لم يهدِ
ذكرتُكَ والقومُ في فتنةٍ — كما لم تظنَّ ولم تعهدِ
ذكرتُكَ في أمةٍ لم تصنْكَ — فوا خجلتا منك يا سيدي

أم نتحدث عن حسان (الداعية) الموفق، الذي هيأ اللّه له القبول، بالعقول تفهمه، والقلوب تحبّه، والعزائم تستجيب له؛ فهو داعية بلسانه، وداعية بقلمه، وداعية بنثره، وداعية بشعره، وداعية بفكره، وداعية بعاطفته، وداعية بوجهه، وداعية بأخلاقه، وداعية بحسن تعامله.. داعية إذا جد، وداعية إذا مزح، داعية إذا تكلم، وداعية إذا صمت.. داعية في المسجد، وداعية في العيادة، وداعية في الجامعة، وداعية في البيت، وداعية في الطريق.

كان ـ إلى جوار كونه كاتباً وشاعراً ـ محاضراً متمكناً، يحسن إعداد بحثه، وتوثيق مصادره، وإيضاح فكرته، وإجادة عرضه، وانتقاء أسلوبه.

وكان خطيباً مفوَّهاً، يشد القلوب، ويحرك المشاعر، دون إسراف في تهييج العواطف، أو التعدي على حق الفكر، وكان سليم الأداء، لا تستطيع أن تمسك عليه لحنة واحدة في نحو أو صرف؛ كأنه عربي قح يتكلم بالسليقة، كما قال أحدهم قديماً:

ولستُ بنحويٍّ يلوكُ لسانَه ولكن سليقيّ أقولُ فأعربُ!

وكانت عدته ثقافة إسلامية رصينة، حصلها من صلته الباكرة بدعوة الإخوان، وقربه من مؤسس الدعوة ومرشدها العام حسن البنا، وقد كان له مكانة عنده، كما كان حسان يعتز بتتلمذه على حسن البنا، ويرى فيه المعلم القوي الأمين، والمربي الأسوة، والقائد البصير.. ثم أكملها بالقراءة والاطلاع، مع قريحة وقَّادة، وعقلية نقادة.

أم نتحدث عن حسان (الإنسان) الذي لا يماري صديقٌ ولا عدو ولا قريب ولا بعيد، ولا مسلم ولا غير مسلم، في إنسانيته التي وسعت الجميع في رحابها، وأظلتهم بظلالها، وهو يستمد هذه الإنسانية من صلب الإسلام، كما فهمه نظراً، وآمن به اعتقاداً، وعاشه عملاً. ويرى أن الإسلام (دين إنساني) بكل ما تعنيه الكلمة من الإخاء والحب والمساواة والرحمة والبذل والتعاون والتكافل والتسامح.

وكانت عنايته بالإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن عرقه أو لونه أو وطنه أو لغته أو دينه، أو مذهبه أو طبيعته، أو غير ذلك مما يفرِّق الناس بعضهم من بعض.. وكيف لا وقد رأى النبي ﷺ يقوم واقفاً لجنازة يهودي، فقالوا له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «أليست نفساً؟!».

ولا غرو أن كان حسان نبعاً ثرّاً للحب لا يغيض ولا ينقص، كان الداعية الأول للحب، حب الناس كل الناس، واطراح الكراهية والبغض، فإن البغضاء هي الحالقة، وكان يروي عن إمامه حسن البنا أنه كان يقول: سنقاتل الناس بالحب! يقول حسان: أنا إنسان محب، وأحب الحب، وأعتقد أنه إذا كانت المسيحية الحقة تقول: (الله محبة) فأنا كذلك أرى أن الله أوجز الإسلام كله في كلمتين، وذلك في خطابه لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأذكر أن آخر لقاء ضمني بالدكتور حتحوت كان في مقر منظمة الصحة العالمية في مصر، حيث كنا مدعوين فيها، من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت، ومن عدد من المؤسسات الإسلامية والغربية، لإعداد (الميثاق الأخلاقي) للأطباء.. وفي ختام الاجتماع طلب حسان الكلمة، وألقى فينا خطبة، دمعت لها العيون، ورقت لها القلوب، وكأنها موعظة مودِّع، كانت كلها دعوة إلى الحب، وترغيباً في الحب، وتعميقاً للحب، وأنه لم يجد أفضل للبشر ولا أنفع ولا أزكى من الحب، ولم يقدر لي أن ألقاهُ بعدها.

ومن إنسانية حسان: أنه حين ذهب في سنة (١٩٤٨م) متطوعاً للعمل في فلسطين في مجاله الطبي والعلاجي، ولاسيما في إسعاف الجرحى، وعلاج المصابين، جيء بمجموعة من الأسرى اليهود جرحى، ولكن حساناً علم أن القيادة العسكرية قررت إعدامهم بالرصاص، انتقاماً لما ارتكبوه أو ارتكبه قومهم ـ ولا يزالون يرتكبونه ـ من قتل النساء والأطفال والشيوخ. إلا أن حساناً وقف في وجه هذا القرار بكل قوة قائلاً: لا ينفذ هذا القرار إلا على جثتي؛ فهؤلاء أسرى جرحى من حقهم أن يعالجوا كما يعالج كل جريح، ولا يحملون وزر قومهم، وقد قال تعالى عن الأسرى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد، الآية:٤]، وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان، الآية: ٨].. وغلبت إرادة حسان إرادة الإدارة العسكرية، ونجا هؤلاء وعولجوا حتى شفوا.

وقد عرف اليهود هذا الموقف وتحدثت عنه الصحف الإسرائيلية، وكانت سبباً في الإفراج عن طبيب مصري كان أسيرا عند اليهود، وزميلاً للدكتور حتحوت.

٢ ـ بداية صلتي بحسان:

في الحديث المتفق عليه، أن النبي ﷺ قال: «**الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**» صدق رسول الله ﷺ.

٣ ـ تعارف روحي:

ويبدو أن رُوحي قد تعارفت مع رُوح أخي حسان حتحوت في (عالم الذر) كما يسمُّونه، فائتلفت معها: فقد أحببتُ حسانًا قبل أن ألقاه، وعرَفتُه قبل أن يعرفني.

فقد كنا نحن ـ طلاب الإخوان المسلمين في المرحلة الثانوية ـ نتابع نشاط إخواننا (الكبار) من طلاب الجامعة، نعتزُّ بمواقفهم، ونتغنَّى بأمجادهم، ونطرب لأفراحهم، ونأسى لفواجعهم، ونُزهى بنوابغهم.

وكان من هؤلاء النوابغ: مصطفى مؤمن بكلية الهندسة، وسعيد رمضان بكلية الحقوق، وحسان حتحوت بكلية الطب، وكلهم اشتهر بفصاحة اللسان، وبلاغة اليراع.. وكانت تأتينا أعداد من مجلة أصدرها إخواننا طلاب القاهرة، اسمها: (الطالب العربي)، وهذا العنوان دليل قديم على عمق الحس العروبي إلى جوار الحس الإسلامي، والحس الوطني لدى الإخوان.

وكانت المجلة تشتمل على أخبار الطلاب، وعلى بعض كلمات ومقالات وقصائد للنابهين منهم.

ومنها لحسان، الذي يبدو أن والده سمَّاه بهذا الاسم، ليقوم في الأواخر مقام (حسان) شاعر الرسول ﷺ في الأوائل، فقد عرَفتُ من مذكرات حسان: أن والده كان شاعراً مطبوعاً، كما تجلَّى ذلك في أبياتها التي بعث بها إليه، حين ذهب إلى أرض فلسطين سنة (١٩٤٨م)، لخدمة المجاهدين في الميدان، وقد سقناها من قبل.

ومما أذكره مما قرأتُه من قديم لحسان في عنفوان شبابه، يتحدَّث عن القرآن:

هذا الكتابُ، وإنَّ فيه سياسةً   أتراه أمراً في الكتابِ عجيبا؟

إن كانَ تزعجكم سياستُه دعُو   هُ ونقِّبوا عن غيرِه تنقيبا!

أو فاعرضوه على الرَّقيب فَرُبَّما   أفتى، فغادَرَ نصفَه مشطوبا!

يا قومُ سُحقاً للرقيب وأمرِه   فكفى بربِّ العالمين رقيبا!

وحينما اقتادونا إلى الاعتقال في أوائل يناير سنة (١٩٤٩م)، ووضعنا في سجن قسم الشرطة، (قسم أول) بمدينة طنطا، وظللنا فيه نحو أربعين يوماً، كان من رفقائنا في السجن المهندس حكمت بكير، الذي جيء به من مقرِّ عمله بمدينة كفر الزيات، وكان من نشطاء طلبة الإخوان في الجامعة، ويحمل ذكريات طيبة حدَّثنا بها عن إخوانه، وعلى رأسهم حسان، فزادني ذلك حبًّا له، وشوقاً إليه.

٤ ـ لقاء في المعتقل:

ثم شاء اللّه أن ننتقل من سجن طنطا إلى معتقل الطور، وبعد فترة نقلونا ـ نحن طلبة الثانوي ـ من معتقل الطور إلى معتقل هايكستب، وفيه جاءنا حسان، من ميدان الجهاد في فلسطين إلى المعتقل، وهو ما استغربه حسان من قومه: أن يكون الاعتقال والحبس وراء القضبان جزاءه وجزاء أشباهه ممَّن خدموا أوطانهم بإخلاص، وعرَّضوا أنفسهم لخطر الهلاك من أجل أمتهم، وأنشد في ذلك قول طَرَفَة:

وظُلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على المرءِ من وَقْعِ الحسامِ المهنَّدِ!

وفـي هايكستـب عرَفتُـه عن كثـب، ولقيته وجهـاً لوجه، وجلسـتُ إليه، واستمعـت إليه، وإلــى شعره الرقيق، وإلى نوادره وفكاهاته، التي تصدر دون تكلُّـف، ورغـم أنـه كان طبيبـاً نابهاً، وكنتُ فيهـا طالباً في نهايـة المرحلة الثانوية، فلم أشعر فيه قط بتعالٍ أو صلف، بل كان قريباً من الجميع، حبيباً إلـى الجميع، بزكاة نفسه، وطهارة قلبه، ورجاحة عقله، وحسن خلقه، وحبِّه لإخوانه، ومسارعته لنفعهم.

ورغم أنه كان في استقامته كشعاع الشمس، وفي نقائه كماء المزن، وفي صرامته كحدِّ السيف، فقد شعر كلُّ مَن عاشره أو اقترب منه: أنه نعم الجليس، ونعم الأنيس، لخفَّة ظلِّه، ومرح رُوحه، وملاحة نكاته، وقفشاته التي تصدر منه على البديهة، في غير إسفاف ولا ابتذال، ولا جرح لأحد.

وبعد أن خرجنا من المعتقل التقينا في ساحة الدعوة بالقاهرة، ثم فرَّقت بيننا الأيام، وعافاه الله سنة (١٩٥٤م) من (السجن الحربي)، الذي جمع الله به ـ رغم قسوته وما فيه من آلام وعذاب ـ بين كثيرين باعد بينهم الزمن، فقد كان خارج مصر، حتى هيَّأ الله لنا لقاءات ولقاءات في مرحلة النضج، في ندوات علمية، ومؤتمرات إسلامية، وخصوصاً ندوات (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) بالكويت، التي سنَّت سنَّة حسنة في الجمع بين علماء الفقه وعلماء الطبِّ، للتباحث المشترك في القضايا الفقهية المتعلِّقة بالطبِّ، وكان حسان من أبرز الأعضاء المؤسِّسين والمشاركين في هذه الحلقات، بخلفيَّته الإسلامية، وثقافته الشرعية، وبراعته الطبية، وقدرته الأدبية.

وأهم ما عرَفتُه في حسان خلال تلك المراحل كلِّها، خصال ست، لم تتغيَّر في شباب ولا هَرَم، وهي: الصدق الذي لا يعرف الكذب، والإخلاص الذي لا يشوبه رياء ولا طلب مغنم، والاستقامة التي لا تعرف العوج ولا

الالتواء، والاعتدال الذي لا يعرف الشطط ولا التفريط، والثبات الذي لا يعرف التلون ولا التراجع، والحب الذي يَسَع الموافق والمخالف.. كما وصف ذلك هو بقوله: (الصفاء بالمحبَّة لكلِّ الذين لقوني في حياتي ظالمين أو مظلومين).

٥ ـ رجل يعرف الفضل لأهله:

ومَن عرَف حساناً عرَف أنه رجل تميَّز بشعور رقيق، وحسٍّ دقيق، وفَهم عميق.. ولأنه رجل أخلاق من الطراز الأول، يقدِّر القيم الأخلاقية حقَّ قدرها، ويعترف لأهلها بفضلهم، وينوِّه بشأنهم، لتتَّخذ الأجيال منهم خير أُسوة.. انظر: حديثه عن أبيه وأمه رحمهما اللّه، في مطلع كتابه المؤثر (بهذا ألقى اللّه)، وهو يقول عن أمه: إنها كانت أُمَّة.. وهو يذكرها أكثر مما يذكر أباه، وهذا يشير إلى أنه لا يحمل عقدة ضد جنس المرأة، كما وضَّح ذلك في حديثه عن زوجه د. سلوناس، التي يقول: إن قصته معها وقصتها معه، جديرة أن تُنشر في كتاب ، وقد حاول ذلك، ولكن زوجته هي التي تأبى.

وانظر: حديثه ـ في مذكراته عن السنوات العشر التي سمَّاها (العَقْد الفريد) ـ عن أستاذه الدكتور سليم صبري، الذي أعتبره أستاذه في الطب، كما كان الأستاذ البنا أستاذه في الدعوة.

وانظر: حديثه عن الأستاذ محمد فريد عبد الخالق، الذي قال عنه: إنه كان مخلصاً، وكان مثقَّفاً، وكان مفكِّراً، وهو ثالوث نفيس ومفيد.

وحديثه عن الأستاذ صالح أبو رقيق، وموقفه يوم (العلقة السخنة) في معتقل الهايكتسب، فقد وقف أمام العسكر ومدَّ ذراعيه يتلقَّى الضربات عمن وراءه من الإخوان، وخصوصاً من صغار الطلبة، (مثل محيي الدين عطية).

وحديثه عن الشيخ عبد المعز عبد الستار، وهو يقول للجنود، وهم يضربونه بعصيهم الغليظة: اضربوا يا كلاب، اضربوا يا أنذال.

وحديثه عن الشيخ فرغلي، ومصطفى مؤمن، وسعيد رمضان، وحسن دوح، وغيرهم وغيرهم.

٦ ـ حسان وحسن البنا:

أما حديثه عن الأستاذ البنا فهو حديث المعجب المحب، حديث التلميذ عن أستاذه، والمريد عن شيخه، والجندي عن قائده، والابن عن أبيه، دون غلو ولا تقديس.

وهو يلتقط المواقف الهادية المعلِّمة بحاسته المرهفة، ويختزنها في ذاكرته طوال تلك العقود، ليخرجها للناس حتى يلتمسوا فيها العظة، ويأخذوا منها العبرة، سواء كانت مواقف تنبئ عن عقل كبير، أو عن قلب كبير.

فمن المواقف التي تدلُّ على كبر عقل الرجل: حسن تخلُّصه من المآزق والمواقف الحرجة بلباقة منقطعة النظير، بكلمات بليغةً معبِّرة.

كما سُئل عن السينما: أحلال هي أم حرام؟ فقال: السينما الحلال حلال، والسينما الحرام حرام.

وحين اعترض العالم التقي الورع الشيخ محمد الحامد الحموي على استخدام الأستاذ البنا لكلمة (الكأس) في مجال الكرة، حيث حصل فريق من الإخوان على (الكأس)، فقال الشيخ الحامد رحمه الله: إن الكأس تستعمل في الخمر، فلا ينبغي أن تتَّخذ لدى الإخوان. فقال البنا: لا تغضب، يا شيخ محمد، لقد حصل الإخوان على (القدح)!.

ومن المواقف المؤثِّرة التى حكاها حسان في إحدى الكتائب التى أقامها قسم الطلاب، والتي كان يشهدها ويشارك فيها الأستاذ بنفسه: أنه استأذنهم

لمدة ساعة، ثم عاد ليكمل برنامج ما قبل الفجر إلى نهاية الكتيبة.. وبعد انصرافهم قال حسان لبعض رفقائه: كأني لحظتُ على وجه الأستاذ مسحة من حزن! فأنكروا ذلك.

وفي الساعة العاشرة اتصل الإخوان بهم ليدعوهم إلى جنازة ابن الإمام الشهيد حسام، فقد استأذن الإمام تلك الساعة ليودِّعه ويغطيه ويعود لاستكمال ما بدأه.

وهذا ما لا يقدر عليه إلا الصِّديقون.. نرجو اللّه أن يكون منهم.

٧ ـ رجل الاعتزاز والتسامح:

وهو كذلك رجل مسلم شديد الاعتزاز بدينه، مستمسك بعروته الوثقى، ملتزم بمثله العليا، يؤمن به ويدعو إليه عقيدة وشريعة، وديناً ودنيا، ودعوة ودولة، وحقًّا وقوَّة، ويقف عند حدوده، وينزل على أحكامه، ولا يجد في نفسه حرجاً منها، بل يسلم تسليماً.

وهو يؤمن بأن هذا الدين هو سفينة الإنقاذ للبشرية، وفيه خلاصها مما تعانيه من الفلسفات المادية والإباحية، ومن أخطار الإيدلوجيات والأنظمة الوضعية التي أشقت البشر، ومن طغيان الأقوياء على الضعفاء الذي يهدد العالم.. ومع هذا لا يدفعه هذا الاعتزاز والالتزام إلى التعصُّب ضد الآخرين، أو التنكُّر لحقوقهم، أو الإزراء عليهم، بل نجد موقفه مع الأقباط ـ نصارى مصر ـ في غاية العدل والإنصاف، منطلقا من القرآن الكريم الذي أمر ببرهم والإقساط إليهم: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ومن السُّنَّة النبوية التى أوصت بأقباط مصر خاصة، في عدد من الأحاديث.

حتى إن بعض إخوانه أطلقوا عليه من باب المزاح (الأب) حسان! وقد كتب في مجلة الإخوان الإسبوعية مقالاً بعنوان (أخي جرجس)، وردَّ عليه القمص سرجيوس الكاتب القبطي الشهير في مجلة الأقباط، يبادله تحية بتحية، ووُدًّا بوُدٍّ، وهو في هذا ينطلق من حيث انطلق شيخه ومرشده الإمام البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما وضَّح ذلك بما كتبه حسان في مذكراته، في فصل (نحن والأقباط).

وأكثر من ذلك: موقفه من اليهود، ودفاعه عن أسراهم، وقد ذكرنا هذا الموقف من قريب.

٨ ـ رجل طابعه الاعتدال:

ومن الدلائل على أن حساناً رجل معتدل حقّاً، وليس من أهل الغلو ولا التقصير أنه يجتهد أن يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، لا يغمط أحداً ما قدَّمه من فضل، ولا يضفي على أحد هالة لا يستحقُّها.. لا يبالغ في المدح إذا احتاج إليه، ولا يذمُّ أحداً إلا إذا ألجأته الضرورة، وفرضت عليه الحقائق المُرَّة ذلك، وقد يذكر الشخص بالوصف لا بالاسم، أو بحروف اسمه الأولى عند اللزوم أو نحو ذلك.

وقد ينتقد نفسه في بعض الأحيان، كما فعل حين كان طبيباً في قرية بهوت، ودعاه البدراوي باشا إلى العشاء مع مهندس الري والمفتش الزراعي، ولكنه اعتذر، وبقي في محبسه.. قال: لكنني كنتُ حسَّاساً أكثر من اللازم في موضع حفظ الكرامة، ويخيَّل لي بالنظرة الخلفية: أنه لم يكن عليَّ غبار أن أذهب وأتعرَّف بالناس.

وقد تعرَّض في كثير من المواقف في مذكراته لإعطاء الرأي في كثير من المواقف والشخصيات والأحزاب؛ فقد تحدث عن (الملك) الذي كان أحب الناس إلى شعبه، فأمسى ـ بسوء سلوكه ـ أبغضهم إليه ...

وتحدَّث عن حزب الأغلبية (الوفد) وموقفه من الإنجليز والرأي والدستور، وعن أحزاب الأقلية، التي تحكم مصر بالانتخابات المزوَّرة كلما أراد الملك أن يتخلَّص من الوفد، لكثرة الفساد والمحسوبية.

وتحدَّث عن قضية فلسطين وعن دخول الجيوش العربية السبعة فيها، وقال: يا ليتها لم تفعل ... وتحدث عن الأسلحة الفاسدة ... وتحدث عن بطولة المتطوِّعين من الإخوان.

وتحدَّث عن الإخوان وعن نظام (الكتائب) التربوي الفريد، وقال: وما زلت أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الحركة الإسلامية لن تحرز النجاح إلا إن بدأت من هذه البداية: تكوين اللبنات الصالحة.. أما البداية من النشاط السياسي، أو العسكري، أو المذهبي، فهو بداية المرحلة من منتصف الطريق، وشروع في البناء من غير حفر أساس.

وفي فصل (السؤال الأخير) الذي ختم به هذه المذكرات تحدَّث عن رأيه في (النظام الخاص)، وفي الديمقراطية، وفي الحضارة الغربية، وحديثه هنا ـ وإن كان خارج نطاق الذكريات ـ حديث المهموم بشؤون أمته، وهموم دعوته، وأنا معه فيما ذهب إليه من جملة الأفكار، وقد سجَّلت ذلك في أكثر من كتاب لي: فتاوى معاصرة، أولويات الحركة الإسلامية، من فقه الدولة في الإسلام، وفي مذكرات ابن القرية والكتاب، وغيرها.

٩ ـ لمحة عن حياة حسان:

ولد حسان في مدينة شبين الكوم عاصمة المنوفية بمصر، في (١٩٢٤/١٢/٢٣م) في بيت كريم، معروف بالوطنية أمّاً وأباً، وقد كان والده مدرِّساً للغة الإنجليزية، كما كان شاعراً مجيداً.

ومنذ كان طالباً في الثانوي كان يخطب في الطلاب، ويقودهم في المظاهرات ضد الإنجليز، ثم انضم إلى الإخوان سنة (١٩٤١م)، وكان له نشاط قيادي في قسم الطلاب.

وقد التحق حسان بكلية الطب في جامعة القاهرة وأنهى دراسته بها، وتخصَّص في طب النساء والولادة، وحصل على دبلوم التخصص من نفس الكلية عام (١٩٥٢م).

ثم حصل على درجة الدكتوراه، ثم الزمالة من إنجلترا في علم الأجنة، وعمل في مستشفى الدمرداش بالقاهرة لمدة سنة، ثم بالقسم الريفي في قرية بهوت، مركز طلخا، التابعة لمديرية الغربية في ذلك الوقت.

ومن مصر انتقل إلى العمل في عدة دول عربية، منها: السعودية لمدة ثلاث سنوات، ثم انتقل للعمل بالكويت، وهناك مكث فترة طويلة، شارك خلالها في تأسيس كلية الطب، ورئاسة قسم أمراض النساء والولادة، كما شارك في النشاط الثقافي والدعوي والاجتماعي، وكان محترماً محبوباً من كل من عرفه.

وبعد أن استقر في عمله بالكويت، نسي ما أصابه في المعتقل، وأرسل إلى المباحث العامة المصرية يطلب العودة إلى مصر، ليشارك بجهده وعلمه وخبرته في خدمة بلده، فرحبت به السلطات المصرية، وعاد مدرِّسا بطب عين شمس عام (١٩٦١م)، ثم بجامعة أسيوط الجديدة عام (١٩٦٣م)، وخلال هذه الفترة عمل على دعم العلاقة الودية بين المسلمين والأقباط، خلال محاضراته ودروسه حتى أحبه الجميع، ولكن كل هذا لم يكن شفيعاً له، إذ تم اعتقاله عام (١٩٦٥م)، بناء على القرار الشهير الغريب الذي أصدره عبد الناصر، وهو قرار (اعتقال كل من سبق اعتقاله)! واستمر الاعتقال عدة أشهر، ورغم عدم تعرض آلة التعذيب لشخصه، لكنه عايش

وسمع ورأى بعينيه عمليات التعذيب الرهيبة، والتي عرفت باسم (المحرقة)، وخرج بعدها ليسافر إلى الكويت مرة أخرى، مقرراً عدم العودة إلى مصر ثانية.

١٠ ـ حسان يتحدَّث عن حياته:

ولقد تحدث حسان عن نفسه وعن نشأته حديثاً موجزاً، ولكنه نافع وممتع في كتابه (بهذا ألقى الله: رسالة إلى العقل العربي المسلم)، فقال: «ولدت في بلدة شبين الكوم في دلتا النيل بمصر؛ ونشأت نشأة الريف وسماحته وطيبته، الصفصافة التي أسدلت فروعها في مياه بحر شبين، وكأنها عروس حلَّت ذوائبها الطوال، والساقية والنورج والحقول المعطاء الخضراء، وبحر شبين الذي كنت أظنه أكبر حاجز مائي، رغم أنه كان يجف في الشتاء فنعبره سيراً على قاعه، حتى انتقلنا إلى القاهرة، فرأيت النيل أكبر، وزرت الإسكندرية، فرأيت البحر أكبر وأكبر، وما زال الأفق ينداح أمامي طوال الحياة.

الوالد شاعر رقيق، وأديب ضليع، وفيلسوف هادئ، لم تستطع سرَّاء ولا ضرَّاء أن تمثل له الدنيا بأكبر من حجمها، ومخزون لا ينفد من سرعة البديهية وحلاوة النكتة، وبهجة المحضر، حتى كانت الناس تجتمع على محضره كالفَراش.

والوالدة شعلة لاهبة من الوطنية، أسهمت في الجهاد للوطن، وكانت أول من قاد مظاهرة نسائية في بلدتنا المحافظة المتواضعة، احتجاجاً على الاحتلال الإنجليزي، خرجت من المسجد العباسي، وسارت إلى كنيسة الأقباط، ولما تزوجَتْ وأنجبتْ أرضعتْ ولديها وغذتهما حب الله وحب الوطن.

ووفقني الله في دراستي وحصلت ما جعلني أستاذاً ورئيس قسم في مادة تخصصي.

وتزوجت من اخترتها على نساء العالمين، وقررت أن أتزوجها أول مرة أراها فيها، وأبلغتُها بهذا القرار، يقصد زميلته الدكتورة سلوناس.

وفقدت ابنتي الأولى في حادث سيارة، فلما قرأت البرقية قلت على الفور: (اللهم إني أعلم أنك تنظر إلي وملائكتك .. اللهم إني أعلم أنك تختبرني فأرجو أن أنجح في الاختبار.. اللهم إني أعلم أن الناس تستوي بعد سنة، ولكن الاختبار في الوهلة الأولى.. اللهم إن كنت رضيت لي هذا فإني رضيت، إني رضيت، إني رضيت.. اللهم إنها كانت وديعتك لدينا فأصبحت وديعتنا لديك).

وشهدت حرباً (يعني حرب فلسطين ١٩٤٨م) فشهدت قسوة الإنسان على الإنسان، وأحسست الموت يمر على مسافة سنتيمترات مني في زخّات الرصاص، فعلمت ألا يصيبني إلا ما كتب الله لي، وعُهِد إلي بجرحى من أسرى العدو فعاملتهم أكرم معاملة.

وأصاب معدتي مرض خبيث فلم أقل: ولماذا أنا؟! فمن الأنانية أن تطالعه في الناس بهدوء، فإذا أصابك جزعت! وجاء شبح الموت فقلت: ومن ذا الذي لا يموت؟ وسبحان الحي الذي لا يموت! وماذا عليّ لو وصلت إلى الشاطئ ونعمتُ في أكرم جوار!.

وأخذت العلاج فاشتدت عليّ وطأته، فقلت: لا بد أن أدفع البأس بالبأس، فألَّفت كتاباً بالإنجليزية اسمه (قراءة العقل المسلم)، ونجح الكتاب كوسيلة دعوة تُطْلِعُ غير المسلمين (والمسلمين) على الوجه الحقيقي للإسلام.

وزال المرض والحمد لله، إلا أن العلاج ترك بصمته على قلبي، لكن

ما دام ينبض، فالحياة مستمرة، والجهاد قائم، فقد قررت ألا أموت قبل أن أموت.

وتوافر لي في حياتي ما لا يتوافر للكثيرين من معلمين ومرشدين ونماذج ناصعة، في الإيمان والمثالية الطيبة ونقاء القلب وخدمة الناس، رحمهم اللّه جميعاً.

وعشتُ في الكويت فترة طويلة.. وللكويت عليَّ يد لا تنسى، ليست الوظيفة وليس المرتب، فكان في وسعي مثل ذلك وأزيد، ولكن في وقفة وفاء لم يعلم بها إلا الأقلون من رجال الكويت، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

وعوضني اللّه خيراً كثيراً، وكان فضل اللّه عليّ عظيماً».

١١ ـ انتقاله من الكويت للدعوة في أمريكا:

ويكتب حسان بقلمه عن الدوافع التي جعلته يستقيل من عمله بالكويت ليتفرغ للدعوة إلى الإسلام في أمريكا، فيقول:

«والذي صاحبني طول حياتي حبي للإسلام، أحمل اسمه، وأحمل همه، وأعمل له.. ودلتني زياراتي على أن الإسلام في أمريكا فرصة حقيقية وتاريخية، إن ضيعناها فهي شيمتنا وما أكثر ما ضيعنا! وإن انتهزناها فربما أفضى ذلك إلى منعطف تاريخي يفيد أمريكا، ويفيد العالم، ويفيد المسلمين وقضايا المسلمين.

فاستقلت من عملي بالكويت وسافرت لأمريكا وطويت سجل العمل الطبي (الذي عشقته ولا أزال)، وقلت: أقصِر شريحة من عمري على خدمة الإسلام، وأنتهزها فرصة في زمن الاستطاعة، وأربعون سنة من الطب إسهام وافٍ، والحمد للّه.

وأفضل خدمة للإسلام في أمريكا (وفي غيرها من البلاد مسلمة أم غير مسلمة) هو أن يعيشه الإنسان بإخلاص، ويحسن عرضه على الناس.

وأحببت أمريكا وإن كان بها فساد كبير، على مستوى الأخلاق، وعلى مستوى السياسة؛ لكنها تتيح قسطاً من الحرية في خدمة الإسلام لا يتوافر في أكثر بلاد المسلمين.. وحيث تكون الحرية (حرية الصلاح والفساد) فالإسلام هو الرابح على المدى البعيد، وحين تغيب الحرية فالإسلام أول خاسر وأكبر خاسر».

اتصلت به مرة بعد مدة من استقراره في أمريكا، وسألته عن همه ونشاطه في تلك المرحلة، فقال: همنا الآن هو بناء (المدارس) لنربي فيها أبناء المسلمين على الإسلام الصحيح، بجوار تعلُّمهم ما تقدمه المدارس هناك.. إن الجيل الذي سبقنا كان همه بناء المساجد، ولكن إذا لم نربِّ للمساجد رجالاً يعمرونها ويحرسونها، سيأتي جيل يبيع المساجد للنصارى، كما باع النصارى لنا كنائسهم، لنحولها إلى مساجد ومراكز إسلامية.

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالمساجد وحدها لا تكفي للإبقاء على إسلام الناس حيّاً قويّاً، ما لم تسنده مؤسسات أخرى، تحافظ على هوية الجماعة المسلمة، وبخاصة المؤسسات التربوية.

وقد ألَّف بعد مرضه كتابه (قراءة في تاريخ العقل المسلم)، بلغته الإنجليزية الجميلة، ليخاطب به العقل الغربي، ويقنعه بجمال الإسلام، وقد كان للكتاب أثره في كثير من الأمريكان، الذين أدهشتهم حقائق الإسلام، وطبع عدة مرات.

كما استطاع أن يؤثر في الكثير من المسيحيين حتى دعوه مراراً إلى كنائسهم، كما استطاع أن يقيم تحالفات شتى مع مؤسساتهم الدينية، مثل: (التحالف ضد الأسلحة النووية)، و(التحالف ضد الإجهاض)، وغيرهما.

١٢ ـ خوفه على المسلمين وأمله في الصحوة الإسلامية:

وهو ـ مع وجوده في أمريكا ـ يعيش أبداً حاملاً لهموم الأمة المسلمة، حريصاً على أن تحيا بالإسلام وللإسلام، قوية ناهضة، مكانها في الرأس لا في الذيل، وإن كان الواقع يصدمه بغير ما يتمنى، يقول:

«وأطالع الإسلام على خريطة العالم، فأطالع ما يسر وما يسوء.. وأتأمل أحوال المنتسبين إلى الإسلام، فأجد فيهم من يخدم الإسلام وأجد منهم من يؤذيه.

وقديماً هشَّت الدُّبة الذبابة عن وجه صاحبها بحجر.. وربما رأيت من يرفع العقيرة حماساً لكن وقود حركته الكره والبغض، وربما طال أذاه الأبرياء بل قتل الأطفال والنساء .. وهو يحسب ذلك جهاداً وما هو بجهاد.. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

والظاهر حقّاً أن عدوّاً عاقلاً خير من صديق جاهل!.. وبين الفصائل المحسوبة على الإسلام الآن من أصبحت بصدق أخاف أن يصلوا إلى الحكم أو يتقلدوا السلطة.

يرى د. حسان أننا نعيش عصر الصحوة الإسلامية، وهذا حق، ولكنه يرى أن الصحوة في حاجة ماسة إلى تعليم وترشيد قويين.. وإسهاماً ـ متواضعاً ـ في هذا السبيل أصدر كتابه (رسالة إلى العقل المسلم) قال: أكتبه وأنا على قمة عمر جاوز السبعين، وتمرس كبير بقضية الإسلام في الشرق والغرب .. وعقل أرجو القارئ ألا يسيء الظن به، وقلب من يعرفه لا يشك في إخلاصه.. ولعله إضافة إلى جهود رجال مؤمنين، وأساتذة علماء ودعاة هداة، نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام والذود عنه من الداخل والخارج، ولا يخالجني ريب في أن جهودهم ستكلل بالنجاح، وأن العاقبة

للتقوى، وأن اللّه سيلهمهم حسن الإجابة يوم ينشر الحساب ويقول اللّه: أعطيتكم الإسلام، فماذا فعلتم به؟ وماذا فعلتم له؟»..

وكان مما ركَّز عليه حسان في كتابه ذاك: قضية (الحريات)؛ وهي مضيّعة في عالمنا العربي والإسلامي، مع أنها مدخل ضروري لكل تغيير وإصلاح، وهو يعيب على كثير من المسلمين بأنهم ضيّقوا الإسلام الواسع والكبير، فكادوا يجعلونه لحية للرجل، وحجاباً للمرأة، وضيّقوا الشريعة، فحصروها في الحدود والعقوبات! ويؤكد أنهم لم يفهموا الشريعة على حقيقتها، فهي رحمة قبل أن تكون عقاباً، وهي تصنع الضمير قبل أن تنزل العقاب.

ومع هذا يضيء مصباح الأمل أمام العاملين للإسلام حتى لا يقنطوا، أو يكسلوا، فيقول: «ولقد يضيق الصدر أحياناً بوعورة الطريق، وانتكاس المسار، لكن الحصيلة ـ والحمد للّه ـ تقدُّم ملموس في مسيرة الإسلام، ومؤشرات ومبشرات بأن اللّه يغفر ما فات، ويصلح ما بقي إن شاء اللّه.

وعلى زمان النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب الجموع بغير مكروفون أو مذياع فيدعو اللّه قائلاً: «**اللهم أسمع عن عبدك**».

وهو دعائي وأنا أطرح هذا الكتاب على الناس: اللهم أسمع عن عبدك»».

قالت زوجته الدكتورة سلوناس حينما اتصلتُ بها لأعزيها: لقد كان في الفترة الأخيرة قوي الصلة بمولاه، مستعداً للقائه سبحانه، وكان يردد: إني في شوق إلى لقاء ربي.

وأحسب أنه تعالى قد استجاب لدعائه الخاشع، الذي قدم به كتابه (بهذا ألقى اللّه) وفيه يناجي ربه بقوله:

اللهم اهدنا واهد بنا، واجعل سعينا خالصاً لك، اللهم هوِّن علينا بقاءنا في الدنيا، وهوِّن علينا الخروج منها، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك.. عبدك الفقير إليك ـ حسان حتحوت

اللهم اغفر لعبدك المحب لك ولخلقك حسان حتحوت، وتقبله في عبادك المقرَّبين، وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واجزه خيراً عمَّا قدم لدينه وأمته، واخلف أمتنا فيه خيراً، واجعله ممن رضيت عنهم ورضوا عنك. آمين..



العلامة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ

حراسة حق .. وفقه نوازل .. وجهاد قلم

د. صالح بن حميد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

فإن فَقْدَ أهل العلم نازلة، ورحيلهم كارثة، وغيابهم في الدين ثلمة، ومصاب المسلمين بهم جلل، وحزن أهل العلم عليهم عظيم.

كواكب تتهاوى، وشموس تغيب، ونجوم تأفل، وأنوار تنطفئ، علماء يقبضون، وفضلاء يرحلون، هم نور الدجى، وضياء الحياة، وزينة الدنيا **(فلله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون).**

ومن هذه الكواكب والشموس الشيخ العلامة البحاثة الفقيه بكر بن عبد الله أبو زيد رئيس المجمع الفقهي الإسلامي الدولي، وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وعضو اللجنة الدائمة فيها، فقد اخترمته المنية منذ أيام، وقضى أجله واختاره الله إلى جواره، فرحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

فلقد ثلم في الأمة بفقده ثلمة، وفتحت بوفاته ثغرة، ولكن هذه الأمة بفضل الله ورحمته ولُود، فلعلها بعون الله أن تجود بمثله وأمثاله.

لقد أفاء اللّه عليه علماً غزيراً ووهبه بصيرة نافذة، فهو أحد أساطين العلم، ومنارات الفقه، وأعمدة الفتوى، وحرَّاس الفضيلة، ونوابع الفكر، وأعلام المصنفين، أفتى بعلمه، وجاهد بقلمه، ودعا إلى اللّه على بصيرة.

إمام في النوازل، وشيخ في تحرير المصطلحات، وجهبذ في التأصيل، ومحقق في التراث، من أدلة السالكين والموقعين عن رب العالمين، محدث فقيه، لغوي نسَّابة، من كبار العلماء، وعلية الباحثين، في ذهن متقد، وهمة عالية، وبحث دؤوب.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ قويّاً في موضع القوة، حازماً في مقام الحزم، صفتان لم يفقداه التوازن ولم يجنح إلى المثيرات، يصحح العقائد، ويحرر المسائل، ويناقح عن السنة، يتمتع بصبر وجلد ومثابرة، ينقب ويفتش، يقدر علمه من غالب عصي المسائل، ودقائق المباحث ومسالك الطلب.

علم غزير ولغة رصينة، ونهج سديد واختيار في التصنيف متميز، يأخذك العجب في جمعه بين الأدب الجم وسلوك سبيل الحزم، رسم منهجية في التأليف والحوار والردود، متصل ومتواصل مع مصادر التشريع كتاباً وسنة، ثم اجتهاداً واستنباطاً.

حازت مؤلفاته على الإعجاب، وتسابق إلى اقتنائها المقتنون، لم يَنْأَ بفقهه عن الواقع، ولم يسلك في فتاواه مسالك الإغراب والشذوذ.

تراثه من تراث الأمة، ظاهره ألفاظ جزلة، وباطنه معانٍ نفيسة في جمال تأليف وجودة تصنيف.

أدّب بأدب الهاتف، وصان عن مناهي الألفاظ، وحذَّر من التعالم، ونظم الحلية لطالب العلم، ورسم أصول التأليف، وأفتى في النوازل، وبحث في مستجدات العصر الطبية والمصرفية.

ردَّ على المخالف، وحذَّر من التحريف في النصوص، والاشتغال بتصنيف

الناس، نافح من أجل درء الفتنة عن أهل السنة، وأعلن براءتهم من الوقيعة في علماء الأمة.. كما أقام الرقابة على التراث، يقصد إلى الحق وينتصر للدليل.

تقلَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناصب، وتسنم مراتب، برزت فيها شخصيته وحكمته وفضله وحسن إدارته وحزم مسلكه.

فقد اعتلى منبر رسول الله ﷺ، وأمَّ في مسجده ودرّس، كما جلس في مجلس القضاء، ثم تولى منصب وكيل وزارة العدل، كما كان أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، وتولى رئاسة مجمع الفقه الإسلامي الدولي ما يزيد على عشرين عاماً، ولقد تركت شخصيته العلمية والإدارية أثراً ظاهراً في كلِّ منصب تقلده وموقع شغله. أما المجمع الفقهي فقد سار فيه سيرة حميدة وإدارة حكيمة فتركه مرجعية فقهية للأمة، رسَّخ للمجمع مكانته لدى العلماء وطلاب العلم والباحثين في اجتهاد جماعي، وفقه مجمعي، وفتاوى فقهية، وقرارات شرعية تتمتع بدرجة عالية من الثقة والقبول.

أصبح المجمع مقصداً يؤمُّه فقهاء الشرع وخبراء العصر، ومنتدى ينتظره رجال العلم ورجال المال وأهل الاقتصاد والطب والفكر.

وبعد فلئن رحل الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد خلَّد تراثاً ثرّاً، وعلماً جمّاً ينتفع به بعده إن شاء الله، ليمتد أجراً له وذخراً وصدقة جارية.

سيبقى الشيخ بكر بإذن الله أحد رموز هذا المجمع يجلجل ذكره في كل ملتقى، وفي كل قرار، وفي ندواته المتخصصة وحلقاته العلمية، بل سوف يذكر مع كل همة للمجد علية.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وخلفه في أهله خيراً، وأصلح ذريته وعقبه، وعوض المسلمين العوض المبارك.

❊ ❊ ❊

المسيري.. قراءة في نبوغ مفكِّر

د. عادل بن أحمد باناعمة

لم أرَ أحداً في قدرته على زعزعة ما يظنه المتلقي (مسلّماً)؛ فقد استطاع بكل براعةٍ أن ينسف بروتوكولات حكماء صهيون.

قام المسيري بتطوير النماذج الإدراكية التحليلية، ومنها سكُّ المصطلحات المعبّرة؛ كالمجتمع التعاقدي، والحوسلة... ولست أريد هنا أن أدبّج بكائيةً في رثاء المسيري وإن كان يستحق.. ولكنني أحاولُ تشبُّهاً به أن أنهج منهجه في الكتابة العقلية التحليلية.. من باب: (فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم).

في ظني أن المسيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد استجمع أربع خلالٍ باجتماعها يكون المرءُ مفكِّراً عظيماً قادراً على إحداث التغييرات الكبرى..

١ ـ عملُ العقل:

الخَلَّةُ الأولى: الطاقة العقلية الفذة: وتتجلَّى هذه الطاقة لدى المسيري في ثلاثة جوانب:

الأول: تطويره النماذج الإدراكية التحليلية، وهي عبارة عن رؤى أو خرائط معرفية «يجردها عقل الإنسان من الوقائع والأحداث التي تقع له، والظواهر التي يرصدها، والدراسات التي يقرؤها».

وقد استطاع المسيري عبر نماذجه التي طوَّرها أن يقدّم لنا الواقع الذي نعرفه بشكل لا نعرفه! وحسبك أن تنظر إلى موسوعته الشهيرة باعتبارها تطبيقاً عمليّاً لإعمال النماذج الإدراكية في تحليل الواقع، بحيث تتجلَّى الصهيونية لقارئها بصورة أخرى مختلفة تماماً عن الصورة السطحية التي تتلقاها عقولنا.

واستطاع كذلك عبر هذه النماذج أن يكشف لنا عن خبايا عميقة في تصرفاتنا اليومية المعتادة، وحسبك كذلك أن تقرأ ـ على سبيل المثال ـ تحليلاته اللطيفة للأعراس، والجنائز، وألعاب الأطفال، ونكتة الشعب المصري، وفضّ غلاف الهدايا، و«ما تخلّي يابيه»! واقرأ إن شئت رحلته الفكرية، لتشاهد عشرات المواقف اليومية البسيطة وهي تنسلكُ في إطار منظومة فكرية متناغمة، فإذا هي تنشأ خلقاً آخر.

ومما هو لاحقٌ بهذا المسار سكُّ المصطلحات الجديدة المعبّرة، كالمجتمع التعاقدي، والمجتمع التراحمي، والحوسلة (تحويل الإنسان إلى وسيلة)، ومفهوم إعادة الزواج، والحب الزمني واللازمني.. إلى غير ذلك من الاصطلاحات (المسيرية).

٢ ـ قُيودُ التسليم:

الثاني: قدرته على زعزعة ما يظنه المتلقي (مسلّماً)، ولم أر في ذلك أوضح من كتابه عن بروتوكولات حكماء صهيون، فقد استطاع بكل براعة أن (ينسف) تلك البروتوكولات التي سيطرت على الفكر الإسلامي زمناً طويلاً.

أمثِّلُ على ذلك أيضاً بمحاولته نقض فكرة المعاداة المطلقة بين العلمانية والإسلام عبر نظريته الشهيرة في التفريق بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.

وعلى حين يستقر في أذهان المثقفين أن الحضارة الغربية حضارة (فردية)، وأن الإنسان الأمريكي (إنسان فردي)، يذهب الدكتور المسيري قائماً بحجتِهِ إلى أنّ الأمريكي أبعد ما يكون عن الفردانية، وأنه عبدٌ لا حرّ!..

والنرجسيةُ التي يكاد يتفق الجميع على ذمها هي عند المسيري ضرورة للكاتب لابد منها حين يغيب المتلقّي!..

ويزداد المثقف دهشاً حين يقرأ قول المسيري عن دراسات جارودي في الصراع العربي الإسرائيلي : إنها دراسات معلوماتية صدامية ، الهدف منها هو إثارة قضية سياسية، ومن ثم فهو لا يصل قط إلى أي أبعاد معرفية، ولا يربط بين نسقه الفكري وتفكيره السياسي! ولا تعجل بالغضب من المسيري.. ولكن تابع تفصيل رأيه لتجد أنه قد أسقط في يديك!..

الثالث: القدرة على تقديم التفسيرات الذكية.. كتفسيره عجز الغرب عن فهم قضية حق العودة للفلسطينيين بهيمنة العقل المادّي المحايد، الذي لا علاقة له بالأخلاق أو المعاني الروحية أو الارتباطات التاريخية والدينية والنّسبيّة.. وتفسيره لانتشار العبادات الجديدة المخترعة في المجتمع الأمريكي بأنه محاولةٌ للاحتجاج على الروح التعاقدية، ومحاولة لخلق جيب تراحمي داخل هذا المجتمع التعاقدي الصارم.

٣ ـ حافظةٌ تسنُدُ التحليل:

الخلةُ الثانية: **الحافظة المميزة:** وقد تجلى ذلك بوضوح في تملّكه ناصية اللغة الإنجليزية بشكل مدهش خلال شهر واحد! وفي حفظِهِ لجميع ما يلقى في المحاضرات الجامعية بمجرد السماع! وفي عدم استخدامِهِ أثناء كتابة الدكتوراه لكروت البحث المعتادة، رغم اقتباسه من عشرات المراجع! وذلك لأنه كان يحفظ الاقتباسات والصفحات التي وردت فيها!..

وقد حرصتُ على الإشارة لهذه الخلةِ لأنَّ البعض يحلو له أن يعتبر صاحب الحافظة (مجرد مسجل)، وأن المفكّر الحقيقيّ يُعمل العقل فقط.. وليس من مهمتِهِ أن يحتفظ بالمعلومة!..

وتجلى أثر هذه الحافظة المدهشة في (الموسوعية) التي اعترف بها كل من لقي المسيري أو سمع له، وفي التدفق السلس للأفكار والمعاني والدلائل عندما يتحدث أو يكتبُ.

٤ ـ جَلَدُ الثقةِ:

الخلةُ الثالثة: الجدّ والدّأب والجَلَدُ في التحصيل والتعليم، في الإفادة والاستفادة: وللدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب عجائبُ وغرائبُ تكشفُ زيفَ دعاةَ الثقافة الطبوليين، الذين ليس لهم إلا لوك الكلام وزخرفة العبارات، وكثرة الثرثرة في المقاهي والمناسبات!..

أيـن تجد رجلاً كالمسيري يجلس على كتابٍ واحدٍ ثلاثة أيامٍ متواصلةٍ بلا نوم ليتمَّه كوحدةٍ واحدةٍ غير مفككة؟ وأين تجد رجلاً كالمسيري يحبس نفسـه في غرفـة شهراً كاملاً لا يخرج منها ليتقـن الإنجليزية؟! وأين تجد رجـلاً كالمسيـري يعكفُ علـى مشروعه العلمي (الموسوعـة) ثلاثين حولاً، يجعلهـا طعامـه وشرابه ونَفَسَهُ ! ومن طرائفه في هـذا قوله: أعرف شباباً فـي الأسرة كانـوا يسألونني عن الموسوعة، وكنت أُدهش لأنني أعرف أنهم ليسـوا ذوي اهتمامـات فكريـة، ثـم يزول دهشي حيـن أعرفُ أنهـم وُلِدوا وهم يسمعون عـن الموسوعة! كان المسيري يستيقظ قبل السادسة، ويكتب كتابـة متواصلة حتـى الثانية عشرة مساءً، لا يتوقف إلا للأكل، ولنوم ساعة الظهيرة!..

٥ ـ صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

الخلة الرابعة: الصدق والإخلاص والثبات والاستعداد للتضحية:

ومصداق ذلك تراه في ثلاثِ نواحٍ:

أولاها: حرصه الشديد على ألا يكتب إلا ما يعتقد أنه صوابٌ، واستعداده لأن يهدم كل ما بناه إذا وقف على معلومة تفضي إلى خلخلة بنيان الفكرة التي شيّدها.. وما زلت أعجبُ مما حدَّث به عن نفسه أنه في عام (١٩٨٤م) وقد أوشك أن يخرج الموسوعة في صورتها النهائية وقف على معلومة خلاصتها أن معظم يهود أوروبة يرجعون إلى بولندا.. فتوقف أشهراً يقرأ عن بولندا وتاريخها، واقتضاه ذلك أن يعيد بناء نماذجه التحليلية، وبالتالي تأخَّر خروج الموسوعة أكثر من عشر سنوات!..

ثانيها: إصراره على رأيه التحليلي وإن كانت ظواهر الأحداث كلها تسير ضده! ففي مطالع الثمانينيات بينما كانت كل المؤشرات الظاهرة تدل على غلبةِ التطبيع وقيام حالة السلام الدائم؛ أصدر المسيري كتابه: (الأيديولوجية الصهيونية) ليثبت بعقلانية وهدوء استحالة قيام هذا السلام، ثم تكفلت بعد ذلك (صبرا وشاتيلا) بتصديق عمليّ لما قاله رَحِمَهُ اللهُ.

ثالثها: نزوله إلى الميدانِ في سبيل الدفاع عن مبادئه، وجهره بما يراه حقّاً في وجه السلطة، وكل متابع يعرف موقف المسيري وجهوده في كفاية، وما تعرَّض له من ضرب وإيذاءٍ، إضافة إلى ما يعاني منه من أمراض، وإصراره مع كل ذلك إلى آخر أيام حياته على مبادئه التي عاش وفيّاً لها.

وبعد .. لم يكن المسيري إلا بشراً يصيبُ ويخطئُ، يعرف منه الناس

وينكرون، ولكنه كان طرازاً فريداً من البشر في عقله وعلمه وصبره وجهادِهِ.. وفي (رحلته الفكرية) الفذّة.

رحمك اللّه أيها المسيري.. ورزقنا من يكمل المسيرة من بعدك.

* * *

هديل.. فقيدة التدوين السعودي

أحمد بن راشد بن سعيّد

«هديل الحضيف» مدونة سعودية شابة غيبها الموت في (١٦ من أيار/ مايو ٢٠٠٨م) عن عمر ناهز (٢٥) عاماً، عرفت هديل باحترافها الكتابة، لا سيما عالم التدوين البكر الذي سبرت أغواره وتألقت في فضائه.

نالت شهادة البكالوريوس في رياض الأطفال، وعملت في المجال نفسه، وبعد برهة من الزمن اكتشفت أن مكانها بين الكتب، فانتقلت للعمل في مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

لكنَّ هديل لم تكن مجرد مدونة تسجل مشاهداتها وانطباعاتها فحسب، بل كانت مثقفة وقارئة نهمة ومتابعة لوسائل الإعلام، وهذا ما أكسب تدويناتها ثراء وعمقًا! كان الشأن العام حاضرًا بقوة في معظم كتاباتها، بدءًا من قضايا غزة المحاصرة والعراق المحتل، وانتهاء بقضايا المرأة السعودية ومشكلاتها وهمومها.

٥ ـ فلسفة التدوين:

دافعت هديل دفاعًا مستميتًا عن فلسفة التدوين وممارسته، ومدت يد الاتصال إلى عدد من المدونين على امتداد العالم العربي، ونقلت في

مدونتها نماذج من إنتاجهم، بل تبنت الدفاع عن الذين تعرضوا منهم للاعتقال أو التوقيف، ناشرة صورهم ومطالبة بتحريرهم.. فهمت هديل فكرة التدوين بوصفها وسيلة جديدة للتعبير، أو قناة من قنوات إعلام المواطن أو الإعلام البديل الذي يوفر مساحة للرأي غيَّبها أو تجاهلها الإعلام القوي المهيمن.

تقول في المقابلة التي أجراها معها المدون المغربي «محمد سعيد أحجيوج»: إن «المدونات كانت فرصة السماء بالنسبة لمستخدم الإنترنت العربي، ضاقت المنتديات بالجدل العقيم، وقمعت الحريات في منتديات أخرى، فكان لا بد من فضاء».

مضيفة.. أن «مستخدم الإنترنت العربي سئم من لغط المنتديات، وتجاوز مراهقة بدايات التعامل مع الشبكة، وربما تشكلت لديه رؤية حول الحياة، فأراد أن يرفع صوته بها».

ربما تقوم المدونات بدور تكميلي وتحليلي لما تصفه هديل «بالصحافة التقليدية»، ومن هنا تستمد المدونات قوتها، من جوانب للأخبار تم إغفالها، ومن منظور لا يتفق بالضرورة مع الرأي السائد.

حقق التدوين العربي قفزات مهمة في السنوات القليلة الماضية، لأن حالة التداعي الرسمي العربي هي حالة شاملة أصابت الإعلام أيضاً.. من دلائل نجاح التجربة، بحسب هديل، انزعاج الرسميين العرب من التدوين، والإجراءات التي اتخذتها بعض الحكومات العربية ضد المدونين.

تؤمن هديل أن المدون يستطيع أن يطلق صوتًا في البرية، كما ترى أن التدوين وسيلة للتغيير السياسي، مشيرة إلى تجارب المدونين في مصر والكويت والبحرين ولبنان، وإسهامهم في إحداث تغييرات سياسية حقيقية في تلك البلدان.

٢ ـ التدوين والتمرد:

إعلام التدوين شكل من أشكال التمرُّد على الإعلام القديم الذي يرفض التكيف مع الحقائق الماثلة.. جاء التدوين ضمن حزمة من قنوات إعلام المواطن الذي اضطر لأخذ زمام المبادرة بيده.. الإعلام السائد، بحسب تعبير هديل، «دونه حُجّاب وأبواب»، ولذا لم يبقَ «للعربي غير صفحة ضئيلة، يضعها على الشبكة على أمل أن يُسمع صوته».

الإعلام الرسمي يسلط الضوء على المشهور وصانع الأخبار والغني والفاتن، مُغفلاً أو مهمِّشًا المثقف والأديب والمبدع المنتمي إلى الجذور.

تشير هديل في مدونتها إلى أن هذا السلوك ليس بدعاً في التاريخ العربي والإسلامي الذي حفظ لنا أسماء الحكام والقادة والخلفاء، وغيَّب أسماء كثير من العظماء والمفكرين.. حياد وسائل الإعلام إذن حياد أسطوري، وهو النسخة المحدثة من حياد المؤرخين.

تقول: «وجدنا أن الحضارة الإسلامية الزاخرة، الممتدة ما بين الصين شرقاً حتى الأطلسي غرباً، لم تخلّد في أوراق تاريخها أولئك الذين بقيت آثارهم حتى الآن، لم يذكر التاريخ من خطّط بغداد، ووضع طرقاتها، ولم يشفع جمال الجامع الأموي في دمشق لبنَّائه، فَتُذكر أسماؤهم ولو على عجل.

لا يذكر التاريخ من رفع منارات الأزهر في القاهرة، كما أسقط من ذاكرته تماماً كل من وضع لبنة في قصر الحمراء الخالد، بينما التاريخ الأوروبي على الرغم من سوئه، وظلاميته قد خلّد فنانيه، وأدباءه، وشعراءه، وعلماءه، مبقياً الهوامش للحكام والملوك والأمراء».

تؤمن هديل أن تجربة التدوين تصنع «نجوماً» في وسط موازٍ للوسط العام الذي تصنع رموزه النخب وقوى النفوذ عبر وسائل إعلامها.. التدوين بوصفه جزءاً من الفضاء التخيلي يوفر صوتاً لمن لا صوت لهم.

بيد أن الإعلام الكبير اضطر إلى التنازل عن كبريائه، كما تشير هديل، واستطاع المدونون العرب أن «يجذبوا أنظار مؤسسات إعلامية ضخمة إلى صفحات شخصية».

٣ ـ متعددة الإبداعات:

لكن «هديل» لم تكن مدونة فحسب، بل قاصة وكاتبة نصوص مسرحية. صدرت لها عام (٢٠٠٦م) مجموعة قصصية بعنوان: «ظلالهم لا تتبعهم»، وفازت مسرحيتها «من يخشى الأبواب» في مسابقة النص المسرحي بجامعة الملك سعود، وتم تمثيلها على مسرح الجامعة عام (٢٠٠٧م)، كما قدمت محاضرات عن تجربة التدوين السعودي داخل المملكة وخارجها.

امتنعت «هديل» عن كتابة الرواية في وقت راج فيه هذا اللون من الأدب، وأصبح أشبه بالموجة التي يتوق كثيرون أو كثيرات إلى ركوبها.. تتساءل مستنكرة: «هل تصدق أنهم أصبحوا (٤٦) روائياً؟» مضيفة أن الرواية لم تكن صنعتها يوماً، ولا تريد أن تدعيها.

تزعم هديل أن الرواية السعودية لن تحظى أصلاً بالشهرة والانتشار ما لم تتناول «التابوهات بطريقة مستفزة، تفتح شهية الناشرين العرب».

على المستوى الشخصي كانت هديل فتاة محبوبة من زميلاتها، أكثر ما كانت تتسم به الهدوء والدعة واللطف ودماثة الخلق.. امتنعت عن الزواج بالرغم من تقدم عدد من الشباب لخطبتها.

يروي والدها د. محمد الحضيف أنه فاتحها قبل غيبوبتها التي توفيت فيها بالأمر، وأخبرها بقلقه على مستقبلها، فأجابت: «أنا زعلانة منك، لأنك رفعت سقف تطلعاتي في الرجال.. إذا وجدتُ رجلاً يدللني كما تفعل

فسأتزوجه».. هديل تؤكد هذا الإعجاب بأبيها في مدونتها حيث تقول: «أبي صديقي ووالدي وسندي وكل رجل في حياتي».

رحلت هديل وهي في الـ (٢٥) من ربيع عمر لم يطل.. كان التدوين لها عشّاً تقصده، وملاذاً تهرب إليه.. تتحدث عن مدونتها «باب الجنة» قائلة: «إن هذا الباب كان ملاذًا أخضر صغيرًا ونائياً، اعتمدته وطناً لي في مساحات (msn)، دون أن أعرف أني أدوّن، ثم انتقلت إلى (blogger)، (وفتح انتقالي) باب الجنة على صخب الشارع، وكادت الأصوات تقتلني، وخشيت فقداني، فبنيتُ غرفتي الخلفية، لأودع أشيائي الصغيرة، وتفاصيلي التي لا يأبه بها أحد.. ولئلا أموت».

حديث الموت كان حاضرًا في خطاب هديل، وكانت أكثر تدويناتها قربًا إليه «رسالة إلى اللّه»، التي صدرت عن أزمة نفسية عصفت بها ذات مرة.

تقول: «كتبتها والموت يقف على بابي تماماً، والحياة تأفل، وتتلاشى، ولم يبق لي سوى استسلام يأخذني للنهاية مباشرة. كان نهاراً أخيراً، لولا أن اللّه قرر أن يمنع ملك الموت قبل العتبة الأخيرة للمقصلة».

أما الرسالة نفسها فتقول: «لم تكن المرة الأولى التي أشعر بك قريباً إلى حد أن تحيط بي، وأن أكون في عينك، وما استغربتُ أن تفتح الأبواب لصلواتي التي ما فتئتُ أرفعها إليك منذ أن تشعبت بي الطرق، وغدا اختيار أحدها موتاً لا مهرب منه».

«كلما حذفتَ من أمامي خيارًا، وقلصتَ مساحات الحيرة المترامية، آمنتُ بك أكثر، وآمنتُ بأن دربي الذي أسير فيه صحيح، لأن ما من أحد غيرك يستطيع أن يتدخل في اللحظات الأخيرة، ليحول بيني وبين ملك الموت».

«اليوم كنت أبكي، وكانت عشرات الوجوه في المرايا الصغيرة الموزعة

على جدار السلّم المهجور تبكي معي، ساكبة دمعها في قلبي، وبينما أنا أحاول صنع دعوات تليق لأرفعها إليك، مضت تلك الوجوه الكثيرة تتوسل إليك.. أن تلهمني نورًا أسترشد به قبل أن يحيق بي الظلام».

«كنتُ أعرف يا اللّه أنك لن تتركني، وأنك ستكون معي كما تفعل دائماً، لكن أن.. تغمر روحي بالماء دون سابق إلهام، فهذا ما لم أخطط له، ولم تكن سجادتي المكرسة للدعاء تطلبه، أو تطمح إليه. أنا هنا يا اللّه، مجردة من كل شيء، إلا من مطر ينهمر من سمائك، ومن شكر لا يليق إلا بك، ولا أفيك (حقك) رغم كل ذلك... شكراً لك يا اللّه، لأني في كل مرة أحاول الصعود إليك، تنزل إليّ، وتهمس في أذني: «لستِ وحدك»، وما كنتُ يومًا وحدي يا اللّه وأنت معي».

أحاط كثيرون هديل بالحب، وشيعوها بالدعاء... لم تكن وحدها أبداً. كان اللّه معها.



قصة غيرت حياته بالكامل

الربيع ولد أدوم

«محمد عالي ولد فتى»، شاب في بداية العشرينيات من العمر، يعمل في شبكة صحراء ميديا الإعلامية، مصمم صحف، كما يعمل بمجال صيانة الأجهزة الإلكترونية.. تحول هذا الشاب من شخص مشاكس، يعيش حياة منفتحة أكثر من اللازم، إلى حياة جديدة بالكامل، يروي تفاصيلها لـ«سيدتي».

يقول محمد: «كانت حياتي مليئة بأخطاء الشباب وهفواته، فيما يتعلق بالمضمون، ومن ناحية الشكل فكانت هيئتي أقرب إلى هيئة رجل العصابات، أما اليوم فقد انتقلت إلى حياة الإيمان والاتزان والرزانة والتقوى».

محمد عالي أقلع في رمضان ـ قبل الماضي ـ عن طريقة حياته السابقة، واتخذ لنفسه هيئة الشاب المؤمن، الذي يتجاوز المظاهر إلى المضامين والمعاني، ويكثر من قراءة القرآن والسيرة وأحاديث النبي ﷺ واليوم تغير الشاب وتغيرت صورته، لدرجة أن مقارنة صور اليوم بصور الأمس، قد تصيب بالدهشة.

١ ـ بداية التحوُّل:

يقول محمد عالي عن هذا التحول الجذري الذي حصل في حياته:

لقد قرأت قصة جميلة ومليئة بالمعاني والموعظة في أحد الكتب الغربية المترجمة، وفكرة هذه القصة باختصار هي أن أحد حكام إيطاليا دعا فناناً تشكيليّاً شهيراً، وأمره برسم صورتين مختلفتين ومتناقضتين عند باب أكبر مركز روحي في البلاد.. الحاكم أمر الرسام بأن يرسم صورة ملاك، وأن يرسم مقابلها صورة الشيطان، لرصد الاختلاف بين الفضيلة والخطيئة.

وقام الرسام بالبحث عن مصدر يستوحي منه الصور، وعثر صدفة على طفل بريء وجميل، تطل السكينة من وجهه الأبيض المستدير، وتغرق عيناه في بحر من السعادة، فذهب معه إلى أهله، واستأذنهم في استلهام صورة الملاك من خلال جلوس الطفل أمامه كل يوم حتى ينهي ذلك الرسم العملاق مقابل مبلغ مالي، وبعد شهر أصبح الرسم جاهزاً، ومبهراً للناس، وكان نسخة من وجه الطفل، مع قليل من إبداع الفنان، ولم يرسم أروع منه في ذلك الزمان.

وبدأ الرسام في البحث عن شخص يستوحي من وجهه صورة الشيطان، وكان الرجل جادّاً في الموضوع، لذلك بحث كثيراً، وطال بحثه لأكثر من عشرين عاماً، وأصبح الحاكم يخشى أن يموت الرسام قبل أن يكمل التحفة التاريخية، لذلك أعلن عن جائزة كبرى ستمنح لأكثر الوجوه إثارة للرعب والقبح، ولا توجد به ذرة من إنسانية أو أخلاق.. وقد زار الفنان السجون والعيادات النفسية، والحانات وأماكن المجرمين، لكنهم جميعاً كانوا «بشراً» وليسوا «شياطين».

وذات مرة عثر الفنان فجأة على «الشيطان»، وكان عبارة عن رجل سيئ يبتلع زجاجة خمر في زاوية ضيقة داخل حانة قذرة، اقترب منه الرسام،

وحدثه حول الموضوع، ووعده بإعطائه مبالغ هائلة من المال، فوافق الرجل، وكان قبيح المنظر، كريه الرائحة، أصلع، وله شعرات نبتت في وسط الرأس كأنها قرون الشيطان، وكان عديم الروح، ولا يأبه بشيء، ويتكلم بصوت عالٍ، وفمه خال من الأسنان، وفرح به الحاكم، لأن العثور عليه سيساهم في استكمال العمل في واجهة الصرح الروحي.

٢ ـ الطفل والشيطان:

وجلس الرسام أمام الرجل وبدأ يرسم على وجهه ملامح الشيطان، وذات يوم التفت الفنان إلى «الشيطان» الجالس أمامه، وإذا بدمعة تنزل على خده، فاستغرب الموضوع، وسأله ما إذا كان يريد أن يدخن أو يحتسي زجاجة خمر، فأجابه بصوت أقرب إلى البكاء المختنق: «أنت يا سيدي زرتني منذ أكثر من عشرين عاماً، حين كنت طفلاً صغيراً، واستلهمت من وجهي صورة الملاك، وأنت اليوم تستلهم مني صورة الشيطان، لقد غيرتني الأيام والليالي حتى أصبحت نقيض ذاتي!».. وانفجرت الدموع من عينيه، وارتمى على كتف الفنان، وجلسا معاً يبكيان أمام صورة الملاك، وسالت دموع الفنان.

ويضيف محمد عالي: «عندما قرأت هذه القصة، بدأت تسري بداخلي موعظة عجيبة، وتفكرت في أمور الخلق والكون، وبدأت أتغير بالكامل، رغم أنني لم أكن «شيطاناً» في حياتي، بقدر ما كنت أعيش حياة الشباب المفعمة بالأخطاء، ورغم أن القصة غريبة، إلا أنها ساعدتني كمسلم على ترسيخ الإيمان في قلبي، لأنها في النهاية تدل على قدرة الله على تغيير البشر، إذا لم يلتزموا بتعاليم دينه ولم يحترموا حدوده.

منذ رمضان قبل الماضي ـ يقول محمد عالي ـ بدأت في تغيير شكلي

ومضموني، والشكل في حد ذاته ليس مهمّاً بالدرجة الأولى، ولا يدل على الحقيقة، لكنه إذا كان صادقاً، فهو يساهم في التعبير عن حالة الإيمان الصادق والالتزام.



الفصل الخامس

المقابـــــــلات

عميد الرحالة .. محمد بن ناصر العبودي

طارق شوقي

- نشأتي في بريدة جعلتني أعشق الرحلات الداخلية في جميع أرجاء المملكة.
- الجامعة الإسلامية بوابتي للرحلات.
- استطعتُ عبر رحلاتي العديدة أن أقدم منهجية جديدة في مجال تدوين الرحلة.
- رحلاتي ليست للأماكن السياحية الترفيهية.

لمع اسمه في مجالات عديدة كالأدب، والتراث، والتأريخ، والجغرافيا.. إلا أن عالم الرحلات كان أبرزها جميعًا، حيث اقترن اسمه بهذا المجال وأصبح علمًا يشار إليه بالبنان، وأطلق عليه محبو أدب الرحلات «عميد الرحالة»، حيث بلغت كتبه في مجال الرحلات أكثر من (١٧١) كتابًا، وطِئت قدماه حواضر العالم لتفقُّد أحوال المسلمين وتفقههم في دينهم.

■ **للنشأة الاجتماعية أثر كبير في الشخصية، فهل كان لها أثر في اتجاهك لعالم الرحلات؟.**

كانت النشأة في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم، حيث ولدت

بها، وذلك في عام (١٣٤٥هـ)، ولم يكن لنشأتي أي أثر فيما قمت به من الرحلات الخارجية، وإنما عززت محبتي للرحلات الداخلية في المملكة، وذلك لأن مدينة بريدة كانت مركزًا تجاريًّا، بل ربما هي أهم مركز لتجارة الإبل والماشية في المملكة في منتصف القرن الرابع عشر وما بعده بقليل، وكانت أحاديث التجار، وبخاصة تجار الإبل الذين كانوا يتاجرون فيها من القصيم إلى الشام ومصر وفلسطين، حافزاً كبيرًا لأي شاب متطلع إلى محبة السفر، واستكشاف المجهول من البلدان.

■ **قمت بالعديد من الرحلات، فما الأهداف الرئيسة منها؟.**

انتقل عملي من المعهد العلمي في بريدة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما فتحناها في عام (١٣٨١هـ)، وكان نائب الرئيس هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانت وظيفتي، هي الأمين العام للجامعة.

وكان نظام الجامعة يقتضي ألا تزيد نسبة الطلاب السعوديين فيها على (٢٠٪)، أما بقية مقاعدها فتخصص كلها للطلاب الذين يفدون من خارج بلادنا، وبخاصة بلاد الأقليات المسلمة.

وقد لاحظنا أن بعض المؤسسات والهيئات المسلمة في الخارج ترسل أوراق شهادات دراسية ونحوها من جهات لا نعرفها، بل تبين لنا أننا بحاجة ماسة إلى معرفة الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في الخارج، فقررنا أن نبدأ بالقارة الإفريقية عن طريق إرسال وفود إليها، على أن تكون البداية بإرسال وفد إلى شرق إفريقية.

وقد رأى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز أن أكون على رأس ذلك الوفد المؤلف من ثلاثة أشخاص، ووافق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ،

المفتي الأكبر، ورئيس القضاة رئيس الجامعة الإسلامية على ذلك. وقد شملت الزيارة ثلاثة عشر قطراً إفريقياً، وكان هدفها الاطلاع على أحوال المسلمين، وتقدير حاجتهم إلى المنح الدراسية والمساعدات الأخرى.

■ للرحلة الأولى أجواء خاصة وأصداء في النفس، فما باكورة رحلاتك؟ وإلى أي الأقطار؟.

لم أكن أعلم أن موافقتي على السفر في مهمة رسمية إلى إفريقية ستكون انطلاقتي الأولى في مجال الرحلات، وأن يقترن اسمي بها كباقي أعلام الرحالة العرب أمثال: «ابن بطوطة، ابن جبرين، وابن فضلان، وهارون بن يحيى» وغيرهم.. واستطعت عبر رحلاتي العديدة أن أقدم منهجية جديدة في مجال تدوين الرحلة، معتمدًا على هدف الرحلة الرئيس، وهو تفقد أحوال المسلمين في البلد المزور، والمرور على المشاهدات العامة والخاصة، وربط ذلك في نسق معين بما يتفق مع الأنماط والعادات الاجتماعية.

وقد رأت الجامعة الإسلامية وجوب الاعتناء بإفريقية أكثر من غيرها، لأن الاستعمار والمنصِّرين ركَّزوا جهودهم في إفريقية، وصدّوا المسلمين عن دينهم، وعندما ذهبنا فوجئنا أن المعلومات التي عندنا عن المسلمين هناك، وعن جمعياتهم ومساجدهم وطلبة العلم والدعوة الإسلامية مشجعة، بيد أن هناك أمورًا مؤسفة وهي كثيرة حقّاً، فكتبت جميع ما رأيته، وكان هذا نواة كتبي في مجال الرحلات، ولم أظن أنه سيكون كتابًا، فقد أشار عليّ بعض الإخوة أن أصدره في كتاب، فأصدرته تحت عنوان: «في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات، وأحاديث عن الإسلام والمسلمين»، وقد استقبل الكتاب استقبالاً حافلًا، وترجم إلى التركية، كما ترجم إلى الهندية،

أيضاً، وعدة لغات أخرى، وهذا شجّعني على المضي قدمًا في كتابة الرحلات التي قمت بها.

■ تغلب على رحلاتك التي دونتها التقريرية، والرسمية، وعدم انتقاء الأماكن في الرحلات، فلماذا؟.

أحب أن أوضح شيئًا مهمّاً، وهو أنني أختار الأماكن والأقطار التي يوجد فيها المسلمون من الدول الأخرى، وأتصل بالمسؤولين عن العمل الإسلامي فيها من كبار العاملين في الدولة الذين لهم تأثير مميز على العمل الخيري لصالح المسلمين والفكر الإسلامي، ولا أترك مشاهدة الأماكن السياحية التي تستحق المشاهدة.. أما إذا كان السؤال يقصد أنني لم أعمد من رحلاتي انتقاء الأماكن السياحية الترفيهية، فهذا صحيح لأن رحلاتي ليست في الأصل لهذا الغرض.

■ في رأيكم، كيف تقرؤون أدب الرحلات في المملكة العربية السعودية؟.

لبلادنا ميزة خاصة، وهي أنها مهد اللغة العربية، ومنطلق الدعوة الإسلامية، ولذلك كان الترحال منها لأغراض إسلامية واجبًا وضرورة ملحَّة.. أما أدب الرحلات الذي يقصد منه السفر إلى أية جهة من الجهات لغرض الرحلة ذاتها، ثم وصف ذلك وصفًا أدبيًا، فإنه لم ينشأ إلا بعد مدة طويلة، ربما كان ذلك في القرن الثالث الهجري.

■ في أسفارك ورحلاتك العديدة، ما أبرز الغرائب والنوادر التي رأيتها؟.

الغرائب نفسها متنوعة ومتعددة، وهي على حد قول أبي تمام:

لا إنها الأيـام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

فهناك عجائب وغرائب تتعلق بالموقع الجغرافي وبالطقس؛ مثل المناطق القطبية التي لا تغيب عنها الشمس في أيام من العام، وقد شاهدت ذلك في ثلاثة أماكن: أحدها مدينة مورمانسك بشمال روسيا، والثاني في شمال فنلندا، وفي أقصى شمال سيبيريا.

ومنها ما يتعلق بأشكال الناس وألوانهم من حيث طول الأجسام وقصرها ناهيك عن الفرق في الطول بين سكان الدول الإسكندنافية الطوال وبين أقزام الكونغو.

وهناك عجائب تتعلّق بغرائب العادات التي منها عادات قبائل الماساي في شرق إفريقية الذين يثقب رجالهم آذانهم كما تفعل النساء، ويثقلونها بما يعلّقونه عليها حتى تصل الأذن في تدليها إلى الكتف.

■ يطلق عليك عميد الرحالة، فما سبب هذه التسمية؟.

صار لفظ «عميد الشيء» مصطلحاً عامّاً الآن لمن يكثر من ذلك الشيء، وبعض الناس يضيف إلى هذا الوصف ويجيد فيه، وأنا لا أزعم لنفسي انطباق هذا الوصف، وإن كنت أزعم الإكثار من الرحلات، لأن هذا واقع، وينبغي أن يلاحظ أن الذين أطلقوا عليّ هذا الوصف هم بعض المحبِّين القرَّاء لكتب الرحلات، ولم تصدر هذه التسمية مني، ولم أشاور فيها.

■ لك كتب عديدة في الرحلات، فما أبرز هذه الكتب؟.

كتبي في الرحلات بلغ عددها (١٧١) كتابًا، طبع منها حتى كتابة هذه السطور (١٠٧) كتب، وأبرز هذه الكتب هي «شهر في غرب إفريقية، بورما الخبر والعيان، في شمال سيبريا، جولة في جزائر المحيط الهادي، داخل أسوار الصين، مواطن إسلامية ضائعة، سطور من المنظور والمأثور في

بلاد التكرور، قصة سفر في نيجيريا، في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وما وراء النهر، نظرات في شمال الهند».

وقد تناولت في كتاب «حديث قيرغيزستان: دراسات ومشاهدات ميدانية» فيه التعريف بجمهورية قيرغيزستان، وعدد المسلمين بها، والنشاط الإسلامي بها، ومشاهدات من قازاقستان إلى قيرغيزستان، وجولة في مدينة أوش، وزيارة إلى جامع الإمام البخاري حتى مغادرة قيرغيزستان إلى طشقند.

وفي كتاب «الرحلات الهندية» تناولت زيارة مدينة بومبي، والتعرف على أحوال المسلمين، والتحدّث عن فلسفة الموت والحياة في الهند، وأخذت جولة في مِدراس، كما تناولت اعتناق الدين الإسلامي في ولاية «تاميل».

وتحدثت عن ألبانيا في كتاب «كنت في ألبانيا» وعن موقعها، وتحدثت عن الوضع الإسلامي في ألبانيا، ودخول الإسلام إليها والتعرف على أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وفي كتابي «على قمم جبال الإنديز»، قمت برحلة إلى بيرو والأكوادور، وتحدثت عن بيرو بلاد الحضارة القديمة، وموقع بيرو في القارة الأمريكية الجنوبية، ثم جولة في مدينة ليما ثم البحث عن الجمعية الإسلامية والعرب والمسلمين في بيرو، وصولاً إلى بلاد الأكوادور وسط قارة أمريكة الجنوبية.

وقد اتّبعت الأسلوب نفسه في كتاباتي الرحلية المعهودة من خلال تتابع المذكرات اليومية، ووصف الأجناس الأخرى المعروفة، كما أصف النساء بوجه خاص، والأنوار والمظاهر الطبيعية، والأنهار، والجبال، والأمطار، وفصول السنة، وأصف الحيوانات، وبخاصة اللاما، وأقف عند المطارات، والفنادق، والمطاعم، والأسواق، والمأكولات والمشروبات، والفواكه والخضراوات وغيرها.

وأقف عند القصور، والبيوت، والشوارع، والحدائق، والمظاهر السكنية والمعمارية الأخرى، وقد أعرِّج على أخبار ومعلومات تاريخية وجغرافية وأثرية ولغوية، ويقودني هذا دومًا إلى ما له صلة بالمعالم العربية والإسلامية. كما تحدثت عن العرب والمسلمين في «البيرو» ونشاطهم التجاري، وأكثرهم من المسيحيين، والقلة من المسلمين ومجموعهم «١٢ ألف نسمة»، ونقل مشاعر العرب والمسلمين هناك.

■ تم تكريمكم من جهات عديدة، فما أبرز هذه الجهات؟.

كان أبرزها وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، حيث قلّدني إياه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في مهرجان الجنادرية في عام (١٤٢٤هـ). فشكرت الله تعالى، وشكرت الذين كرّموني على أنهم أحسنوا الظن بي، وبما كتبته من كتب ومؤلفات وما ذكروه، بما قمت به من جهود ثقافية أخرى، آمل أن تفيد الناس وتنفعهم في حياتهم.

■ لك اهتمام بعلم الأنساب والشعر والقصة والرواية، نأمل التعريج على هذه الجوانب.

أي شخص ينوي القيام بعمل مميز لا بد له من الاستعداد الجيد لهذا العمل وأن ينميه ويستمر فيه، ويطور أفكاره ليصل إلى مبتغاه.

فوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان مهتماً بحب المعرفة وبأحوال الأسر وتفرعاتها.. وعندما كتبت كتابي «معجم بلاد القصيم» الذي صدر في ستة مجلدات، لاحظت أن كثيرًا من بلدانه وقراه قامت في الأصل على جهود أسرة واحدة أو مجموعة صغيرة من الأسر، فكان لا بد لذلك من البحث في أحوال تلك الأسر، وهذا ما حداني في البداية إلى الاهتمام بالأنساب، فألفت كتابًا

موسعًا، فيما يتعلّق بأسر القصيم، وانتهيت من صف القسم المتعلق بأسر بريدة في عشرين مجلدًا، وبقيت هناك كتب أخرى عن أنحاء أخرى من القصيم، وهو يبحث في أحوال الأسر من حيث معرفة أحوالهم وموطنهم قبل أن يستوطنوا منطقة بريدة وعن البارزين من رجالهم وأخبارهم وأشعارهم، وما خلفوه من آثار فكرية... إلخ.

وأما القصص والرواية، فإن الأديب أو من يميل بطبيعته إلى الأدب تستهويه في العادة الفنون الأدبية الأخرى التي يستطيع الإسهام فيها، وأرجو أن أنبهكم والقراء الكرام إلى أن كلامي عن كتبي ومؤلفاتي لا يتضمن إلا الإخبار عنها، أما قيمتها الأدبية وفائدتها للقراء فتقدير ذلك راجع للقراء والنقاد، فقد كتبت عددًا من الكتب في القصص، ورواية واحدة تقع في (٤٠٠) صفحة.

■ لك اهتمام بالتأريخ، وقد كتبت المعجم الجغرافي للقصيم، فما قصة هذا المعجم؟.

لتأليف المعجم الجغرافي لبلاد القصيم قصة مع الشيخ حمد الجاسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان مهتمًا بالجغرافيا والبحث الدؤوب فيها، وأعلن أنه بصدد تأليف معجم جغرافي للمملكة، وعرض ذلك على الملك فيصل، رحمهما الله، فشجعه على ذلك، بل طلب منه أن يخبره إذا تم.. ونظرًا لسعة بلادنا، وكثرة الموارد، والجبال، والهجر التي يستقر فيها الأعراب بعد أن تركوا حياة التنقل والترحال، بل وتشابه أسماء بعضها، فقد رأى الشيخ حمد الجاسر أن يتولى الأمر عدد من الباحثين يكلف كل واحد أن يكتب عن منطقته، فكانت النتيجة أن كتبت أنا عن بلاد القصيم، لأنني من أهلها وخرج المعجم على ما هو عليه الآن.

❊ ❊ ❊

حديث الفكر مع
الدكتور محمد بن حامد الأحمري

عبد الحي شاهين

■ **حدثنا عن النشأة في مدينة أبها.. وكيف كان تأثيرها على اختياراتك المستقبلية؟.**

ولدت في قرية من قرى قبيلة بني الأحمر الواقعة على جبال السراة الواقعة بين أبها والطائف، ثم انتقلت جنوباً إلى مدينة أبها وأنا في الفصل الدراسي الخامس الابتدائي، وأكملت الابتدائية في المدرسة الرحمانية، ثم درست المتوسطة والثانوية في المعهد العلمي بأبها، وكان لا يدخله إلا المتفوقون بامتحان قبول أمام لجنة من مدرِّسيه.

كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جادّاً في مراقبة تعليمنا (أنا وأخي أصغر مني)، ويتأكد يوميّاً من جلوسنا على كتبنا وإتمام الواجبات المدرسية، وقد كانت له كتب قليلة جدّاً في ما كنا نسميه «قترة» وهو رف داخل الجدار المبني بالحجر، ولما كان يلزمنا بالبقاء على الكتب في المجلس زمنا زائداً عن وقت الواجبات فكان لا بد من مهرب من الكتب المقررة لسواها، ولهذا فقد بدأت أقرأ كتبه الصعبة في السنة الرابعة الابتدائية، وكانت كتباً في

المواعظ ورسائل فقهية في موضوعات تهم الناس في القرى، من مثل: نكاح الشغار، وكان بعضه منتشراً في القرى بسبب الزراعة وحاجاتها، فيتبادل أبوان أو أخوان زواج أخواتهما دون مهر محدد.. وكانت لديه بعض معرفة بأحكام الفرائض؛ فيساعد الناس على قسمة المواريث،. وبدأت أقرأ مجلة العربي في تلك المرحلة حيث كانت تأتي بها لي أختي الكبرى من أبها.

■ صف لنا المناخ العام في مدينة أبها أثناء سنينك الباكرة، وبخاصة الجانب الدعوي والعلمي.. ومن كان هناك من العلماء المشهورين؟.

في القرية كان هناك وعَّاظ وبعض مشايخ كنا نخافهم ونهرب منهم، لأنهم كانوا يمتحنون معارفنا، وبعضهم أصدقاء أو أقارب لوالدي، فكان والدي يقارننا بأولادهم الذين يقرؤون ونحن لا نحسن القراءة، ولما انتقلنا لمدينة أبها كان الشيخ المشهور عبيد اللّه الأفغاني (حفظه اللّه) يلقي دروساً في وسط المدينة، ولم نكن بعيدين في السكن، وعرض والدي عرضاً غير ملزم أن أدرس عنده فأبيت، وكان مما تبادر لذهني خوف من لحيته الطويلة وعصاه، أو أن يقيد حريتي في وقت العصر، وكانت الدراسة لدى أبي هي كل شيء.. وقد درست عنده لاحقاً لما كنت في المرحلة الجامعية، وسبق ذلك بأن درَّسنا هو رسميّاً في المعهد بعد بضع سنوات.

وفي السنة الأولى الثانوية قدَّمت مع عائض القرني ـ الشيخ المشهور الآن، وكان في السنة الثالثة المتوسطة، أي بعدي بعام ـ محاضرة في الفسحة المدرسية؛ تحدثتُ فيها عن الأخطار المحيطة بالمسلمين متأثراً ببعض الكتب المشهورة آن ذاك؛ مثل: كتب محمد محمد حسين، ويوسف العظم، وآل قطب.

وقد أثارت عليَّ تلك المحاضرة عاصفة اعترض عليها الشيخ يحيى

معافى، وكان عالماً جليلاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأستاذ الأدب الأديب عبد الخالق الحفظي، (الآن هو مدير التعليم برجال ألمع)، واعترض الشيخ الأفغاني، فلما دخل الفصل قال لي: «يا محمد لا تقرأ الكتب العسرية» وكان لا ينطق الصاد بحكم العجمة؛ أي: «لا تقرأ الكتب العصرية» لما رأى من أثرها في المحاضرة، ثم فتحت المحاضرة باب نزاع بين الشيخ يحيى والدكتور عبد اللّه المصلح، وكان بعيداً ولكن وصل الخبر. وسمعت أنهما تنازعا أثر ذلك، فاشتد الدكتور المصلح عليه فدعا عليه، ثم صالحه وأخبرني الدكتور بشيء من خبر ذلك لاحقاً وما كنت عرفت.

وقد كان الأساتذة في المعهد على مستوى علمي عالٍ، فكان الشيخ يحيى معافى تلميذ حافظ الحكمي، والذي لم يدرِّسنا إلا في المرحلة الثانوية عالماً حقّاً، ومبدعاً ومتحرراً من القيود، متقدماً على معاصريه، يدرس اللغة وعلوم الشريعة بتمكن نادر، ناقداً للكتب، لا أنسى أنه أول ما دخل علينا يشرح كتاب: «زاد المستقنع في اختصار المقنع» قال: «هذا كتاب لم يبارك اللّه فيه».. ثم ذكر عيوب المتون المختصرة، بسبب غياب الأدلة والحجج عنها فكان يغنينا بالتفصيل والأدلة واللغة، وفوق ذلك عقل ناقد يختار الأقوال بوعي، ويطلب منا شراء كتب أخرى للمواد نفسها.

وكان في المعهد نفسه عدد من الأساتذة المتميزين: أربعة منهم من آل الحفظي؛ درَّسني منهم: علي وعلي ومحمد وعبد الخالق، وآخرون متميزون من مثل: إبراهيم سير وعلي مهدي وعلي غاصب والهويمل ورزق، وأفاضل آخرون يصعب عدّهم.

وقد بدأت الاهتمام بالقراءة مبكراً، فكان لنا أستاذ سوداني في الابتدائية شجعنا كثيراً على القراءة؛ وهو الأستاذ محجوب محمد الخير، فلم أكمل الابتدائية إلا ولي مكتبة صغيرة غالبها من الأدب والشعر، وأذكر

مرة أني ذهبت للطاحون ودفعت له مبلغاً، وبقي قليل من القروش في جيبي، فذهبت لمكتبة مجاورة للطاحون اسمها مكتبة الإيمان النموذجية، فطلبت مجلة الشهاب اللبنانية، ولم تكن القروش كافية؛ فكان الشيخ سعيد بن مسفر جالساً في المكتبة، فسمع كلام البائع فدفع الفرق وأعطاني عدداً سابقاً، وشكرني على طلب تلك المجلة وشجعني بما وسعه، فشكرته ولكن ذلك لم يكسر المهابة والرغبة في البعد من المشايخ إلا بعد زمن.

وكنت في المرحلة المتوسطة أقرأ ما أجد وخاصة من الشعر والأدب، فقرأتُ كتاب «جواهر الأدب» في السنة الأولى المتوسطة، وحفظت أشعاراً كثيرة، لم يزل بعضها عالقاً بالذهن، ودواوين كديوان امرئ القيس، وبعض القصائد كنت أحفظها ولا أعرف كثيراً من معانيها؛ مثل قصيدة:

لمن طلل بين الجدية والجبل	**محل قديم العهد طالت به الطول**
عفا غير مرتاد ومر كسرحوب	**بمنقطع طام تنكر واضمحل**
وفيه القطا والبوم وابن حبوكل	**وطير القطاطي واليلندد والحجل**

غير أن اللغة والشعر فتقت اللسان والعقل ووسعت المدارك، ومرت سنين قبل أن أعرف بالدور الكبير لتعليم اللغة الواسعة الغنية في توسعة الذهن وإعداده لتقبل الفكر، فمن ضعفت لغته قل استيعابه، وربما كلّ فكره وعقله.

وكان من الوعّاظ المشهورين في المنطقة سليمان بن فايع، ومحمد بن شايع، وسعيد بن مسفر، والبيحاني، وبعض الأساتذة الحركيين من سورية وفلسطين.. وزارنا مبكراً علي الطنطاوي والزنداني وكان مثار إعجاب بقوله ومظهره، حتى أذكر أن أحد الأساتذة قال بعد عودتنا للفصل: «لو قيل لي: أي المسلمين يصلح خليفة للمسلمين؟ لقلت: هذا».

■ كيف تعرفت على الفكر الإسلامي؟ وكيف وجدت طريقك إلى التيار الإسلامي؟.

بداية اهتمامي بالكتب والأفكار كانت مبكرة، وتعرفت على بعض اليساريين، وكانوا يزودوننا بمنشورات مكتوبة على ورق الكربون الأزرق، وعلى قصائد ناقدة للأوضاع، ولم أنتظم معهم، وكانت الرغبة في القراءة أو التميز الدراسي سبباً لاهتمام الإسلاميين بي، فأهدى لي زميل مجلة المجتمع الكويتية، ثم واظب على التعرف والزيارة، وبعد بضع دروس عرّفني على أستاذ صادق جادّ كان له أثر جيد، وعنده تعرفت على كتب الإسلاميين، وكانت لي مكتبة أخرى واهتمامات أدبية أخفيتها عن زملائي المتشددين دهراً، بالرغم من أنهم لما أثّروا عليَّ تخلصت من دفتر كامل كان مليئا بشعر الغزل، ثم ثبت لي مبكراً فشل الشاعر فيّ.

■ هل كان الدخول إلى جامعة الإمام امتداداً طبيعيّاً لأفكارك، أم كان لديك وقتها الرغبة في جامعات أخرى؟.

كانت الرغبة الوحيدة في نوع التعليم الذي أرغبه بعد الثانوية «غير مناسبة»، ونصحني أحد زملائي بصرف النظر عن تلك الفكرة، وكانت نصيحته موفقة وأشكره، المهم اخترت وأشاروا عليَّ بقسم التاريخ بلا تخطيط مني، وكانت أقرب رغبة لي في قسم اللغة العربية، ثم تركتها، وكانت لدي ثقة أن دراسة الشريعة واللغة سأقوم بها بنفسي دون أن أدرسها نظاميّاً، وقد أخذت المركز الأول في مسابقة في اللغة العربية على طلاب اللغة في عامي الثاني في قسم التاريخ، وفي الشريعة كانت مواد المعهد غنية جدّاً وقوية في اللغة والشريعة، وكان من حسن الحظ أن أستاذين من أهم

أساتذة التاريخ القديم درّسانا في السنة الأولى في الجامعة كزائرين ـ بسبب ندرة المتخصصين ـ وهما: رشيد الناضوري ومحمد بيومي مهران.

وكان يقال: إن مهران يحفظ القرآن والبخاري ومسلم والتوراة والإنجيل، وكانت محاضراته طريفة لا تخلو من غرابة، سلوكاً وفكراً، أما رشيد فأسنّ منه وكان مندوباً لمصر فترة في الأمم المتحدة أو إحدى هيئاتها، يعرف لغات كثيرة، وكان ملمّاً بقضايا التاريخ القديم، درسه ممتع، لا يقل عن درس الدكتور فاروق القاضي، ودرَّسنا الدكتور زكريا سليمان، كان يعاملنا كإخوة، وله كتابان مهمّان عن تاريخ مصر الحديثة؛ أحدهما عن الحزب الوطني، والآخر عن الإخوان المسلمين.. ودرَّسنا عالم جليل خلوق هو محمد عبد الفتاح عليان، الذي كتب كتاباً مهمّاً عن القرامطة وعن العباسيين والراشدين.

لم يكن اختياري للتاريخ إلا لأنه مادة لم أكن أرغبها؛ فرأيتُ أن أستفيد مما لا أحب، لأنني قادر على إجادة ما أحب بنفسي دون دراسة منهجية، أو هكذا بدا لي الأمر آنذاك.

■ جامعة الإمام وقتها؛ هل كانت هي الملاذ الأول والأخير بالنسبة للطلاب الملتزمين؟.

في المدن البعيدة ليس الأمر كذلك؛ فقد كان التدين أكثر بين طلاب التخصصات العلمية كالتربية والعلوم والطب والهندسة، وكنا نفرح بعودتهم لأبها في الصيف من جامعة الرياض وجامعة البترول، ومن المؤثرين عليّ في المرحلة الثانوية من كانوا طلاباً في الرياضيات ثم في الطب وغيرهم، وكان والدي يستغرب صداقتي لطلاب كبار في السن وأعلى في مراحل الدراسة.

■ كان لافتاً اتجاهك لدراسة التاريخ على الرغم من تفوقك الملحوظ في كامل سنوات دراستك.. هل رأيت فيه مجالاً يتماشى مع مزاجك وأفكارك حول مستقبلك المهني والأكاديمي؟.

كما ذكرتُ لم تكن دراسة التاريخ رغبة واضحة، وفي زماننا لم يكن الاهتمام بالعمل بعد الجامعة مشكلة، فالجميع كان يجد العمل الذي يود، وأذكر أن كلية الطيران كانت تأتي بوفد لطلاب المرحلة الثانوية ترغب في أن يواصلوا فيها، ويأخذون بعضنا بطائرة عمودية، ويستضيفوننا يوماً كاملاً في القاعدة العسكرية، وفي مواقع الرادار ترغيباً في الوظائف العسكرية.

ولكن لم تكن لي رغبة في غير المعارف الأدبية، فقد كانت الكتب تملأ حياتي؛ حتى إن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لي ـ وكنا نسكن بيتاً صغيراً ـ «أظنكم ستدخلون الكتب البيت وتخرجوننا منه!»

■ دراستك للتاريخ كيف أفادتك في رؤاك الاستشرافية للمستقبل؟.

للأسف لست منكبّاً على التاريخ ولا المستقبليات كما يوحي سؤالك، بل كان اهتمامي بغيره كبيراً، وبخاصة الفكر والفلسفة والأدب، وكتب الإسلاميين، لقد أفادني التاريخ كثيراً، وبخاصة أني كنت محظوظاً في مرحلة الماجستير بعلماء أقوياء، أحدهم كتب موسوعة مهمة للثورة الفرنسية، ودرست الثورة الروسية على يد أحد تلاميذ كرينسكي، الذي أخذ الحكم قبل إنجاز الثورة الشيوعية، ودرست الأمبريالية والاستعمار بما فتح عيني على ما لم أكن أتخيله، ولهذا فإن الفكر الغربي اليوم فيما يتعلق بموضوع التأريخ الأوروبي يتعرض لمراجعات شمولية؛ لأن شخصيات اليسار صاغت التاريخ الغربي صياغة مضادة لمصالح الغرب الاستعماري، وبخاصة في أمريكا، وأقسام التاريخ مالت لليسار، ولأن أمريكا اتجهت أن تكون دولة استعمارية تجدد

عهد أي مستعمر سابق كبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وهولندا، فهي بحاجة لثقافة تبرير استعباد الشعوب مرة أخرى! ومن هنا جاءت صيحات تجديد الفكر، وموجة الاستعماريين الاشتراوسيين «مدرسة شتراوس» ما هي إلا مثال.

وقد أفادتني دراسة التاريخ أن أعرف أين تكمن بعض قيمته، وأين تكمن بعض أوهامه، وأن من يجادل به يكون غالباً مسوقاً بجهل التاريخ لا بمعرفته، ومن أحسن ما عرفتُ عنه المدارس التي تعتبره وتلك التي تسقطه، وأن مدارس اعتبار التاريخ أو إهماله فلسفية وليست تاريخية.. وما عمل كثير من المؤرخين وعلماء الدين والأدباء وعلوم الاجتماع إلا خدمة لذوي الأفكار.

ومن الغريب أنك تقرأ لأناس يحقرون المفكرين والفلاسفة وهم لا يدركون أن السبب هو أن المفكرين يستخدمون كل هؤلاء كأدوات، وكلما استطاع المفكر أو الفيلسوف أن يخفي مواد بنائه كان أسلم له، ولكنه يصبح معقَّد الأسلوب، ولهذا يعمد بعض هؤلاء إلى خلط المواد، وإرباك المستمعين أو القرّاء، ليصل لما يريد بعد معاناة الطريق الملتوي.

أما التاريخ فقيمته عندي قيمة مستقبلية؛ وهو كذلك عند نابهي المؤرخين والمفكرين، وهكذا يستخدمه السياسيون الآن في العالم، وقد كنت عنونت كتابي بـ: «تاريخ المستقبل»، ولما منع غيرت العنوان، واحتلت على مكان النشر وسميته بـ: «ملامح المستقبل».

■ ما الطريقة الصحيحة التي ينبغي علينا أن نقرأ بها التاريخ أو ندرسه؟.

لعلّ هذا السؤال مما لا يمكن الجواب عنه في مثل هذا الحيز، ولكن

أشير إلى أن من المهم أن يعرف المؤرخ وقارئ التاريخ أن ليس هناك تاريخ بعيد عن السياسة ولا الدين ولا الفلسفة، ولا نقد الرجال الذين أرَّخوا، ولا الأدب، وإنما يؤتى المؤرخ أو المثقف أو الشيخ من ضيق أفقه أو ضعف ثقافته وجزئيتها، أو تحيزه.

كما أن العقيدة لازمة التاريخ، فمن توهَّم أنه يعرف العقيدة بعيداً عن التاريخ السياسي والاجتماعي، وتوهَّم أن معرفته بصراع المدارس المذهبية في الإلهيات هي عمل كافٍ لمعرفة العقيدة؛ فهو واهم، ولك أن تتصور دارساً للعقائد ولتوجه الحركات الليبرالية والإسلامية الجهادية والسلفية والجبرية المعاصرة بأدوات بعض الجامعات المحلية دون إدراك لدور السياسة!.. إنه حقّاً لن يصل لكثير من الحقيقة لأنها في زاوية هناك مع محظورات السياسة.

■ ماذا أضاف لك (علميّاً) تواجدك في أمريكا كل هذه السنوات؟.

أضاف لي الكثير مما أعرف وما لا أذكر، وبلا شك أن لكل معرفة ثمن تؤديه من الروح والبدن، فكلما تعرَّض الإنسان للمعرفة أفاد وتضرر، وقد نصح أبو حنيفة في وصيته المشهورة تلميذه بأن يستقر في مدينة ولا يذهب لقرية، ونصح أحد المعاصرين آخر قائلاً: «اسكن حيث يصنع التاريخ».. وقد رأيت ذلك بعض الزمن، وكنت حريصاً على تتبع بعض الأحداث الكبار، حتى ذهبت لألمانيا عند سقوط جدار برلين، وكانت متعة شهود عالم يسقط وآخر يقوم، وتلك متعة الشهود.

■ هل تعتقد أنك لم تجد التقدير الكافي في السعودية؟.

لقد وجدت من التقدير والاحتفاء الكثير، وتعرفت على كثيرين أعتز بصداقتهم ومروءتهم، ورأيت في نجد خاصة صفوة رجال أكبر مما كنت

أتوقع، فيهم صفاء، وصدق وتقدير، وثقافة ونجابة، وقد أحرجت عندما يتوافد على مكتبي وبيتي كبار المثقفين لا لعلاقة العمل ولكن ليناقش أمراً يختلف معي فيه، ثم يخرج مصرّاً على رأيه، أو متنازلًا عنه، أو يغير موقفي، أو يعتاد لقاءً أسبوعيّاً، ولا يتوقع أحدنا من الآخر اتفاقاً، ولكن التقدير والاحترام لم يبرح نفوسنا ولا لقاءاتنا، ولمجتمع المثقفين كأي مجتمع حثالته، وغالب هؤلاء أصحاب عقد نفسية لا حجج علمية.

■ **أنت كثير التنقل (ولا أقول: التحول) بخلاف مجايليك من المفكرين السعوديين الذين لا يخرجون إلى الخارج إلاّ في إطار (الترفيه).. لماذا هذه التنقلات؟ وكيف ترى أثرها عليك؟.**

عندما قرأت رواية: «رأيت رام اللّه» لمريد البرغوثي؛ أشار فيها إلى أنه سكن أكثر من ثلاثين مسكناً لكثرة تنقله، فوضعت الرواية جانباً وبدأت أعد البيوت التي سكنتها والفنادق التي قضيت فيها أكثر من ثلاثة أشهر مستمرة، فبلغت إلى الآن نحو خمسين مسكناً، قبل بلوغ الخمسين في ثلاث قارات.

أثر السفر مفيد، ولكنه في مثل حالتي مزعج، ولم يصبر على صحبتي في كل هذه الأسفار إلا الكتب وقليل من الأصدقاء، حتى بلغ من هوسي بالكتب في مرحلة الجامعة أن كنت يوماً أسوق السيارة وأنا أقرأ ديوان شعر! أما ما عدا ذاك فيذهب ويجيء، ومن ذلك المال والأفكار.

■ **كيف تقارن بين التغيرات التي وجدتها في السعودية بعد عودتك من أمريكا والوضع الذي تركته أخيراً؟.**

المدة ليست طويلة بين القدوم والخروج حتى يستطيع الإنسان أن

يتحدث عن مجتمع وتحولاته بهذه السرعة، غير أن مظاهر التخلص من طرائق التدين السابقة كانت واضحة، ولاحظت كثرة المثقفين بل هناك من تستطيع أن تسميهم «مفكّرين» غير أن طبيعة المجتمع النجدي محافظة ووقورة، وهادئة، وكثير منهم يتجنبون الادعاء والتظاهر، وقليلون منهم أصحاب التكبر والتنفج؛ لأن هذه سمة ملازمة للضعف لا للنجابة.

وهناك قلة ضعيفة الثقافة كثيرة الإزعاج، يجب أن يصبر عليها، لأنها كما قال أحد النقاد، وقد ذكروا عنده عيوب المتنبي فقال: ذلك من دخان النار، ولكل نار دخانها.

ونتاج المثقفين ومثاقفتهم لأنفسهم ولغيرهم أقل من مستواهم، ومما يجب أن يقدموه، ولهم أسبابهم وعمق وفوائد في تجنب التفاعل وفي الصمت، وهو ما فهمته من قبل وصولي ولكن لم أستطع التنجد، وبقي صوت الحجازي عالياً كجباله، ولعله هرب قبل أن يفقد صوته.

كما لاحظت النمو السكاني في الرياض بشكل سريع ومخيف، حتى لتكاد تصبح على نمط مدن اليونان القديمة المسماة: «المدينة الدولة»، وليس بسبب المواليد فقط بل بسبب جلاء الناس من القرى والمناطق البعيدة إليها، حيث لا تتوفر الخدمات ولا الأعمال، بسبب الإمعان في مركزية كل شيء في مدينة واحدة، ورأيت قرانا في الحجاز وهي تندثر سكانيّاً، وتغلق فيها المدارس، وتصبح موحشة إلا في الصيف حين تزدحم بالعائدين إليها والمصيفين.

■ ما هي حدود التغيرات التي تطلبها للمجتمع السعودي؟ وهل هناك خطوط حمراء بالنسبة للحدود التي تطلبها؟.

لا أعرف أين تريد وضع الخطوط الحمراء، ومن يضعها، غير أن

الجمود السياسي وعدم تطوير صلاحيات المؤسسات المدنية مثل مجالس الشورى، ومثل المجالس البلدية، وتدهور مؤسسات وحقوق الإنسان، وغياب العدل، وانتشار مفاهيم كنسية وافدة من عصور الظلام الأوروبي؛ إذ تملّك السلطان الدين والدنيا والآخرة، وهذا أمر مخيف، وفساد عريض، ودلالة تراجع مريع، ففي الوقت الذي تقتنى فيه أحدث تقنيات العصر تتراجع مجتمعاتنا لعصر ما قبل العربة، ونوغل اجتماعيّاً وسياسيّاً في التخلف والنكد والتبعية للغزاة، ففي الوقت الذي نتزين بكل زينات العصر الظاهرة، ونستخدم آلاته، نجد عقولنا مهاجرة، أو مباعة، أو سجينة أوهام وقيود وسجون، وهذه شروط لا تحقق إلا هوان الحكومات والمجتمعات، وتسليمها للطغاة الصهاينة رخيصة مهينة واهية.

■ **هل توافق على توصيف المجتمع السعودي بأنه شديد الاختلاف (داخليّاً)، في حين أنه يبدو كمجتمع أحادي ظاهريّاً؟.**

النفاق عادة رفيق للتشدد الديني والسياسي، فالمرء يريد دائماً أن ينسجم مع مجتمعه ولو لم يكن مؤيداً لما يسوده من مفاهيم، فيلبس لباساً يواري حقيقته، ويحتال على المجتمع ليقبله، ويتظاهر بغير حقيقته، والاختلاف المكشوف المتعارف والعارف بما يجمع من مصالح ومصير هو إيجابي وليس سلبيّاً.

غير أن ظاهرة التظاهر ـ إن لم أقل النفاق ـ كانت حقيقة مشهورة للقريب والبعيد، ولهذا كانت استراتيجية الأمريكان مع المجتمع السعودي الذي سموه بـ «الثقب الأسود» هو فتحه واختراقه من الداخل والخارج، وقد أجدت هذه السياسة إلى حد كبير، وتمكنوا من استخدام ثروته ضده في عدة ميادين، وحرصوا على تغييب حقوقه، مع إشاعة مقدار من التفرق

والفسق والشحناء وفقدان الثقة من الجميع بالجميع، وفتح باب الهجاء المتبادل، وأظهروا أوجه الولاء المتنافرة.

■ التحولات في السعودية كيف تنظر إليها؟ وما هي توقُّعاتك في شأن ما ستفرزه مستقبلاً هذه التحولات؟.

هناك تراجع مشهود في قدرة الناس على الإمساك بتحقيق مصيرهم وتحديد توجهاتهم، وتوجه بلادهم، وتتحول سريعاً القرارات لإعطاء الآخرين تقدير وتقرير ذلك، وبالرغم من تهاوي قوى الاحتلال وضعفها ولكن الضحايا يصرُّون على تسييدها وتقديسها والذوبان في إرادتها، وهذا قريب من قصة الشقاء في خدمة ميت بسبب ما كان: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، ولأن المستغلين لا يرون في جانبنا أي حيوية سياسية ولا رغبة في المشاركة في تحديد توجهنا، وقد اطمأنوا أننا لا نريد إلا الاتكال عليهم في تدبير أنفسنا، هذه الحال توحي بمزيد من الاستنكار مستقبلاً، كما أن فرحة البعض بتحقيق التفسخ في المجتمع قد لا تطول؛ فإفساد المجتمع أخلاقيّاً قد تصنع منه حالة انتقام، وعدم ثقة، وخوفٍ أو شكٍّ في من يتولى توجيهه، ويفترض أن يرعى مصالحه.

الوضع الاقتصادي في المنظور القريب مبشِّر، ولكن ماذا بعد؟ أين الإسراع في بناء بنية تحتية سريعة تغتنم غنائم النفط، أين الجامعات القوية والمصانع والطرق؟ أين الاستثمار طويل المدى؟ أين المهارات؟ أين ضمانات السيطرة الأمينة على الموارد، أين الأمن السياسي والمالي؟!..

إن عدم مشاركة الناس في صناعة مستقبلهم يعني أن يوكل ذلك لقوى متربصة في الخارج، وبأجندات عدائية، إنَّ ضعف السياسة المحلية يضعف قدرات الناس على معرفة أنفسهم، وكلال قدرتهم على إنتاج حلول.

إننا نتمنى الخير ونتوقعه، ولكن من السذاجة قول ذلك دون رؤية توجه وعمل يؤدي إليه.. كنت كثير التفاؤل بأن تتقدم المشاركة العامة، والألفة وأن يتحقق تقدم سياسي، ولكن تشهد المنطقة عموماً تراجعاً وانطواءً وغبشاً وخوفاً من القريب والبعيد، واستعادة للثقافة العشائرية تجعل الخوف وانعدام الثقة شعار الجميع ضد الجميع! لعل ذلك بسبب نشر اليأس وقلة الجدوى، وانتهاء الآمال الطويلة، وثقافة الشك في الثقافة المستقبلية، وأساس المصائب لأي أمة غياب الأفكار التي تنير الروح وطرق العمل وتبث الأمل، هناك مفسدون مثقفون يعرفون أنَّ الأفكار مصدر انبثاق حضاري فيصرُّون على تجريد المجتمع العربي والمسلم منها وإبقاء الجوانب الحيوانية هي المتحكِّمة، ليتمكّنوا من العقول والقلوب والأبدان، وليسوقوا رعاعاً بلا فكرة.

الشيء الجدير بالذكر: أنه يتحقق بلا وعي نمط تديُّن وتثقيف جديد يمتد بلا وعي وبنعومة في ثقافة المجتمع القديمة وطريقة تديُّنه، بسبب الثراء والاستقرار، تديُّن ناعم رقيق أو خلوق (أو مجامل) وسلبي، مستنكر للطابع القديم، يطمح للتجديد وللإصلاح بخجل، لم يبنِ أفكاره بعدُ، ولكنه ناتج من سلوك التمدُّن لا من فكرة مسبقة.

■ برأيك هل يمكن أن تشكل السلفية وعاء لكل التيارات الإسلامية الأخرى؟ وماذا عن حالة السلفية في السعودية بشكل خاص؟ هل هي قادرة على ذلك؟.

الإشكال في السؤال هو المسمَّى، وما هي السلفية؟ ولكن حتى لا نذهب بعيداً فنحن نتحدث عن ما يسمى السلفية كما هي الآن، وهي لا يمكن أن تستوعب غيرها، فهي ضيقة العطن، قاصرة عن حل لمشكلات العصر، وتحديات

المجتمع، تثير العداء والخلافات التاريخية والمتجددة دون وضع حل لشيء، بل نقد وتشهير وتفجير وتفسيق، كرقابة مدرس منزعج غضبان دائماً، قاصر الخيال، مقهوراً، فيوزع المحبة والثقة لغير أهلها ممن يخدعه ويستسذجه، ويهوي بالشتائم على الذكي والحيوي والعبقري؛ لأنه يعكر جموده!..

والأمل في حركة تجديد تتجاوز قصة السلفية ومجتمع السعودية إلى تجديد أبعد وأشمل، أما التلفيق الجزئي فمصيره الإفلاس محليّاً وعالميّاً.

■ ماذا ينقص السلفيين في السعودية من وجهة نظرك؟ هل هم مثلاً في حاجة إلى حركة تصحيحية؟.

ينقصها توصيفك لها، فالدين أوسع من أن يصرَّ أحد فيه على طبعة محلية، وفي حال البحث والإصرار فقد يتم ذلك، ولكن شرط وجود سلفية سعودية الانقطاع عن الإسلام كما هو، وعن السلفية المشتهرة، وهناك أمم حققت مفهوماً ضيّقاً خاصّاً للدين، فاحتوت الدولة دينها، وبادلها الولاء هو كما في الحالة الألمانية مع البروتستانت، وجزئيّاً مع التشيع في إيران، ولكن هذا عمل كبير بعيد، وقد لا يقبل ولا يجدي، وبعض الخصوصية وهم يروِّجه من يجهله أو يستغله.

■ هل يملك الإسلاميون في السعودية أدوات تطويرية مناسبة لإحداث نقلة في مسارهم خلال المراحل المقبلة؟.

البقايا القديمة والتوجُّهات العريقة تقوم بدور الصيانة لإبقاء القديم كما هو، مع تصليحات وديكور شكلي لا يذهب بعيداً، والمؤسسات القائمة أغلبها تحرص على الدور نفسه، ولكن الحاجة هي إلى أفكار شجاعة تعيد

الحياة للمؤسسات القائمة وتنتج مؤسساتها، هناك حاجة لاجتهاد، وحلول عملية مطبقة في أماكن أخرى وناجحة؛ فالمثال دائماً خلاب وعملي، ومع تراجع المؤسسات الرسمية فإن الكثير من رؤى الإسلاميين ما زالت متأخروها يجرهم المجددون أحياناً، وربما الحكومات بصعوبة إلى نور لم يعشوا إليه بعد.

■ ألا تعتقد أن الإسلاميين ليسوا واضحين بالنسبة لمطالبهم بالحرية أو أن المفهوم ذاته ملتبس عندهم؟.

قدمت الحرية للإسلاميين على أنها التفسخ والعري والفساد؛ فكان الرد بالرفض، ولو علموا أن الحرية تعني تحقيق مصالحهم الشخصية والدينية والرقي بكرامتهم وأفكارهم لما حدث موقفهم القديم، ولهذا فإن الحرية مما يجب أن تسخَّر له الكثير من الجهود؛ لأنه يعني في مجمله الخير للجميع، وبغير الحرية لا ترتفع راية ولا يقوى مجتمع ولا تعلو دعوة ولا يصان مال ولا عرض.. إن المجتمع بحق يحتاج للتحرر من الأفكار المفسدة الصادة عن الحرية وعن ثقافتها.

■ حركة النقد داخل التيار الإسلامي السعودي بشكل عام هل هي كافية لتعديل أي أخطاء في المسيرة؟.

هناك تأكيد في أسئلتك على أن هذه وتلك قضايا سعودية، بينما أكثر هذه القضايا عامة.. لا أرى أن هناك حركة نقدية تقدم حلولاً كافية، وإن وجدت فلعلها لا تملك وسائل توصيل مفاهيمها وحلولها للمعضلات.

■ ما هي نصائحك لرموز التيار الصحوي المعاصرة؟.

أفضِّل أن أسوق كلامي للقارئ، أيّاً كان، وهي الاهتمام بالمعرفة

الجيدة الجادة وبالمرونة وبالمعاصرة، والفكاك من قيود الأسلاف، والتوجه للإسلام في أصله بل في غايته لا في تاريخه وتجاربه، ولا البقاء في عالم الفرق والنزاعات القديمة أو المتجددة، فمن غرق فيها فلن يصنع شيئاً إلا التدمير الذاتي، وسيبحث العقلاء عن غيره منقذاً أو مساعداً، ليس علينا حراسة أقوال الأقدمين والحرب لمن حاربهم وولاء من والاهم؛ ولهذا فإن التوجه إلى البحث عن الإسلام قبل التقسيم وقبل التفرق هو منطلق التجديد ومنطلق الوحدة، ومنطلق المعاصرة أيضاً هو التخفف من كثير من الماضي، وأخذ أحسن ما يعاصرنا، وغير هذا تفريط واستهلاك للحياة ولجهود الناس بلا غاية قاصدة.

■ يُلاحظ أن الطرح الاستشرافي للمستقبل بعيد عن أذهان معظم المفكرين الإسلاميين.. بوصفك مهتمّاً بهذا الطرح ومساهماً فيه، ما أسباب هذا الغياب عن هذا الحقل المهم؟.

الاستشراف منه، المعرفة والمراجعة والتعديل، وإن لم يتم شيء من الجوانب الثلاثة فمجرد الاطلاع والمعرفة الساكنة المحزنة أو المفرحة جهد قليل القيمة، أما إن كانت لك أفكار وخطط تعمل، ثم تجددت معارفك وراجعت فعدلت من خططك وفق الجديد أو المتوقع؛ فهنا يكون لك استشراف عملي صحيح يصدق عليه الوصف والنتائج.

وإنَّ من أسباب غياب الاستشراف غياب الخطط أصلاً، أو أن يفهم الاستشراف على أنه حالة تغير في العالم الخارجي لا تحتاج إلى جهد للمواكبة ولا للتغيير في الحالة العالمية المتغيرة، أو التي تريد منا تحديثاً، فنبقى كما ماديّاً بشريّاً يؤمن بأفكار جبرية معطلة عن المشاركة في حركة العالم، ذلك العالم الذي يديره غيرنا، ونحن مجرد مشاهدين، ومراقبين

عُـزّل، ننتظر المهدي أو الموت أو رحمة الغرب أو الشرق، أو من يقدر مظالمنا، ولهذا فللكثيرين عذرهم في تجاهل الاستشراف ما دام لا يزيد عن كونه خبراً، أو أرقاماً وتوقعات ليست ذات علاقة عملية من قبلنا.

كما أن طريقة التعليم التي تفهم المعارف والعالم على أنه مجرد معلومات تحصلها وتحفظها بعيداً عن العقل المشارك، وبعيداً عن نقد المعلومات، أو اختبار جدواها هو مما يمنع الاستشراف، وللأسف فإن بعضهم إذا دخل هذا المجال أجرى عليه طريقة معرفة المتسلِّفة، حيث يجمّد المتحرك، ويعبث بالألفاظ، ويبقى يحرّر ويؤصّل، ويفسّق ويفجّر! وهذه عوالم مختلفة لا تصلح أحياناً ثقافة أحدهما للآخر.

والمعاب هنا هي ثقافة المتسلِّفة لا معرفة السلف وعملهم، ولا معارف العصر الحديث، لأن السلبية الغالبة جاءت من المنطقة المتوسطة الضعيفة بين ثقافتين، فتجلب أسماء الأفكار والأشياء ولا تستوعبها، ولا تعرف كيف تتعامل معها، وتقدس القديم لأنه قديم، وتتشوّق للمعاصر من قلوبها وتكره تحقيقه بألسنتها، وتحب أحياناً أن يستوطن بالقوة الغالبة والإكراه، وتتظاهر بالإنكار، بسبب ثقافة متوارثة هي الخوف من الغريب التي تلازم الجاهل فتعوقه وتشوِّه عقله وانسجامه.

■ كيف تنظر لقلة المفكِّرين الإسلاميين المشتغلين على الجبهة الثقافية على الرغم من حيوية هذه الجبهة في الوقت الحالي؟.

هناك خلط كبير لدى القراء بين المفكِّر وبين المثقف، فالأصل ندرة المفكرين ووفرة المثقفين، فالمفكر هو من يفترض أن يصنع الفكرة والموقف والتوجه، والمثقف هو من يقوم بدور النشر والتحرير والعرض، وهذه ليست مناصب توزعها وكالة للتعريف، ولا قرار من مؤسسة ولا جامعة، وليس تكوّن

المفكر بقرار من المفكر ذاته، كما أن الفيلسوف الأرفع من المفكر والأندر منه، ليس قراراً شخصيّاً، فمن لم يكن موهوباً في منزلتي الفيلسوف وأقل منه المفكر فلن يجديه قول الناس ولا رغبته، فكم نتمنى أن نكون شعراء ولكن إن تخلفت الموهبة لم تجد المعرفة إلا قليلاً من النظم.

وفي الدرجة الثالثة من حيث إنتاج الفكرة والمفهوم يأتي المثقف، وهو الأكثر تأثيراً اجتماعياً من سابقيه، ولا يترفع مبدع ولا مفكر ولا فيلسوف عن ممارسة دور المثقف؛ بل يحتاج الجميع لدوره؛ فهو دور المروِّج للأفكار، وعادة تكون كثرة الكتابة وجمال الأسلوب سلاحه، والاختصار والوضوح والتجنيد غايته، وهو يتكئ على المفكر أو الفيلسوف، وقد ينال مجداً أكثر منهما بسبب حصر دوره، ووضوح غايته، وعندنا مثال: محمد بن عبد الوهاب مع أفكار ابن تيمية، فلم يكن بانياً لها ولكنه عارض وشارح ومختصر وموضح ومجند، فحيت تلك الأفكار، ودور سيد قطب مع بعض أفكار المودوي، ودور لينين وكثير من مثقفي اليسار مع ماركس، ودور هنري جيمس مع بيرس.

كما أن وجود علاقة جيدة بين المفكر والمثقف ذات أثر عظيم النفع، إذ يوقظ أحدهما الآخر، ويهديه ويصقل موقفه ويقدّمه، وعلى كل حال ليس هناك من تحجير للواسعات، ولكنها مصائر تؤول إليها الأمور بوعي أو بدونه.

■ أطروحة الإسلام (الثقافي) في مقابل الإسلام (السياسي) هل ترى أنها متناسبة مع هذا الوقت؟.

لست مستوعباً لما أراه شبه واضح عندك في السؤال، غير أن للإسلام علاقته المتميزة مع السياسة، بخلاف اليهودية والمسيحية، فقد بقيت

المسيحية أكثر من ثلاثة قرون في حرب مع الدولة والسياسة، فكانت الدول ضد الدين، وعندما جاءت العلمانية الحديثة فلم تكن بدعاً من تيار ثقافي تاريخي طويل، بينما الإسلام من أول يوم أقام دولته، فلم يحدث فيه هذا الفصام، وعرف الدين مرونته مع السياسة، وعرفت السياسة تمازجها مع الدين دون تصادم كما في المخيلة المسيحية.

والثقافة والسياسة متلازمان؛ فهذا المجتمع العلماني المسيحي يشن الحروب الدينية الأقسى من كل سياسة باسم الدنيا والدين والثقافة، وتدفعه الدنيا ويغلفها بالدين أو الثقافة، فالمسافات أحياناً وهمية، وتتظاهر بما يريد المجتمع القوي، فهذا بلير بعد ترك منصبه اعترف (في فيلم وثائقي) بأن من دوافعه الكبيرة لغزو العراق مسألة الدين، ولكن البنية العلمانية في بلده لا تقبل كشف ذلك.

ثم بقي أن أزيد توضيحاً هنا؛ وهو أنه لو لم يكن المسيحيون مُسَيَّسِين ومصممين على تدمير الصعود الإسلامي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي، لما حاربوا مجايليهم على الضفة الأخرى، فقد استطاعوا إلهاء الناس عن صعود التطرف المسيحي وعن المسيحية السياسية بالحديث عن الإسلام السياسي؛ وكان من أوائل من نبّه لهذه الفكرة كتّاب اليسار المشهورون؛ مثل طارق علي في: «صِدام الأصوليات»، وآخرون كثيرون على شاكلته ممن عانوا من تصاعد التعصُّب السياسي المسيحي في حكومة بوش وبلير وبيرلسكوني.

- **تحرص كثيراً على توصيف نفسك بالمفكر المستقل.. هل ترى أن الانتماء يمكن أن يقلل من أثر المفكر أو يحد من تحركه؟.**

لا أذكر أنني ألقيتُ على نفسي بعض هذه الألقاب، فهي غالباً من الناس الذين يقدمونني في برنامج أو مقالة عرض أو تعريف، إلا أن

تكون إجابة عن سؤال الانتماء أو الاستقلال، وليس الاستقلال ادعاء، فله حسناته وله سيئاته، لأن من وجد حزباً يروّج له ليس كمن لا حزب له، بل تجد الصغير يكبر إن كان في جمع، والضعيف يعز إن كان له رهط، والباطل يعلو إن كانت له قوة من مال وعدد، والحق يخفت إن قل الناصر.

أما الانتماء للأحزاب؛ فإن الأحزاب العتيقة لا تقبل المفكر والمبدع، بل تشترط في العضو أن يكون: «تابعاً مقلّداً أو من يكاد أن يكون بليداً»، ثم تلطّف هذه الأوصاف بإنعامهم عليه بألقاب من مثل: «الملتزم والمستقيم والمنهجي والمطيع»؛ لأن المبدع غالباً يكون قادراً على هدم بناها وإعادتها، وعندما يبدأ عملاً أو مؤسسة جديدة؛ فإنها تحتاج للتقليدية والانتظام والاستقرار الإداري، وهنا سرعان ما تبتلع المبدع أعماله الناجحة، وتجعله كادراً منسجماً، وإن خالف التزامات النسق الإداري وأقلقها أو اتهم بالفوضى والفردية، فالمفكر أو المبدع كثيراً ما يكون فرديّاً متقلّباً وقلقاً على المؤسسة، ولهذا إن أراد النجاح لمؤسسته فعليه أن يبتعد عن البُنية التي تحتاج إلى الاستقرار والاستمرار، ويجلب لها الأكثر هدوءاً والأشجع الأصبر على التجديد الهادئ.

وقد كتبت قديماً عن نموذج الثائر المبدع المرهق للنظام الذي يصنع في مقال: (الترابي والخميني جدل الدين والسياسة).

■ **هناك الكثير من المفكرين الذين يصفون أنفسهم كذلك بأنهم مستقلون، لكن في الواقع هم بخلاف ذلك.. هل الالتزام بالاستقلالية أمر صعب؟.**

بحسب وصفك فهم مثقفو حزب أو مروجون لجماعة أو مذهب، ولا

ينطبق عليهم وصفهم لأنفسهم ولا وصف الناس لهم، أما الاستقلالية الثقافية والفكرية فلن تجد عاقلاً يزعم استقلاله التام في كل آرائه، لأن هذا خارج قدرات الإنسان أيّاً كان.

■ كيف تنظر لتجربتك في رئاسة التجمُّع الإسلامي في أمريكا الشمالية بعد مضي نحو سبع سنوات من هذه التجربة؟.

لم يزل التجمع قائماً ـ رسميّاً على الأقل ـ ولو على ضعف كما أصاب غيره من المؤسسات، ولم تزل مؤسسات تفرعت عنه كبيرة وتعمل بكفاءة، وأرجو أن يستمر لها ذلك.

أما الجانب الشخصي فإن ما أفدته ثقافيّاً وإداريّاً من مؤسسات أقمتها أو ساعدت في إقامتها أكبر من أن أصف ومن أن أختزل في مقاطع يسيرة، وما أحسن أن ترى فكرة تحيا وتسير وتنفع وتظلّ وتقلّ، وقد كان لك أثر في بنائها، وهي أحسن عندما لا تدرك بعدها ولا يعرف أحد دورك فيها، ولكن أنانية الإنسان وضعفه يدخل النقص على الأعمال.

■ لماذا لا نلحظ تغيراً يُذكر في طريقة تعامل أمريكا مع العالم الإسلامي على الرغم من تعاقب حكومات كثيرة للديمقراطيين والجمهوريين؟.

تأتي المشكلة من عدة جوانب: أولها الثقافة الاستعمارية؛ حيث النظر الثقافي الرسمي للطبقة الغالبة المتنفذة هي رؤية إلى مستعمرات وأرض ذات خيرات يسكنها من لا يستحقها كرأيهم في الهنود الحمر، أيضاً لم توفق مجتمعاتنا في رجال وأحزاب وجماعات ذات همة تترفع على الصغائر وتبني دولاً، فبقينا عشائر وأفراد لا تستحق تقديراً ولا مكاناً عالميّاً، ثم اتهام هذه الشعوب بالتخلف، وتبرير ذلك لاحقاً بالداروينية التي تضع

من قدرات الملونين العقلية، ثم تعلقهم بالصهاينة كقاعدة إخضاع وترويع للمتمردين على مصالحهم.

في زمن الصحوة الدينية في المجتمع المسيحي الأمريكي سيطرت مجموعات أخيراً أكثر تطرفاً وخرافية، تؤمن كما سمعتم في خطبة بوش في الكنيست بالشعب المختار، ووحدة الدين، ووحدة الخبرة في الهجرة المتشابهة بين الأمريكان واليهود، وهذا يعني الإبادة والتطهير للسكان القدماء، وقد كان سكان أمريكا عشية الغزو الأوروبي ثلاثين مليوناً، ومع بداية القرن العشرين بلغوا خمسمائة ألف، وكانت نسبة سكان فلسطين من الصهاينة عند التطهير العرقي للفسطينين (١/٥) واليوم أصبح الفلسطينيون في الداخل قريباً من: (١/٥) أي عكس الرقم.

وقد كان هناك نقاش صريح بين محمد أسد وحاييم وايزمن حول هذه القضية، فلما استنكر أسد مشروع هجرة اليهود والتطهير للفلسطينيين لكونه ليس إنسانيّاً أعرض عنه وايزمن مستغرباً عقله.

والصحوة الدينية المسيحية اليوم بدأت تستعيد جرائم التاريخ ومعضلاته، ثم جوارنا ومصادماتنا الدائمة.. أضف لهذا جهود المبشرين بالتبعية، الذين يبشرون ويدأبون على استمرار الإلحاق لكل مصالحنا بمصالحهم.

■ إلى أي مدى استفدتم من الغرب؟ أخذتم منه أم هو أخذ منكم؟.

حياة الإنسان الفاعلة في أي مجتمع تبادل وعطاء، والذين يحبون اللوم والقول بأن الإقامة في مجتمع آخر وبخاصة إذا كان متقدِّماً إداريّاً وسياسيّاً وتقنيّاً هي أخذ وفقدان، قد يكون بعض هذا صحيح، ولكنهم لا يفكرون كم أضاعوا هم في مسايرة وتثبيت أو إقرار التخلف والضعف والجهل والتبعية، ثم يلومون من عرف، ليؤكدوا أن جهلهم كان خيراً وأبقى.

■ هل تتفق مع من يرى أن هناك عملاً دؤوباً يتم في الخفاء لإيجاد نوع من القابلية (للاستعمار) الثقافي في العالم الإسلامي، والقبول بهيمنة الدول الكبرى من خلال التعليم والإعلام؟.

نظرية القابلية للاستعمار لمالك بن نبي قد تكون قديمة، إذ لم يعد سرّاً ما نقرؤه اليوم من الحرب الفكرية وحرب الأفكار في العالم الإسلامي، وهو شعار رفعه اليهود في الإدارة الأمريكية والليبراليين من خارجها، فلم تزل جرائد ومجلات وكتب أجنبية تلح على حرب الأفكار، ولم يعد ذلك سرّاً يتهامس به مثقفون، فهو طرح معلن صريح، وهم يظهرون مسألة الحرب على الإرهاب، والحقيقة أنها الحرب على الاستقلال وعلى حرية المسلمين، وعلى ثروتهم وأرضهم وعقولهم وعواطفهم، مع تحريم الحرية عليهم، ولعل كتابي جون بلجر «الحرية في المرة القادمة» وكتاب فؤاد زكريا عن: «مستقبل الحرية» صريحين في ضرورة تحريم الحرية على المسلمين، وإبقائهم مستعبدين فقراء أذلاء رهن العبودية للغرب عبر وسطاء.

وأقامت الحكومات العربية فضلاً عن الغربية مؤسسات ووسائل إعلام تؤكد رسالة الاستعباد والخضوع، ومحاربة أفكار السيادة الذاتية أو مشاركة المواطنين المسلمين في تقرير مصيرهم ورعاية حقوقهم.

■ يُلاحظ في كتاباتك نوع من الحدة بخلاف شخصيتك التي تجنح إلى الهدوء.. هل تعبِّر كتاباتك عن غضب مكبوت؟.

هذه التهم تقال وتلقى غالباً على من يخالف التيار الرقيق الأنيق العام، المتكلف لأساليب توصيل الفكرة بحيلة ورقة، حتى لا يجرح مشاعر المخالفين، وهذه قضية فيها مبالغة وقتل للفكرة، أرى أن تقال الفكرة بأحسن وأصوب وأقوى ما يمكن احتراماً للمستهلك للأفكار.

فالفكرة الخجلى لا تحتملها كل الظروف والمواقف، وليست لائقة بكثير مما نتحدث عنه في مواجهة الإرهاب والاحتلال والنفاق؛ كيف وفي القرآن صرامة ووضوح ضد أراذل المجتمع ورذائله، ألم تقرأ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١١ ـ ١٣]، وإني لأشفق على الذوّاقة الرقاق الناعمين أصحاب ثقافة «الآخر» التي لم يعرفوا بعد معانيها من سماعهم لهذه الآيات.

وقد كانت التهمة بالحدّة سلاحاً يشهره المخالفون إن أرادو إسكات صوت أوضح أو أعلى أو أدق وأصوب، فقد اتهم بذلك ابن تيمية، وعلى التلفاز الأمريكي سمعت مناقشاً يتهم تشومسكي واصفاً له بـ «الرجل الغضبان»، ورمي الشخص بهذه العبارات محاولة سخيفة لسلب القيمة الفكرية لما يقول وما يكتب، فيهرب من صلابة الحقيقة أو الفكرة إلى هدم الشخص آملاً في إلحاقها به.

■ كذلك يلاحظ أنك لا تكتب بشكل راتب؟.

الكتابة عندي مرهقة، وأنشر قليلاً مما أكتب، أؤخر بعضه لأنه قد لا يناسب، أو لأنه أليق بكتاب، لأنه يثقل على القارئ السريع، وأحياناً أحرص على النوعية فتقل الكمية.

■ إذا وُضعت في موقف الاختيار بين الديموقراطية القادمة من الغرب والديكتاتوريات الموجودة حاليّاً في عالمنا الإسلامي.. ماذا ستختار؟.

اللهم لا مقارنة؛ كيف تجرؤ على المقارنة بهذه الطريقة؟ هل نسيت أنك سميت واحدة بالديكتاتوريات؟ إنها كالمقارنة بين الحمار والسيارة، أو بين الطائرة الورقية التي يلعب بها الأطفال وبين الطائرة النفاثة.

■ موقفك من النظر إلى الأمور من الجانب (العقدي) أثار الكثير من الجدل إبان الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان.. ألا ترى في العقيدة أمراً حيويّاً في مسائل السياسة؟.

من الغريب أن هناك من اعترض على المقال «خداع التحليل العقدي»، بل وللأسف هناك من شكك في الفكرة لاحقاً، وجوابي: إنه لو أعطى بعض الناقدين لنفسه وقتاً واهتماماً لما وجده أبداً يخالف صريح المعقول ولا صحيح المنقول، راسخاً في منهجيته منضبطاً في علميته، وما كتبته كان من البدهيات المعرفية، ويبدو لي أن الضجة والمخالفة لما قلت جاءت بسبب غرابة الميدان على الناقدين، فقد كانوا يقرؤون التفصيلات والأخبار السياسية منفصلة عن تقييم المواقف والعقائد وصلاتها المعرفية والمنهجية المتشابكة.

■ ما مشاريعك الفكرية القادمة؟.

لدي رسائل عديدة وكتب شبه جاهزة عديدة، أرجو أن أجد وقتاً لمراجعتها وإخراجها، منها كتاب عن: التجديد، وآخر عن: الحرية، وثالث قديم عن أقنعة الاحتلال، ومذكرات قارئ، وغيرها.



غسان بن جدو
.. مدير مكتب قناة «الجزيرة» بلبنان

القدس برس

أجرت صحيفة «القدس العربي» حواراً مع الإعلامي غسان بن جدو مدير مكتب قناة «الجزيرة» في العاصمة اللبنانية بيروت، وخلال اللقاء تطرَّق بن جدو إلى أسرار لم يكشفها من قبل تتعلق باستهداف إسرائيل لمقر مكتب قناة الجزيرة في بيروت أثناء حرب تموز (٢٠٠٦م)، وعن الاحتياطات الشخصية اللازمة التي يلجأ إليها. هنا الحوار:

■ أبدأ معك بسؤال عن تجربتك الشخصية، أنت الإعلامي الذي قابلت مقاتلين تابعين للمقاومة الإسلامية، كما تقابلت أيضاً مع سمير القنطار في حلقة خاصة معه في برنامج حوار مفتوح، ما هو جنس التشابه بين المقاومين اللبنانيين والمقاومين الفلسطينيين الذين تحاورت معهم في جنوب لبنان وقطاع غزة؟.

أنا أعتقد أن معرفتي بمقاتلي حزب الله في جنوب لبنان هي أكبر من معرفتي بمقاتلي كتائب القسام في قطاع غزة، أو بمقاتلي فصائل المقاومة هناك عموماً، والسبب بسيط جدّاً هو أنني على تماس مع

مقاومي حزب اللّه هنا في لبنان منذ سنوات طويلة، فأنا ألتقيهم وأتحدث إليهم، وجربناهم أكثر من مرة وأكثر من معركة.. بينما الإخوة المقاومون في حركة حماس وكتائب القسام قد عرفتهم لماماً ولم أعرفهم كثيراً، ولكن مع ذلك قد لا يكون حكمي علميّاً أو دقيقاً، وهو حكم أولي إن صح التعبير.

إذا أردنا أن نتحدث عن نوعية المقاتل فإن نوعية المقاتل اللبناني في الجنوب والفلسطيني في غزة هي متشابهة جدّاً إن لم تكن متطابقة، أما من ناحية الروح النفسية والشجاعة في الاندفاع نحو القتال والاستعداد للتضحية وحب الشهادة هذه أمور ذهنية موجودة عند مقاتلي حزب اللّه والقسام بتشابه كبير.

أما النقطة الثانية تتعلق بشخصية المقاتل غير الذهنية، فلدى الطرفين تدريب على المستوى بشكل كبير، وأنا لم أعرف مقاتلين من الجانبين كانوا في المعارك يحاربون هكذا في الحظ، فهم أناس يعرفون تماماً ماذا يفعلون وكيف يقاتلون.

على سبيل المثال: في رحلتي إلى غزة أنا من الأشياء التي وجدتها هناك ولم أجدها هنا في لبنان هي قضية القناصين، والأخوة في كتائب القسام اشتهروا بعمليات القنص أثناء حرب غزة، وقد ذكرتنا حركة حماس هنا بالتحديد بمهارات القنص القتالية التي برزت خلال الحرب العالمية الثانية، وإعلاميّاً برزت بشكل لافت قضية القنص لتشتهر حرب غزة بها، وأنا التقيت بالقناصين، فوجدت أنهم يتمتعون بقدرات عالية جدّاً، قدرة كبيرة على التركيز، وعندهم خبرة ماذا يفعلون، يعني ليس أنهم يجلسون هكذا وليقنصوا بالحظ، فعدد الجنود الإسرائيليين الذين تم قنصهم كان لافتاً.

أما في لبنان، فأنا أعتقد أن الإمكانات العسكرية لدى حزب اللّه

هي أعلى وأقوى، وأظن أن تدريبهم أعلى، وطبعاً هناك فرق بالتضاريس، فتضاريس الحرب في غزة تختلف عن تضاريس الحرب في لبنان، يعني الأرض في قطاع غزة هي أرض منبسطة، والقتال أصعب بصراحة من لبنان، لأنه في لبنان هناك جبال وأودية ومنحدرات ومرتفعات، فلا يستطيع المقاتل أن يناور، ولكن ما تميز به مقاتلو حزب اللّه في لبنان أنهم حتى اللحظة الأخيرة استطاعوا أن يطلقوا الصواريخ، لأن درجة النار التي أطلقت على لبنان شيء غير طبيعي، كما تعلم أن الأرض في جنوب لبنان قصفت بأكثر من مئة وسبعين ألف قذيفة وصاروخ، والمقاومون كانوا موجودين ولم يغادروا أماكنهم في حرب تموز، ومع ذلك عدد شهداء المقاومة لم يكن مرتفعاً، صحيح أن إجمالي عدد شهداء الحرب كان ما يقارب الألف ومئتين، ولكن عدد المقاومين الذين استشهدوا جراء القصف والقتال لم يصل إلى المئة، وعدد الصواريخ التي أطلقتها المقاومة كان ما يقارب الأربعة آلاف صاروخ، فانظر كيف عجزت إسرائيل عن مراوغة مقاتلي حزب اللّه هنا في لبنان حتى آخر لحظة.

■ **هل تعتقد أن صواريخ كورنيت التي حرقت دبابات إسرائيل في وادي الحجير بجنوب لبنان هي ذاتها متوفرة في قطاع غزة؟.**

نعم، حماس لديها هذه الصواريخ الحارقة لدبابات الميركافا كما هي صواريخ غراد التي أمطرت إسرائيل بها..

■ **ولكن هل استعمل صاروخ الكورنيت في حرب غزة كما في حرب تموز؟.**

كلا، استخدمت حماس صاروخ (بي ٢٩) فقط، وهي أيضاً قوية ضد الدبابات.

■ **هل تعتقد أن حماس امتنعت عن استعمال صواريخ الكورنيت الخارقة للدبابات كي تجعلها مفاجأة للحرب المقبلة؟.**

أنا أقول بأن إسرائيل انتبهت أن حماس تخبئ المفاجآت، وحتى على مستوى الصواريخ التي ضربت حماس بها إسرائيل، انتبهت الأخيرة أن لدى المقاومة الفلسطينية صورايخ مداها أبعد من تلك التي ضربت عسقلان وبئر السبع، يعني إسرائيل خشيت تماماً أنه إذا استمرت الحرب على غزة فإن مدناً كديمونا وتل أبيب قد تقصف، وبالتالي إسرائيل وجدت نفسها أمام مأزق أن دخول غزة سيكون ثمنه خسائر باهظة جدّاً أمنيّاً في الداخل وماديّاً داخل المعركة.. وأقول لك ولجمهور «القدس العربي»: إنني وجدت آثار عماد مغنية بقوة في قطاع غزة.

■ **هل بإمكانك أن تقول إن عماد مغنية كان يدرب كتائب القسام يوماً ما في قطاع غزة؟.**

لا، لا أقدر أن أؤكد ذلك، ولكن ما أقصده أن نوع التدريب وقضية الأنفاق والخنادق في غزة كلها هي آثار عماد مغنية، وما أؤكده لك ولأسرة «القدس العربي» أن أعداداً كبيرة من عناصر كتائب القسام والتي قاتلت باستئساد أمام الجيش الإسرائيلي في حرب غزة، كانت قد انتقلت إلى لبنان وتلقت تدريبات من نوع عالٍ في جنوب لبنان على أيدي قياديين من حزب اللّه، وبعدها بالتأكيد عادت هذه العناصر إلى قطاع غزة وحاربت بشراسة أثناء الحرب الأخيرة.

■ **ماذا عن الجبهة اللبنانية الداخلية، كيف ترى الصف المسيحي بقيادة الجنرال عون وراء السيد حسن نصر اللّه في حال اندلاع حرب ثالثة على لبنان؟.**

في المرة المقبلة سيكون كما في العام (٢٠٠٦م)، موقف الجنرال

عون سيكون شريفاً شامخاً مع المقاومة، ولكن هذه المرة دوره سيكون أكثر فعالية، ليس بالضرورة أكثر فعالية على مستوى القتال، ولكن أكثر فعالية على مستوى السياسة، يعني الحرب المقبلة ستكون حرباً عسكرية شرسة، وحرباً سياسية شرسة أيضاً، وهناك أطراف سياسية داخلية ستكون ضد حزب اللّه ولن تسكت إذا ما اندلعت الحرب. في عام (٢٠٠٦م) وجدت حرجاً، لكن في الحرب المقبلة سيكون موقفها علناً والجنرال عون سيلعب دوراً أساسيّاً من خلال وقوفه ضد الأطراف المضادة لحزب اللّه، وهذا على المستوى السياسي.

■ أريد أن أسألك سؤالاً شخصيّاً وقد طرأ هذا السوال في الحقيقة على ذهني كثيراً: أنت من الصحافيين المكروهين لدى إسرائيل خصوصاً أنك على تماس مع السيد حسن نصر اللّه، وأيضاً لأنك ذهبت إلى غزة بطريقتك؛ ألا تخشى في أي حرب مقبلة ضد لبنان أن يستهدف الطيران الإسرائيلي بالقصف مقر قناة الجزيرة في بيروت بهدف القضاء عليك؟ ما هي احتياطاتك؟.

بصراحة أقولها لك ولأسرة «القدس العربي»: إنني لا أمتلك احتياطات شخصية، وأنا بصراحة أقول: إن الموساد الإسرائيلي أراد أن يختطفني في حرب تموز في الليلة التي قابلت بها السيد حسن نصر اللّه، ولكن العملية لم تتم، وبعد أيام ـ وهذه القصة أقولها لأول مرة ـ أننا اكتشفنا والحمد للّه خطة إسرائيلية لقصف قناة الجزيرة في بيروت، ولكن لم تنجح بحمد اللّه، لأن العملاء الذين كانوا يريدون هذا الأمر وضعوا إشارات فسفورية على مقر قناة الجزيرة هنا في بيروت، وهذه الإشارات ذاتها كان يضعها العملاء على مبانٍ معينة في الضاحية وغيرها لتعطي

إشارات ليزرية ليتم قصفها من قبل الطيران الإسرائيلي أثناء الحرب، فنحن اكتشفنا هذه الإشارات بسرعة، وزميلنا العزيز في قناة الجزيرة الأخ عصام مواسري هو من الذين طاردوا العميل الذي وضع الإشارات، ولكن العميل هرب؛ لأنه كان هناك عميل آخر ينتظره على دراجة نارية وكلاهما لاذا بالفرار، ونحن وضعنا سائل ماء فوراً على هذه الإشارات الفسفورية حتى تختفي.

فيما يتعلق بدخولي إلى قطاع غزة انزعج الإسرائيليون من دخولي، لأنك كما تعرف كان هناك فيتو على دخولي إلى قطاع غزة للأسف، ولكن بعد ذلك أنا دخلت بطريقتي.. وأنا فهمت أن إحدى القنوات الإسرائيلية بث برنامجاً تلفزيونيّاً تحليليّاً عني شخصيّاً، ووضعوا صوري ودخولي إلى غزة، وعبر أحد المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين أن المدعو غسان بن جدو استهزأ بنا وبمخابراتنا، واستهزأ بمخابرات دولة عربية، وعيون مخابراتنا في قطاع غزة، ودخل وخرج وصال وجال وصوَّر، وذهب مع المقاتلين ولم نكتشف هذا الأمر؛ فنحن نعتبر هذا اختراقاً أمنيّاً كبيراً.

أنا أقول لك أخي العزيز وبكل صراحة: أنت تسألني: لماذا لا توجد الاحتياطات؟ أنا أعتقد أن أي طرف ما يريد أن يفجِّر أو يغتال فهو قادر على ذلك، وأنا في البداية كان لدي سيارة ما مع مرافقين للحماية، وبعد ذلك تصرفت بشكل عادي، لكن بقيت سنتين من دون عائلتي من العام (٢٠٠٦م) إلى صيف العام (٢٠٠٨م) لم أكن أعيش مع عائلتي.

وأنا أفصح وأكشف لك الآن ولـ«القدس العربي»، أنه في الحرب المقبلة كما قلت لزملائي ونحن نهيِّئ أنفسنا للحرب في المكتب، إنني لن أكون موجوداً في مقر مكتب قناة الجزيرة في بيروت، لأنني أعتقد أنني

سأستهدف، فلماذا أعرِّض مكتب الجزيرة للخطر؟ أنا سأكون موجوداً خارج المكتب، وسأعمل في مكان آخر، من دون أن أفصل المكان، ولكني سأكون موجوداً فيه لأعمل، إن بقينا على قيد الحياة، وبقيت في قناة الجزيرة.



د. عمار بكار
.. والقوة الكبرى في العصر الحديث

خالد الباتلي

الإعلام هو القوة الكبرى في العالم، وكل شيء يخطب ودَّه من سياسة واقتصاد، وحتى رجال الدين أصبح الإعلام جسراً لهم للناس كافة، ويوماً بعد يوم تتطور آليات الإعلام لتواكب وتسيطر أكثر.. برز في الآونة الأخيرة مفهوم الإعلام الجديد، ويعد الدكتور عمار بكار أحد أهم عرَّابيه في المنطقة، ومن خلال موقعه في «إم بي سي»، وجد فضاء متسعاً لفكرته وأطلقها في كل اتجاه.

عمار بكار إعلامي منذ صغره أصدر صحيفة وهو في السابعة من عمره، وتوالت بعد ذلك نشاطاته الإعلامية.. في مشواره تختصم الصفعات والقبلات، وفي نهاية المطاف يتغيّر كل شيء، ويبقى عمار مؤمناً ومبدعاً بإعلامه ونشاطاته.

هو دائماً ممسك بالعصا من الوسط، وفي المنطقة الرمادية يسكن أكثر، كل فريق يظن أنه معه، وهو مع نفسه أولاً وآخراً... إلى تفاصيل الحوار:

■ من كان ابناً للشيخ عبدالكريم بكار، هل نطلق عليه ولداً وفي فمه ملعقة من هدوء؟.

ربما تأثرت كثيراً بشخصية والدي، ولو كان والدي ديكتاتوريّاً في تربيته، لكنت في الغالب أصبحت نسخة مقلدة ضعيفة منه، أولاً لأنه رجل غير عادي، وثانياً لأن التقليد دائماً ينتج نسخاً رديئة، ولكن والدي أعطاني المساحة لأنمو بشخصيتي الخاصة بي، مع الكثير من التوجيه المباشر وغير المباشر.

■ طفولتك هل منحتك تصالحاً مع الجمال؟ أم جعلتك تعرف التعامل مع المعادلات الصعبة؟.

طفولتي كانت في بريدة، المدينة العظيمة التي امتزجت بدمي وتفكيري، على رغم محاولاتي الكثيرة للانفصال عنها.. لن أعتبرها مبالغة لو سميت بريدة بمدينة المعادلات الصعبة!..

■ ماذا جذبك في الإعلام، لتختاره تخصصاً لدراستك الجامعية؟.

عندما تختار تخصصك الدراسي، فينبغي أن تتبع قلبك، وهذا ما حصل. أحببت الإعلام منذ طفولتي، بل كانت أول مجلة أصدرتها عندما كنت في الصف الثاني الابتدائي، حينها أعددت مجموعة من النسخ باستخدام ورق الكربون، ووزعتها على أصدقائي الذين لم يفهم أحدهم ماذا أفعل.. تخرجت في الثانوية العامة من القسم العلمي بمعدل يزيد على (٩٨٪)، وقبلت في عدد من أقسام الهندسة، ولكنني فضّلت في النهاية أن أدرس الإعلام، وما زلت أشعر بالسعادة كلما تذكرت قراري هذا، كما أشعر بالامتنان للمساحات التي منحها لي والدي، الذي شجعني على خياري.

■ في أيامكم كانت للجامعة صولات وجولات؟ ما الذي سحب ذاك البريق منها، وأفقدها تلك النضارة؟.

كانت لبعض أساتذة وطلاب الجامعات قبل عقد من الزمن صولات وجولات أيديولوجية، وليست أكاديمية أو فكرية أو مدنية، وهذا النوع من الصولات والجولات لا أرثيه أبداً عندما يخفت أو يختفي.

■ دراستك في جامعة الإمام، هل أنت مخير فيها أم مسير؟.

حين اخترت جامعة الإمام كان لديها أفضل قسم إعلام بين جامعات المملكة، من حيث تجهيزاته الحديثة، ومن حيث مستوى أساتذته الذين عاد نسبة عالية منهم من الدراسة في أمريكا، وعلى هذا الأساس اخترت الجامعة للدراسة، إضافة الى كونها الجامعة التي عمل فيها والدي أستاذاً لأكثر من عقدين من الزمن.

■ كنت محرراً صحافيّاً مشاكساً، كيف استقبلك وسط جامعة الإمام؟.

لما كنت في السنة الثانية في الجامعة أصبحت سكرتيراً لتحرير «مرآة الجامعة»، ومارست فيها مشاغباتي الصحافية، وهذا أنتج الكثير من الرفض في أوساط المتشددين من طلبة الجامعة وأساتذتها.

وكنت في الفصل الأخير من دراستي الجامعية (في عام ١٤١٤هـ)، فتم منعي من الكتابة في الصحيفة، وتكوين لجنة لقراءة الصحيفة قبل طبعها والرقابة عليها، وصدور قرار أولي بفصلي من الجامعة، وتم التراجع عنه لاحقاً بوساطة مجموعة من مسؤولي الجامعة، الذين يعرفون أن ما كتبته كان جزءاً من مهنتي الإعلامية وليس لدي أي أجندة

أيديولوجية من أي نوع، وهي الوساطة التي كفلت في النهاية تكريمي أثناء حفلة التخرج بحكمي كنت الأول على الجامعة من حيث المعدل التراكمي.

■ لماذا طال مشوار دراساتك العليا؟.

بالعكس كان مشواري قصيراً، كنت أدرس ليل نهار بلا توقف، واستطعت إنهاء ساعات الماجستير والدكتوراه في أمريكا خلال أربع سنوات، ولكنني أخذت بعدها ثلاث سنوات في إعداد رسالة الدكتوراه؛ لأنني تمنيت لها أن تكون إنجازاً علميّاً جديداً من نوعه، والحمد للّه على ذلك.

■ ماذا منحتك أمريكا غير الشهادة العليا؟.

أمريكا مدرسة تتعلَّم منها كل لحظة بخلاف أوروبة أو كندا، في أمريكا تولد النظريات والأفكار المستقبلية، ويتم صناعة مستقبل العالم.. في أمريكا تعلَّمت أيضاً كيف تكون الجامعة مصنعاً للقدرات والتفكير وليس مجرد فصول دراسية لتلقين المعلومات.

■ كثرة محطاتك الوظيفية إلى ماذا تعزوها؟.

في مرحلة تأسيس الحياة العملية، لا أرى أن يبقى الإنسان في مكان ما إلا إذا كان ينمو فيه، لأن النمو في شكل يومي أساس ينبغي ألا يتنازل عنه أحد.. أنا تنقلت في ثلاثة أماكن بحثاً عن النمو، ثم استقر بي المقام في مجموعة (إم بي سي) منذ ست سنوات وما زلت حريصاً على الاستمرار فيها لأنها توفِّر لي هذا النمو اليومي.

الإعلام الجديد:

■ مفهوم الإعلام الجديد هل أنت عرابه في الشرق الأوسط؟.

لنقل: إنني كنت محظوظاً مع الإعلام الجديد، كما أنني آمنت به مبكراً جدّاً؛ ربما لأنني شهدت نشأته في التسعينيات في أمريكا، وكنت قارئاً نهماً حوله؛ لأنني كنت أكتب عموداً أسبوعيّاً عن الإعلام الجديد منذ عام (١٩٩٦م).

في عام (٢٠٠٠م) كنت محظوظاً؛ لأنني أسست أول موقع إخباري عربي مستقل (bab.com) والذي جاء قبل فترة بسيطة من إيلاف.

ثم أسهمت في بناء عدد من المواقع الكبرى، وقدمت برنامجاً إذاعياً عن الإنترنت، لينتهي بي المطاف في قناة العربية والتي كنت محظوظاً أيضاً لأنني أسست موقعها على الإنترنت، وكان مدرائي يعطونني المساحة والدعم والتشجيع لأنفذ أفكاري، وأنا الآن محظوظ لأنني أقود الإعلام الجديد بأنواعه (الإنترنت والموبايل والمحتوى الرقمي وغيره) لأكبر مجموعة إعلامية عربية، والذي جاء بثقة ودعم من رئيس مجلس إدارتها الشيخ وليد الإبراهيم.

هذا كله أسهم في وضعي ضمن المجموعة القليلة التي تسهم في تطوير الإعلام الجديد عربيّاً، وربما كنت أول إعلامي عربي وضع كلمة «الإعلام الجديد» في منصبه الرسمي.

■ الإعلام العربي هل يستوعب أبجديات الإعلام الجديد؟.

طبعاً لا، ولكن الإعلام العربي قاصر في أشياء كثيرة ويعاني على كل المستويات، والإعلام الجديد ليس استثناء.

الإعلام والغرب:

■ **لماذا خطواتنا الإعلامية دائماً مترجمة من الغرب؟.**

هذا ليس عيباً، لأن الغرب متقدم علينا في الصناعة الإعلامية، ولكن العيب عندما تكون لدينا عقدة التبعية، وعندما نقلد من دون وعي ومن دون بحث عن شخصيتنا الخاصة، وعندما لا يكون لدينا أبحاثنا ونظرياتنا ورؤانا الخاصة بنا، وهذا كله حاصل بكل أسف.

■ **التحاقك بال (أم بي سي)، هل كان المنعطف الأهم في حياتك؟.**

أم بي سي أعطتني كل شيء أريده على الصعيد العملي، ولكنها حرمتني من الحياة في المملكة، وهو أمر أفتقده كثيراً.

■ **هل تملكون الكاريزما لتقودوا دفة الإعلام الجديد؟.**

لا أعتقد أنني شخص يملك «الكاريزما» على كل حال!.

■ **منصبك هناك شرحه في (٨٠) كلمة، لماذا كل هذا الحمل؟.**

الإعلام الجديد أمر «جديد» ويحتاج إلى الشرح أحياناً، وكنت حتى آخر شهر إبريل من هذا العام أرأس تحرير موقع العربية نت مع إدارتي للإعلام الجديد في المجموعة، وهذا كله جعل «منصبي» معقَّداً قليلاً.

■ **تكتب في أكثر من صحيفة، ومناط بك جيش من المسؤوليات العملية، هل الضحية في هذا أسرتك؟.**

أنا أعترف بأنني أعمل أكثر من (١٢) ساعة يوميّاً، وبدأ هذا معي منذ أيام الدراسة لما كنت أحرص على التفوق، وفي أيام الدراسات العليا

كنت طالب دكتوراه وأدرِّس طلاب البكالوريوس في الجامعة، وأراسل مجلتي اليمامة والمجلة من أمريكا.

نتيجة ذلك كانت طبعاً التقصير في حق نفسي وأسرتي والأصدقاء والأعزاء الذي أتواصل معهم اجتماعيّاً بشكل محدود، وأنا محظوظ جدّاً وممتنّ جدّاً لأنهم يغفرون لي ذلك.

■ **الصحافة الإلكترونية ما تزال خاسرة تجاريّاً عندنا بعكس الغرب، لماذا؟**

الصحافة الإلكترونية بالطريقة التي تأسست في الغرب تقوم على الإعلانات، وسوق الإعلان عندنا عموماً يعاني من مشكلات متعددة، ولكن هناك نمو ممتاز على رغم الأزمة الاقتصادية العالمية في حجم الإعلانات على الإنترنت، وبعض المواقع صارت مربحة فعلاً.

■ **صحفنا الورقية، هل تحتاج إلى إنعاش أم قسطرة، أم تقطيع معدة؟.**

الصحافة الورقية تعاني في كل مكان في العالم، ولكن بشكل عام، المادة الصحفية العربية يزداد ضعفها مع الأيام، وهو أمر مستغرب لأنك تتصور مع المنافسة أن يتحسن مستوى الصحف.. الصحافة الورقية يجب أن تراهن في رأيي على المادة الممتعة المكثفة القريبة من اهتمامات الجمهور، وعلى الخدمات المعلوماتية، ولكن الرهان المستقبلي لن يكون للورق بكل تأكيد.

الإعلام والسياسة:

■ **الإعلام والسياسة يخدمان بعضهما كثيراً ويحفران لبعض أكثر، ما رأيك؟.**

أصبتني بهذا السؤال في مقتل، لأنني أتألم لما أرى وضع الإعلام

اليوم الذي ابتعد تماماً عن الموضوعية والحيادية، وصار جزءاً من المعارك الأيديولوجية والسياسية والشخصية في كل بلد عربي!.. لا يوجد بكل أسف إعلام يعتمد عليه القارئ العربي في تقديم المعلومة من دون ألوان، وهذا في رأيي خسارة كبيرة، وأحد آلام الإنسان العربي، والثمن سيدفعه الجميع، لأن الإعلام إذا فقد مصداقيته لدى الجمهور فهو لن يستعيدها بسهولة، وسيلجأ الجمهور لأساليب أخرى لتحصيل المعلومات قد لا يمكن التحكم فيها وفي آثارها السلبية؛ مثل: المنتديات والمدونات وغيرها.

■ دراستك في أمريكا كانت عن الحملات السياسية على الإنترنت، هل تشعر أن الإنترنت الصوت الأقوى لوصول السياسي؟.

بالفعل كان مجال دراستي في الماجستير الحملات الانتخابية، وكتبت رسالتي عن استخدام الإنترنت في الحملات الانتخابية، وأعتقد أن الإنترنت يزداد تأثيره في شكل سريع جدّاً في نشر الرسالة السياسية بشرط ألا يشعر الجمهور بأن السياسي يحاول استغلالهم، لأن الجمهور تعوَّد على أن يكون الإنترنت بعيداً عن تحكم السياسيين.. أوباما كتب فصلاً جديداً في استخدام الإنترنت في شكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث وأصبح رئيساً لأمريكا.

■ كيف تقرأ خطابات أوباما للعالم العربي والإسلامي؟.

الديمقراطيون بشكل عام ومنهم أوباما وقبله كلينتون وكارتر يؤمنون أن مصالح أمريكا تتحقق ببناء العلاقات الإيجابية، وطبيعي بعد التدمير الذي أحدثه الجمهوريون خلال ثماني سنوات أن يبذل أوباما جهداً خاصاً

في الوصول للعالم الإسلامي، وخاصة أن خلفيته العرقية تجعله يفهم هذا العالم أكثر من الرؤساء السابقين. المشكلة أن العرب لم يستفيدوا يوماً من أي من الفرص السياسية التي تتوافر لهم من الغرب، وهم يتخبطون، بينما الإسرائيليون ساسة الفرص يضحكون سرّاً وعلناً من جهلنا.

■ إدارة الإبداع في المؤسسات الإعلامية عندنا هل تجد مناخاً صالحاً للنمو؟.

أول كتاب لي كان بالإنكليزية عن إدارة الإبداع في المؤسسات الإعلامية، وهو إعادة تحرير لرسالة الدكتوراه، ومقارنة إدارة الإبداع في مؤسسات الغرب مع مؤسساتنا يسبب إحباطاً حادّاً وآلاماً خاصة.. الإبداع هو سر نجاح المؤسسة الإعلامية، ولكن مؤسساتنا ـ إلا القليل منها ـ تتفنن في قتله بمختلف الطرق!.

■ هل تشعر بأن فضاءنا الإعلامي له فلسفة خاصة في مؤسساته أم هي فوضى وبالبركة؟.

بعض المؤسسات تطور نفسها وتحاول الالتزام بنظام وفلسفة واستراتيجية، وأنا لا ألومهم إذا فشلوا، فمعظم القطاع الإعلامي لم يتلقّ التعليم اللازم ليستطيع الالتزام بفلسفة ما.. وضع الإعلام في رأيي مؤلم بسبب ندرة المهارات البشرية المميزة.

■ انشغالك بقضايا الإصلاح والتطوير في العالم العربي.. ألا يزيد من إحباطاتك؟.

لا يمكن لشيء أن يزيد من إحباطات الإنسان العربي، فنحن قد وصلنا

قاع الإحباط منذ زمن طويل، أنا فقط أحاول أن أشعل شمعة بدلاً من أن ألعن الظلام.

■ (١١) سبتمبر هل ضيق عليك مساراتك العلمية؟.

تجربتي هي بعكس ما يتحدث عنه الناس، فقد تعاطف معي أساتذتي وزملائي بشكل يشبه الخيال بعد (١١) سبتمبر، حتى إن عميد الكلية في أمريكا استحدث يوم الاهتمام بالعرب في الكلية مع أننا كنا اثنين من العرب فقط.. لا أعرف إذا كان الآخرون الذين يتحدثون عن اضطهاد الطلبة العرب يبالغون أم أنني كنت محظوظاً (أم الاثنين معاً!).

■ مشروع «برنامج ١١ سبتمبر للإعلام والبحث العلمي»..ماذا تم؟ وماذا لم يتم؟

هذا المشروع استمر لمدة عامين فقط، وكانت فكرته طموحة تقوم على محاولة إحداث أثر إيجابي في الغرب لتقليل الآثار السلبية للحدث، وبالفعل صدرت موسوعة (١١) سبتمبر باللغة الإنكليزية والتي أشرفت فيها على فريق من الباحثين الذين قدَّموا دراسات مميزة ونادرة لرد الفعل العربي بعد (١١) سبتمبر، كما أصدرنا فيلماً وثائقيّاً عن (١١) سبتمبر فاز بجائزة أحسن إنجاز مهني ـ وذلك باللغة الإنكليزية ـ عن مبادئ الإسلام، ثم بعد ذلك توقف المشروع، والكثير طبعاً لم يتم.

■ كيف تقرأ دعاوى المقاطعة مع الغرب؟.

لي رأي خاص في هذا الموضوع، كثيراً ما يساء فهمه.. أنا لست ضد إرسال رسائل الغضب إلى الغرب، ولكن المشكلة أن طاقة الإنسان لتنفيذ

أعمال إيجابية محدودة، ولا أحب أن تضيع هذه الطاقات في أعمال جدواها قليلة جداً إن وجدت.

أنا أيضاً لا أحب أن نرسل رسائل الغضب ونحن لم نشرح أنفسنا يوماً للغرب بما يكفي.. تصرفاتنا تشبه تماماً تصرفات شخص غاضب في الشارع ويضرب من يقابله من الناس من دون أن يعرف الناس القصة والسبب، ومن هو هذا الشخص أصلاً.

■ عندما سخر الكاريكاتير من النبي محمد ﷺ ألم يكن في الإمكان استثمار ذلك الحدث كما يجب؟.

لا أظن، وهناك من حاول، والأثر محدود.. هناك القليل جدّاً مما يمكن فعله في المواقف السلبية، كان الأجدى في رأيي أن نضع خطة طويلة المدى لنحقق أهدافنا كمسلمين وعرب بدلاً من ردود الفعل العشوائية وغير المدروسة.. لقد انتشرت رسوم الكاريكاتير في كل مكان بسبب حملاتنا، والغريب أن هذه الرسوم ما زالت تنشر وتزداد كجزء من تحدي الغربيين لنا، ولكننا ضربنا ضربتنا في أول مرة ثم انشغلنا بحياتنا.

■ تجربة التدريس في الجامعة لماذا غادرتها مبكراً؟

درّست في الجامعة الأمريكية في الشارقة لمدة سنتين، وكان ذلك أثناء عملي في (MBC)، ولكن الأمر صار مرهقاً جدّاً لي، ولم أعد أستطيع الاستمرار، وربما كنت أتحسر كثيراً على بعدي عن الحياة الأكاديمية، لكن الإنسان له طاقة محدودة، والعمل الإعلامي أقرب إلى نفسي من التدريس على كل حال.

الإنترنت والتفاعلات:

■ لماذا تعاملنا مع «النت» يتم في إطارات مريضة؟.

«الإنترنت» يشبه الدولة التي ليس فيها حكومة ولا شرطة، ويتصرف فيها كل شخص كما يشاء.. هذا أسهم في أن نتعرف على أنفسنا أكثر، وندرك أننا شعوب متخلفة حقّاً.

من جهة أخرى، أنا متفائل بأن الإنترنت قد يكون الساحة التي نقود من خلالها مسيرة تطورنا في يوم من الأيام، وأرى كل يوم نماذج رائعة من الناس على الإنترنت.

■ أي التفاعلات الاجتماعية استطعت صنع معادلات لها كفيلة بعدم الانفجار أو الذوبان؟.

كتبت كثيراً عن «التغيير الاجتماعي»، وأنا شديد الاهتمام به، ولكن عالمنا العربي معقد جدّاً، ومن الصعب على أحد أن يدَّعي خلق مثل هذه المعادلات.

■ الصحوة الإسلامية كادت تستولي على كل تفاصيلك.. لكنك لم تستسلم لها كليّاً.. ما هي معادلتك في التعامل معها؟.

الصحوة الإسلامية كانت محاولة نحو التغيير الإيجابي، ولكنها عانت من أمرين أساسيين: سيطرة العاطفة، وسيطرة الاتجاهات الأيديولوجية على حراكها الداخلي، وأنا أكره كلا الأمرين.

■ الكل يعتبرك محسوباً عليه.. الإسلاميون والليبراليون والآخرون.. هل هذا ذكاء منك أو غباء منهم؟.

هذا يعني أنني رمادي في أوساط تحب الأسود والأبيض فقط.

■ ظاهرة انتشار المشايخ في الإعلام.. هل هي ظاهرة صحية؟.

طبعاً، أنا أؤمن بأن التوجيه الديني يجب أن يأخذ الشكل الإعلامي والتلفزيوني حتى يمكن تقويمه ونقده وتطويره، بدلاً من أن يكون حبيس المساجد والمطبوعات والأشرطة.. أنا أعتقد أن الكثير قد تغيّر منذ أن اقترب الوعظ من شاشة التلفزيون الحارقة.

■ في ظل سطوة الإعلام.. ألا تشعر بأن مسار الفتوى حاد عن الطريق؟.

ليس هناك مسار للفتوى، لأنه لا توجد نظرية واضحة لدى صنَّاع القرار والعلماء والناس حول تعدد الفتوى ودور الفتوى في حياتنا، هناك آراء كثيرة مطروحة، والناس تتعامل معها بعواطفها، والأقوى ينتصر بفتواه، بينما الفقه الإسلامي لا يتقدم أبداً من ناحية التدوين والأصول، هذا رأيي على الأقل، وأنا شخص غير متخصص.

■ «اليوتيوب» و «الفيسبوك».. هل هما السلطة الخامسة؟.

الناس هم السلطة الخامسة، الصوت الجماعي، الذي كان في أحسن الأحوال يختار من يمثله في السلطة التنفيذية، ويحاول إيصال صوته إلى السلطة الرابعة.. الإنترنت حوَّل الناس إلى صوت عالٍ يسمعه الجميع، ولا يمكن تجاهلهم أو التلاعب بآرائهم.. لقد غيَّر الإنترنت العالم إلى الأبد.

■ العرب الأكثر زيارة للمواقع الكبرى.. بماذا يعودون من زياراتهم تلك؟.

أعتقد أننا نتعلم قليلاً، ونلهو كثيراً!..

■ عندما تقرأ التعليقات على المواضيع التي تنشر في «العربية نت».. هل ترثي الحال أم ماذا؟.

كتبت مرة مقالاً انتشر على الإنترنت بعنوان «المنتديات فضحت عوراتنا وتركتنا نغرق».

لما كنت أرى التعليقات، كنت أقول لنفسي: إما أن الذين يعلقون هم أسوؤنا، أو أننا شعوب سيئة جدّاً، ولكنني مع الزمن صرت مقتنعاً بأن عوراتنا انكشفت، وأننا نعاني من تخلف واسع كمجموع، وللأسف فإن هذا التواصل غير الحضاري بين العرب عبر الإنترنت يسهم في سوء الموقف ولا يحسّنه.

■ تعليم الحقيقة هل يؤدي للبلادة؟.

أنت استنبطت السؤال من مقالي «تعليم الحقيقة يؤدي للبلادة»، وهذا معناه أن التلقين وتعليم الطلاب على أن هناك وجهاً واحداً للحقيقة يؤدي إلى نتائج سلبية كثيرة؛ منها البلادة.. كتبت كثيراً في تطوير التعليم، وآخرها ثلاث مقالات قاسية في صحيفة «الاقتصادية» أثناء رمضان، وهي ثلاثية وجدت مَن أحبَّ ما فيها، كما لقيت كثيراً من النقد.

■ لماذا حل المشكلة أحياناً يزيد من مشكلاتنا أكثر؟.

لأن المشكلة أحياناً هي في طريقة التعامل معها وفي طريقة تفكيرنا، وطريقة تحليلنا للأسباب وجذور المشكلة، وطريقة تنفيذ الحل، وفي عبثنا اليومي الذي لا ينتهي.

■ الاشتباك الثقافي العربي متى سينفض؟.

أرجو ألا ينفض أبداً، لأن الاشتباك الثقافي هو ظاهرة إيجابية، بخاصة

عندما يبحث المشتبكون عن مصلحة الثقافة بدلاً من مصالحهم الشخصية، وهذا ما آمل أن يحصل يوماً!.

■ **حذاء منتصر الزيدي هل هو شهادة تخرُّج لمشروع الحرية في العراق؟**

لا أظن أنني سأجرؤ أن أنتقد علناً الحذاء الذي توجه نحو بوش، ولكن مشروع الحرية في العراق فشل بكل أسف، لأن الحرية تؤخذ وتبنى ويتشربها الدم والفكر والروح، ولا تعطى.. كانت فرصة أخرى وضاعت!..

■ **لماذا تصرُّ دائماً على أن تخبرنا بأن كل شيء سيتم إلكترونيّاً..؟.**

لا أصرُّ على ذلك، بالعكس كنت متحفظاً على طريقة تنفيذ مشاريع الحكومة الإلكترونية، ولكنني أؤمن بأن العالم يزداد اعتماده على التقنية يوماً بعد يوم، وسيصل إلى مستوى من الاعتماد لدرجة أنه لا يمكن تخيل أي شيء خارج هذا الإطار.. هذا عموماً يحصل بأسرع مما تخيل البشر بسبب ثورة الموبايل، هو واقع وليس أمنية.

■ **دخلت الصحافة من باب الكتابة، ثم عدت لها رئيساً للتحرير؛ ما الفرق بين البابين؟.**

بالعكس دخلت الصحافة لما كان عمري (١٧) عاماً من أبواب مكتب جريدة عكاظ في أبها، وكنت أصغر صحافي متفرغ في الشركة السعودية للأبحاث عندما كان عمري (٢١) عاماً، ولم أبدأ بالكتابة إلا بعد ثماني سنوات من احتراف الصحافة.. أعشق الصحافة وستبقى في دمي إلى الأبد، وأعشق دائماً أن أجلس وأكتب خبراً أو أجري حواراً أو أخطط لتحقيق ما.

■ **لماذا تصبح رؤانا من الخارج أكثر هدوءاً؟.**

ربما لأنك تستطيع أن تشاهد الملعب من مقاعد المتفرجين بشكل أفضل مما لو كنت داخل الملعب، بخاصة عندما يكون الملعب كبيراً بحجم الوطن.

■ **يصرُّ البعض على أن موقفك من المرأة غير واضح، أو بالأحرى تصر على أن تجعله رماديّاً بعض الشيء.. ما رأيك؟.**

أظن أننا كلنا رماديون بشأن المرأة، ولا أحد منا يجرؤ على التعبير عن رأيه، كثير من الرجال يحتقر المرأة ولا يجرؤ على إعلان ذلك، بل يبطنه برؤى ثقافية وفكرية وفقهية، وهذا يشمل طبعاً أولئك الذين يريدون استغلال جسد المرأة، وبعضنا يؤمن بحق المرأة في الوجود كإنسان، ولكنه يخاف من الأغلبية المتشددة أو الشهوانية.. من الصعب جدّاً تحدي الذكور حتى لو كنت منهم!..

■ **كيف تقوِّم أداء المرأة العربية خارج أسوار البيت؟.**

المرأة ضحية أوضاع ساهمت في خلق جموع من النساء الذين يعانين من مجموعة معقدة من الأمراض، وساهمت كذلك في خلق جموع نسائية تحاول تحدي هذه الأوضاع.. عموماً لا زالت القصة في بدايتها، وما زال الأمر مبكراً على التقويم، ويعتمد الأمر على أي امرأة، في أي بيئة، مع أي ذكور تعمل!..

■ **لك فلسفة خاصة في الحب؛ هل هي مبشرات للحب الجديد على نسق الإعلام الجديد؟.**

كتبت كثيراً في الحب؛ لأنني كنت أحاول فهمه والتعرف عليه، ولكنني

عدت من رحلتي هذه كما بدأت! الحب لغز عظيم، ولعل جماله يكمن في غموضه.

المشكلة الأساسية أن هناك من يحب بلا حدود، وهناك من يدَّعي الحب حتى يحقق أغراضه، ثم يختلط الحابل والنابل، ويكون العاشق الصادق هو الضحية.. هذا واقع عالمي بالمناسبة وليست له استثناءات.

■ سيرة ذاتية...

١ ـ الشهادات العلمية:

ـ حاصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من قسم الإعلام بجامعة أكلاهوما الأميركية إذ تخصص في مجال الحملات الانتخابية السياسية على الإنترنت وفي مجال إدارة الإبداع في المؤسسات الإعلامية.

٢ ـ العمل الحالي:

ـ المدير العام للإعلام الجديد بمجموعة MBC.

٣ ـ الخبرات العملية:

ـ أسس موقع باب.كوم (bab.com)، والذي يعتبر أول موقع إخباري عربي مستقل ظهر للساحة عام (٢٠٠٠م).

ـ شارك في تأسيس عدد من المواقع والبوابات على الإنترنت كمدير تنفيذي للشركة العربية لتقنية المعلومات بالرياض.

ـ انضم لقناة العربية في دبي في عام (٢٠٠٣م).

ـ عملَ أستاذاً متعاوناً في قسم الإعلام بالجامعة الأمريكية في الشارقة عام (٢٠٠٥م).

ـ عملَ مديراً لمشروع «برنامج ١١ سبتمبر للإعلام والبحث العلمي» في الرياض، اذ أشرف على إعداد موسوعة «١١ سبتمبر: رؤية عربية»،

وعلى إنتاج فيلم وثائقي فاز بجائزة «أحسن إنجاز مهني» من مهرجان الأفلام الوثائقية في بيروت.

- عمل مستشاراً للعلاقات العامة والإعلام لعدد من المؤسسات الحكومية والخاصة والخيرية في المملكة العربية السعودية.
- شارك في تقديم أوراق عمل في عدد كبير من المؤتمرات الإعلامية والأكاديمية والتقنية في مختلف دول العالم.

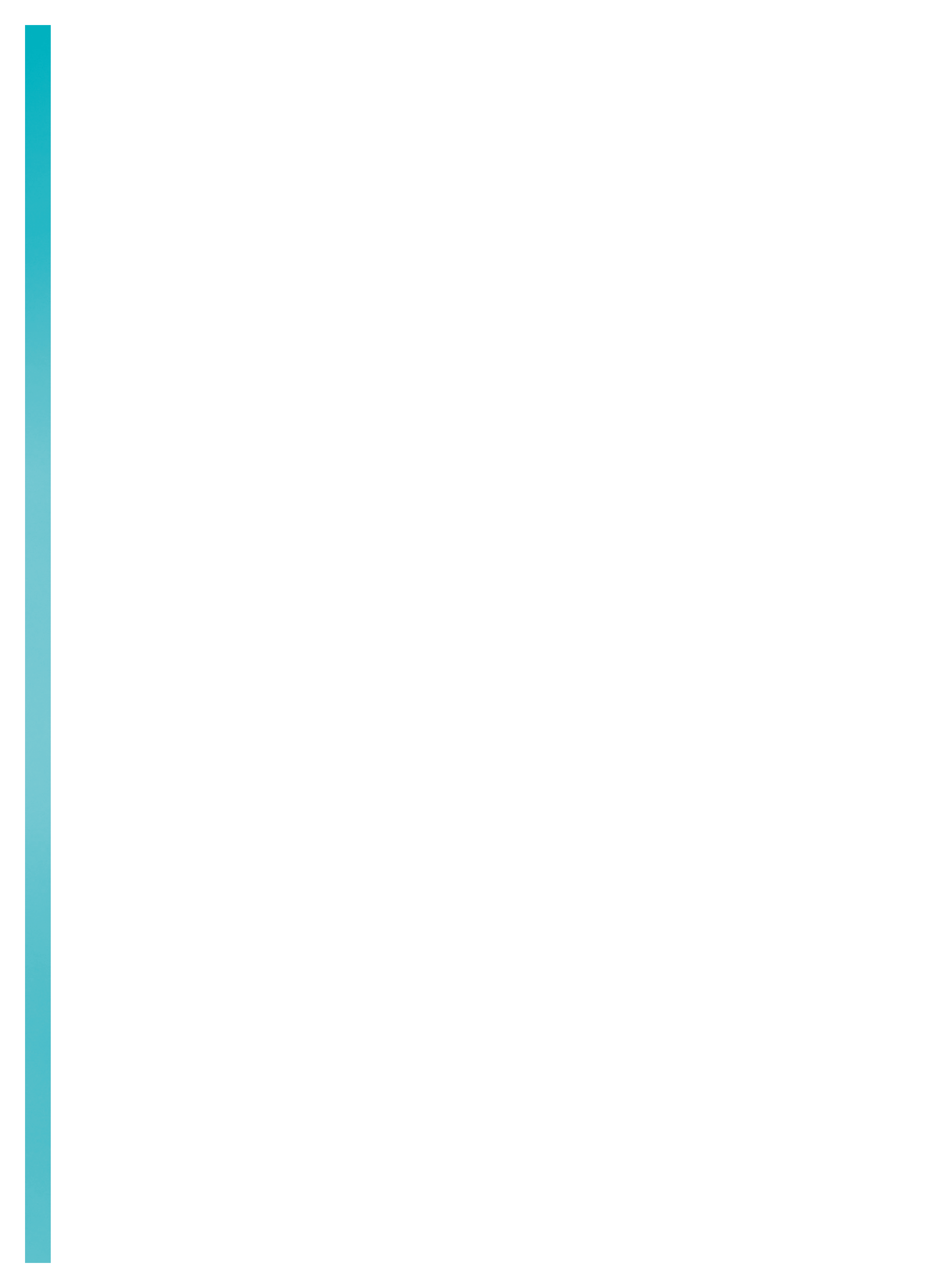
٤ ـ الخبرات الإعلامية:

- خبرة تزيد على (١٨) سنة في مجال الصحافة المكتوبة كصحافي ومراسل ورئيس تحرير في عدد من المطبوعات السعودية والدولية ورئيس تحرير لمواقع صحافية إلكترونية.
- يكتب عموداً صحافيّاً أسبوعيّاً في جريدة الاقتصادية السعودية، يركز فيه على قضايا الإصلاح والتطوير في العالم العربي، وعموداً صحافيّاً أسبوعيّاً ينشر بالتزامن في جريدة اليوم السعودية وجريدة روز اليوسف المصرية يركز فيه على الشؤون التقنية.
- كما قدم برنامجاً إذاعيّاً أسبوعيّاً متخصصاً في التقنية والإنترنت على راديو (MBC) في المملكة العربية السعودية.

٥ ـ الإصدارات:

- قامت أحد دور النشر الألمانية هذا العام بطبع نسخة محدثة من رسالة الدكتوراه في كتاب باللغة الإنكليزية لتوزيعه في أوروبة والولايات المتحدة.





الفصل السادس

الشعريات

حضارة الطين

عمر بهاء الدين الأميري

حضارة الطين تستوفي نهايتَها في الشرق والغرب، من قانونها الوَبِق

عاشت وعشنا بها القرنين في كَبَدٍ حربَ الفناء، وسِلْم الهمِّ والأرقِ

قد أفلس العلم عن إسعاد عالمه ها نحن رغم عطاء العلم في رَهَقِ

حضارة الكدْحِ للتصنيع تطحنُنَا تُريق ذاتيّة الإنسان في خَرَقِ

نضيع في تيه ما تمليه من نُظمٍ مِن صنع مُؤْتَفِكٍ، للزّورِ مختلِقِ

نطوي مراحلَها النكداءِ في قلقٍ وقد نخدِّره بالخمر والشَّبَقِ

السمتُ منقلِبٌ، والأمرُ مضطربٌ والجسم في نصبٍ والعقل في بَرَقِ

وما تفيد مُعدّاتٌ تَرفَّهُنا بها، سوى ما يفيد الميتُ من حَبقِ

لا رأسمال ولا دعوى التشارك في الأرزاق تُسْعِدُ، والأرواح في غَلَقِ

يا بن الهدى، يا فتى القرآن دعك من الـ أوهام، جلجَل أمر الله أنْ أَفِقِ

أنت الخليف لِما آتته من أُكلٍ أنت الطَّهور على أدرانها اندفِقِ

ونقِّها واغذُها خيراً ومرحَمةً أسعد بها الكون، أنت النورُ فائتلِقِ

❊ ❊ ❊

رحلة الخلود

محمد توفيق

جـــاء يــحــبــو وبــعــيــنــيــه بــــرق يــتــنــوّر
يــتــغــنَّــى مــثــل طــيــر ألــــف الـــدوح فــأزهــر
قد أتــى الــروض وفـي الــروض جــمالٌ ليس يُحصر
فــاســتــدارت حــولــه الآمـــال ســكــرى فتبصَّر
أيٌّ حــلــم قــد غـــزاه مفعمــاً بــالــحــبِّ أثــمــر
بالصــبـاً يــحــلــمُ، بــالأســحــار، بــالــحب المطهَّر
بــشــبــاب لــفَّــه الـحــبُّ فــأضــنــاه وشــمَّــر
بــنــخــيــل بــاســقــات ومـــــروج تــتــدوَّر
بــصــداح الــبــلــبــل الــمــســحــور لــمَّــا يتبختر
ونــســيــم الــصــبــح ألــقــى رحــلــه هــونــاً وعسكر
تــرقــص الآمــال فــي عينيه لــحــنــاً لــيــس يُقهر
تــائــهــاً فــي الــمــوج يــعــدو وخــطــاه تتطور
بــاحــثــاً عــن نــســمــة الــصــبــح وفــجــر يتبلور
لا تــقــل لــي كــان بــالأمــس ضــيــاء فــتــكدَّر
كـــان فــجــراً حــالــمــاً يــعــبق بــالــحــســن ويفخر

كان إنساناً له في الناس ذكرٌّ ليس يُنكر
كان ينبوع مروءات وإيثار وأكثر
راكضاً يلهث كالملسوع في صبح تكور
غافلاً عمّا سيأتي وزمان عنه أدبر
قد طواه الموت حتَّى صار حلماً يتكرَّر
وغدا في العالم الآخر لحناً يتفجَّر
كلُّ حيٍّ ليس يبقى والقضا أمرٌ مقدَّر
غاية الناس فناءٌ وصروف الدهر تزأر
هكذا الآمال تذوي والأماني تتقهقر
ثم ماذا بعد هذا أيُّ شيء قد تغيَّر
كيف هذا الحلم ولَّى عنه يوماً فتنكَّر
فإذا الصوت الذي أبحث عنه يتضوَّر
ذلك الصوت الذي قد شدّ سمعي حين أسفر
فتوجَّهت إليه فنأى عنِّي وأدبر
ومضى يسرع كالريح إذا سار تدوَّر!
فَهْو قد أصبح موجاً في خضمٍّ يتكسَّر

* * *

رباه عظمي كلاّ

د. يوسف القرضاوي

ربّــــــاه عــظــمــي كــلاّ ... ومـــا بـلـغـت الـمَـحِـلّا

أضـحـتْ عـصـاي رفيقي ... ولازمـــتـــنـــي ظـــلّا

وقـــصـــرت ركـبـتـي بي ... حتى اشتكت أن تُقلّا

ومسَّني الضرُّ حتى اتّـ ... ـخـذتُ بيتي مصلّى

مـصـلّـيـاً فـوق كرسـ ... ـي صار بالعذر حلّا

حُـرِمـت أحلى سجود ... سعادتي فيه جُلّى

أعـلـو بـه حـين أدني ... رأسي خشوعاً وذلّا

وجئت (بوسطن) أسعى ... إلـى الـعـلاج، لعلّا

وديـنـنـا شَـرَع الـطّـبَّ، ... بـل عـلـى الـطّبِّ دلّا

يـحـث كـلّ مـريـض: ... هـلّا تـداويـت هـلّا؟

مـا أنـزل الله داءً ... بـلا دواء يجلّى

إن أعضلَ اليوم داءٌ ... أبـدى لـه الـغـدُ حلّا

والمسلمون أقاموا ... للطّب صرحاً أجلّا

من لا يقد بفضل الـ ... إسلام في الطّب، من لا؟

ربّــاه قـد وهـن العظـ ... ـمُ فارعني كي أُبِلّا

واممنن عليّ بعزم ... تأبى له أن يُفَلّا
ربِّ اشفني لا تدعْنيً ... عبئاً على الناس، كَلا
وعاف ركبة عبد ... كم ساجداً لك صلّى
كم صفَّ رجليه يرجو ... ك تالياً لم يَمَلا
وكم مشى لك يدعو ... يجتاز وهدا وتلا
فاغفر له إن تواني ... في السير أو عنه زلا
أنا ابنُ آدَم طينٌ ... وعنه لن أستقلا
من ذا رأى الطينَ يصفو ... وبالنّقا يتحلّى؟
وبين جنبيّ نفسٌ ... تسوقني أن أزلا
كم اتّبعت هواها ... لم أنهها، لم أقلْ: لا
ولي عدوّ مبينٌ ... يقتادني لأضلا
وأنت حذّرتني منه ... ـهُ: كم أضلّ جبلا
لكن غفلتُ، وأحرَى ... بغافل أن يخلا
ياربّ فرطتُ، إلا ... أنّي أُحبّك إلا
أوّاه من غفلاتي ... ومن (عسى) و (لعلا)
لكن شفيعي لربّي ... إن كان زادي قُلا
أنّي مقرّ بذنبي ... لم أغترر، أو أُدِلا
وأنني عشت للدِّ ... ين داعياً لم أخِلا
ما كنت يوما بديني ... متاجراً مستغلا
ولم أبعه بدنيا ... أو منصب يتولى
ولم أطأطئ لجاهٍ ... وإن دنا وتدلّى
وما اشتراني طاغ ... ولم أوالِ عتلا
ما بعت نفسي إلا ... للّه عزّ وجلا

ديـنـي يـسـاوي وجـودي | وعـنـه لا أتـخـلّـى
والـعـلـم عـنـدي سـلاحٌ | لـلـحـقّ بـالـحـقّ سـلّا
حـمـداً لـربّـي، إنـي | فـي الـسـاح لـم أتـخـلَّ
مضٍ على الدرب كالسيـ | ـف، صـارمٌ لـم يـفَـلّا
لـم ألْـقِ يـومـاً سلاحي | ومـا طـويـت الـسِّـجـلّا
وإنْ يـكـن كـلَّ متني | فـهـمّـتـي لـم تـكـلّا
والـقـلـب مـنّـي شـبـابٌ | إن قـيـل بـالـسّـنِّ: ولّـى
لـن يـثـنـيَ الـدّهـرُ عزمي | كـلّا سـأمـضـي، وكـلّا
أحـبِّـب الله لـلـنّـا | س قـاصـداً لا مُـمِـلّا
أقـول لـلـنّـاس حسناً | مـحـاوراً مُـسـتـدلّا
أخـاطـبُ العقل والـرّو | حَ والـمـشـاعـر كُـلّا
مـبـشّـراً، مذهبي اليسـ | ـرُ، فيه قِـدْحـي المعلّى
ولا أحـبّ لـفـردٍ | بـالـديـن أن يُـسـتـغـلّا
ولـسـت أرضـى لشعبٍ | بـالـديـن أن يُـسـتـذلّا
ولـسـت أقـبـل للعقل | بـاسـمـه أن يُـغَـلّا
الـديـنُ لـلـعـقـل نـورٌ | يـهـديـه كـيـلا يـضـلّا
يحمي الفتى من هـواهُ | يـسـلُّـه مـنـه سـلّا
الدينُ في الكرب حصنٌ | فَـلُـذْ بـه مستظلّا
الـديـنُ فـي الليل نجمٌ | فَـسِـرْ بـه مستدلّا
الـديـنُ لـلـروح رِيٌّ | فـإن يَـهِـنْ بـلّ بـلّا
الـديـنُ سـلوى مصاب | وعـنـه لا يُـتَـسَـلَّى
الـديـنُ عـنـدي حـبٌّ | ولـيـس حـقـداً وغِـلّا
الـديـن نـبـعُ حـيـاةٍ | وفـجـرُ خـيـرٍ أهـلّا

الدين علم وفكرٌ ... وليس عقلاً أشلَّا
الدين حفزٌ وضبطٌ ... وليس قيداً وغُلّا
الدين روح وفعلٌ ... وليس قولاً مملَّا
الدين عدل وشورى ... وليس ظلماً مذلَّا
الحمدُ لله، عصرُ الـ ... إلحادِ بالخزي ولّى
قد كان صاحبَ عرش ... وعرشُه اليوم ثُلَّا
ما عاد (ماركسُ) للفكـ ... ـر ملهماً أو مملّا
قد عَافَهُ اليوم من كا ... ن الأمس خِدْناً وخِلَّا
وعاد للدين طوْعاً ... من كان عنهُ تولَّى
وكذَّبتْ فطرةُ اللـ ... ـه من عليه تألَّى
فالمرءُ من غير دينٍ ... شيءٌ يضاهي (الغُرِلَّا)
والعيش من غير دينٍ ... يبدو سراب مضلَّا
والكون من غير دينٍ ... لغز أبى أن يحلَّا
يا من عليه اعتمادي ... في الأمر جزءاً وكُلَّا
بك اعتززتُ، ومن لم ... يعتزّ بالله ذلَّا
بك اهتديتُ، ومن لم ... يرج الهدى منك ضلَّا
بك اغتنيت، ومن لا ... تغنيه عاش مُقلَّا
من يختر الله يختزْ ... عيش الملوك الأجلا
ومن تولَّى سواه ... يولِّه ما تولَّى
قد فارق الشهدَ صفواً ... مستبدلاً منه خَلَّا

* * *

فقرنا

محمد إقبال

فقرنا ليس برقصٍ أو غناءٍ ... ليس سكر النفس في موت وجاه
فقرنا معناه تيسير الجهود ... فقرنا معناه تسخير الوجود
فقرنا العادي سراج لو ظهر ... يُخجِلَ الشمسَ ويزري بالقمر
إنه إيمان بدر وحنين ... إنه زلزالُ تكبيرِ الحسين
صاح دعني أكتم الهمَّ الدفين ... إنه كأس ليس يروي العابثين
فكنوز الدين قد طارت شعاعا ... وتراث المال قد أمسى ضياعا
أيها الشادي بقرآن كريم ... وهو في ركن من البيت مقيم
قم وأبلغ نوره للعالمين ... قم وأسمعه البرايا أجمعين
إن تكن في مثل نيران الخليل ... أسمع النمرود توحيد الخليل

❊ ❊ ❊

علمتني الحياة

محمد مصطفى حمام

علمتني الحياةُ أن حياتي … إنَّما كانت امتحاناً طويلا
قد أرى بعده نعيماً مقيماً … أو أرى بعده عذاباً وبيلا
علَّ خوفي من العذاب كفيلٌ، … لي بالصفح يوم أرجو الكفيلا
كل خوفي يردني عن أمور … خبثت غايةً وساءت سبيلا
وعد اللّه من ينيب ويخشى … بأسه رحمة وصفحاً جميلا
وبحسبي وعد من اللّه حق … إنه كان وعده مفعولا
علمتني الحياة أن أتلقَّى … كل ألوانها رضاً وقبولا
ورأيت الرضا يخفف أثقا … لي ويُلقي على المآسي سُدولا
والذي أُلْهِمَ الرضا لا تراه … أبد الدهر حاسداً أو عذولا
أنا راضٍ بكل ما كتب اللّه … ومزج إليه حمداً جزيلا
أنا راضٍ بكلِّ صنفٍ من النا … س لئيماً ألفيته أو نبيلا
لست أخشى من اللئيم أذاه … لا ولن أسأل النبيل فتيلا
فسَح اللّه في فؤادي فلا أر … ضى من الحبِّ والوداد بديلا
في فؤادي لكل ضيفٍ مكان … فكن الضيف مؤنساً أو ثقيلا
ضلَّ من يحسب الرضا عن هوانٍ … أو يراه على النفاق دليلا

فالرضا نعمةٌ من اللّه لم يسعد بها في العباد إلا القليلا

والرضا آيةُ البراءة والإيمان باللّه ناصراً ووكيلا

علمتني الحياة أن لها طعمين مرّاً، وسائغاً معسولا

فتعودت حالتيها قريراً وألفتُ التغيير والتبديلا

أيها الناس كلنا شارب الكأسين إن علقماً وإن سلسبيلا

* * *

متى النهوض؟

وليد الأعظمي

متى النهوض وهذا العرضُ منتهكٌ ... والصفُّ مضطرب والشملُ أشتاتُ
في كلِّ يوم لنا شكوى نقدِّمها ... وليس تُجدي شكاوى واحتجاجاتُ
لكن تصونُ الحمى من كلِّ ذي طمع ... يومَ الكريهة «نيرانٌ وثاراتُ»
كفى نفاقاً كفى غشّاً كفى كَذِباً ... في كلِّ يوم لكم نفيٌ وإثباتُ
لا شيء ينفعُنا إلا عقيدتُنا ... «اللّه أكبر» لا العُزَّى ولا اللاتُ
ولا يعمُّ الهدى والخيرُ مجتمعاً ... إلا إذا خلصتْ للّه نياتُ
يا سيدي يا رسول اللّه قد ظهرتْ ... للشرِّ فينا ميولٌ واتجاهاتُ
كلٌّ يرى الحقَّ محصوراً بدعوتِهِ ... وكلُّها دعوات جاهليَّاتُ
دعا لها كلُّ مخبول كما ارتفعت ... للكفرِ والغدرِ والإفسادِ أصواتُ
كانت تنادي زماناً بالسَّلام وهلْ ... تدعو إلى السلم عن صدق «عصاباتُ»
سلوا عن السِّلْم في «كركوك» مجزرةً ... الأرضُ تهتَزُّ منها والسمواتُ
قامت بها زمرٌ رعناءُ كافرةٌ ... للهدم يدفعُها حقدٌ وعاهاتُ
عفواً رسولَ الهدى والبر إن عجزتْ ... عن أنْ تفي حقك الجبار أبياتُ

❊ ❊ ❊

وصيــة

الألبيري

تـفـتُّ فــــؤادَك الأيــــامُ فـتًّـا ... وتنحتُ جسمك الساعاتُ نحتا

وتـدعـوك الـمـنـونُ دعـاءَ صدقٍ: ... ألا يا صاحِ: أنت أريدُ، أنتا!

أراك تـحـبُّ عرساً ذات غدرٍ ... أبـتَّ طلاقَها الأكياسُ بتّا

تنام الدهرَ ويحك في غطيطٍ ... بها حتى إذا متَّ انتبهتا

فكم ذا أنـتَ مـخـدوعٌ وحتَّى ... متى لا ترعوي عنها وحتَّى؟

أبـا بـكـر دعـوتُـك لـو أجبتا ... إلى ما فيه حظُّك إن عقلتا

إلـى عـلـم تـكـون بـه إماماً ... مطاعاً إن نهيتَ وإن أمرتَا

وتجلو ما بعينك من عشاها ... وتهديك السبيلَ إذا ضللتا

وتحمل منه في ناديك تاجاً ... ويكسوك الجمال إذا اغتربتا

ينالك نفعُه ما دمتَ حيّاً ... ويبقى ذخرُه لك إن ذهبتا

هو العضبُ المُهندُ ليس ينبو ... تصيبُ به مقاتلَ من ضربتا

وكنزاً لا تخافُ عليه لصّاً ... خفيفَ الحمل يوجد حيثُ كنتا

يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ منه ... وينقصُ أن به كفّاً شددتا

فلو قد ذقتَ من حلواه طعماً ... لآثرتَ التعلُّم واجتهدتا

ولم يشغلْك عنه هوىً مُطاعٌ ... ولا دنيا بزخرفها فُتنتا

ولا ألهاكَ عنه أنيقُ روضٍ … ولا خدر بِرَبْرَبِه كلفتا

فقوتُ الروحِ أرواحُ المعاني … وليسَ بأن طعمتَ وأن شربتا

فواظبه وخذْ بالجدِّ فيه … فإنْ أعطاكَه اللّهُ انتفعتا

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باعٍ … وقال الناسُ إنَّك قد سبقتا

فلا تأمنْ سؤالَ اللّه عنه … بتوبيخٍ: علمتَ فهل عملتا؟

فرأسُ العلم تقوى اللّه حقّاً … وليس بأن يُقال: لقد رأسْتا

وضع في ثوبك الإحسانَ لا أن … ترى ثوبَ الإساءةِ قد لبستا

إذا ما لم يفدْك العلمُ خيراً … فخيرٌ منه أن لو قد جهلتا

وإن ألقاك فهمُك في مهاوٍ … فليتَك ـ ثم ليتَك ـ ما فهمتا

ستجني من ثمار العجزِ جهلاً … وتصغرُ في العيون إذا كبرتا

وتُفقد إن جهلتَ وأنتَ باقٍ … وتُوجد إن عملتَ وقد فُقدتا

وتذكر قولتي لك بعدَ حين … وتغبطُها إذا عنها شُغلتا

لسوف تعضُّ من ندمٍ عليها … وما تُغني الندامةُ إن ندمتا

إذا أبصرتَ صحبك في سماءٍ … قد ارتفعوا عليكَ وقد سفلتا

فراجعْهَا ودَعْ عنك الهُوينى … فما بالبطء تدركُ ما طلبتا

ولا تحفلْ بمالك والْهُ عنه … فليسَ المالُ إلا ما علمتا

وليس لجاهلٍ في الناس معنى … ولو مُلكُ العراق له تأتّى

سينطقُ عنك علمك في نديٍّ … ويكتبُ عنك يوماً إن كتبتا

وما يغنيك تشييدُ المباني … إذا بالجهلِ نفسَك قد هدمتا

جعلتَ المال فوق العلم جهلاً … لعمرُك في القضيةِ ما عدلتا

وبينهما بنصِّ الوحي بونٌ … ستعلمه إذا «طه» قرأتا

لئن رفع الغنيُّ لواء مالٍ … لأنتَ لواء علمك قد رفعتا

وإن جلس الغنيُّ على الحشايا … لأنت على الكواكبِ قد جلستا

وإن ركـبَ الـجـيـادَ مـسـومـاتٍ ... لأنــت مـنـاهـج الـتـقـوى ركبتا
ومـهـمـا افـتـضَّ أبـكـار الـغـوانـي ... فكم بكرٍ من الحكم افتضضتا
ولـيـس يـضـرُّك الإقـتـار شيئاً ... إذا مـا أنــتَ ربَّـك قـد عرفتا
فـمـاذا عـنـده لـك مـن جميلٍ ... إذا بـفـنـاءِ طـاعـتِـه أنـخـتـا
فقابلْ بالقَبول صحيحَ نصحي ... فـإن أعـرضْـتَ عنه فقد خَسِرْتا
وإنْ راعـيـتَـه قـولاً وفـعـلاً ... وتـاجـرتَ الإلـــهَ بـه ربحـتـا
فـلـيـسـتْ هـذه الـدُّنـيـا بـشـيءٍ ... تـسـوءُكَ حقبةً وتـسـرُّ وقتـا
وغـايـتُـهـا إذا فـكـرتَ فـيها ... كفـيئِـكَ أو كحلمِك إن حلمتا
سُـجـنـتَ بـها وأنـتَ لها محبٌّ ... فكـيـف تـحـبُّ مـا فـيـه سُجنتا
وتطعمُك الطعامَ وعـن قريب ... ستطعم منكَ ما منها طعمتا
وتـعـرى إن لـبـسـتَ لها ثياباً ... وتُكسى إنْ ملابسَها خلعتا
وتـشـهـد كـلَّ يـوم دفـنَ خِـلٍّ ... كـأنَّـك لا تُـرادُ بـمـا شهدتا
ولـم تـخـلـقْ لـتـعـمـرَهـا ولـكـن ... لـتـعـبـرَهـا فـجـدَّ لـمـا خُلقتا
وإن هُـدمـتْ فـزِدْهـا أنـت هدماً ... وحصِّنْ أمرَ دينك ما استطعتا
ولا تـحـزنْ عـلـى مـا فـات منها ... إذا مـا أنـتَ فـي أخـراك فُزتا
فـلـيـسَ بـنـافـعٍ مـا نـلـتَ فـيـها ... من الفاني، إذا الباقي حُرمتا
ولا تضحك مـعَ السفهاءِ لهواً ... فـإنَّـك سـوف تبكي إن ضحكتا
وكيف لك السرورُ وأنت رَهْـنٌ ... ولا تـدري أتُـفـدى أم غلقتا
وسـلْ مِـن ربـك الـتـوفـيـقَ فيها ... وأخلصْ في السؤال إذا سألتا
ونـادِ إذا سـجـدتَ لـهُ اعترافاً ... بمـا نـاداه ذو الـنُّـون بـنُ متَّى
ولازِمْ بـابـه قـرعـاً عـسـاه ... سـيـفـتـحُ بـابَـه لـك إن قرعتا
وأكـثـر ذكـرَه فـي الأرضِ دأبـاً ... لـتُـذكرَ في السَّماءِ إذا ذكرتا
ولا تـقـلِ الـصـبـا فـيـه مـجـال ... وفـكِّـر كـم صـغـيرٍ قـد دفـنـتـا!

وقل لي يا نصيحُ لأنتَ أولى ... بنصحكَ لو بعقلكَ قد نظرتا
تقطِّعني على التفريطِ لوماً ... وبالتفريط دهرَك قد قطعتا
وفي صغري تخوِّفني المنايا ... وما تجري ببالِكَ حين شختا
وكنتَ مع الصبا أهدى سبيلاً ... فما لك بعد شيبك قد نكستا
وها أنا لم أخضْ بحرَ الخطايا ... كما قد خضْتَه حتَّى غرقتا
ولم أشربْ حمياء بدهر ... وأنت شربتَها حتَّى سكرتا
ولم أحلُلْ بوادٍ فيه ظُلمٌ ... وأنت حللتَ فيه وانهملتا
ولم أنشأْ بعصر فيه نفعٌ ... وأنت نشأتَ فيه وما انتفعتا
وقد صاحبتَ أعلاماً كباراً ... ولم أرك اقتديتَ بمن صحبتا
وناداك الكتابُ فلم تُجِبْهُ ... ونهنهكَ المشيبُ فما انتبهتا
ليقبح بالفتى فعل التصابي ... وأقبحُ منه شيخٌ قد تفتى
فأنت أحقُّ بالتفنيد منِّي ... ولو سَكَتَ المُسيء لما نطقتا
ونفسَك ذُمَّ لا تذمُمْ سواها ... بعيبٍ فهْيَ أجدرُ من ذممتا!
فلو بكت الدِّما عيناك خوفاً ... لذنبِك لم أقلْ لك قد أمنتا
ومن لك بالأمان وأنت عبدٌ ... أمرت فما ائتمرت ولا أطعتا
ثقلتَ من الذنوب ولستَ تخشى ... لجهلكَ أن تخفَّ إذا وُزنتا
وتشفقُ للمُصرِّ على المعاصي ... وترحمُه، ونفسَك ما رحمتا
رجعتَ القهقرى وخبطتَ عشوا ... لعمرُك لو وصلت لما رجعتا!
ولو وافيتَ ربَّك دون ذنبٍ ... وناقشكَ الحسابَ إذاً هلكتا
ولم يظلمْكَ في عملٍ ولكن ... عسيرٌ أن تقومَ بما حملتا
ولو قد جئتَ يوم الفصلِ فرداً ... وأبصرتَ المنازل فيه شتى
لأعظمتَ النَّدامة فيه لهفاً ... على ما في حياتكَ قد أضعتا
تفرُّ من الهجير وتتَّقيه ... فهلَّا عن جهنَّمَ قد فَررتا؟

ولستَ تطيقُ أهونَها عذاباً ... ولو كنتَ الحديدَ بها لذُبتا

فلا تكذبْ فإنَّ الأمرَ جِدٌّ ... وليس كما احتسبتَ ولا ظننتا

أبا بكرٍ كشفتَ أقلَّ عيبي ... وأكثره ومعظمه سترتا

فقل ما شئت فيَّ من المخازي ... وضاعفها فإنَّك قد صدقتا

ومهما عبتَني فلفرطِ علمي ... بباطنتي كأنَّك قد مدحتا

فلا ترضى المعايبَ فهي عارٌ ... عظيمٌ يورثُ الإنسانَ مقتا

وتهوي بالوجيه من الثريا ... وتبدله مكانَ الفوقِ تحتا

كما الطاعاتُ تنعلك الدراري ... وتجعلُكَ القريبَ وإن بعدتا

وتنشر عنك في الدُّنيا جميلاً ... فتلفى البرَّ فيها حيث كنتا

وتمشي في مناكبها كريماً ... وتجني الحمد مما قد غرستا

وأنت الآن لم تُعرف بعابٍ ... ولا دنَّست ثوبَك مذ نشأتا

ولا سابقتَ في ميدانِ زورٍ ... ولا أوضعتَ فيه ولا خببتا

فإن لم تنأَ عنه نشبتَ فيه ... ومن لك بالخلاصِ إذا نشبتا

ودنِّس ما تطهرَ منك حتَّى ... كأنك قبل ذلك ما طهُرتا

وصرت أسيرَ ذنبك في وثاقٍ ... وكيف لك الفكاكُ وقد أسرتا

وخَفْ أبناءَ جنسك واخشَ منهم ... كما تخشى الضراغمَ والسبنتى

وخالطْهم وزايِلْهم حذاراً ... وكن كالسَّامريِّ إذا لمستا

وإن جهلوا عليك فقلْ سلاماً ... لعلك سوفَ تسلمُ إن فعلتا

ومن لك بالسلامة في زمانٍ ... ينالُ العصمَ إلا إن عُصمتا

ولا تلبث بحيٍّ فيه ضيمٌ ... يميتُ القلبَ إلا إن كبلتا

وغرِّبْ فالغريبُ له نفاقٌ ... وشرِّق إن بريقَك قد شرقتا

ولو فوق الأمير تكون فيها ... سموّاً وافتخاراً كنتَ أنتا

وإن فرقتَها وخرجتَ منها ... إلى دارِ السلامِ فقد سلمتا

وإن كـرمـتَـهـا ونـظـرتَ منها بـإجـلالٍ فـنـفـسَـك قـد أهـنـتـا
جمعتُ لـك الـنـصـائحَ فامتثلها حياتَك؛ فهي أفضـلُ مـا امتثلتا
وطـولـتُ الـعـتـاب وزدتُ فيه لأنـك فـي الـبـطـالـة قـد أطلتا
فـلا تـأخـذْ بتقصيري وسهوي وخـذ بـوصـيـتـي لـك إن رشدتا
وقـد أردفـتـهـا سـتـاً حـسـانـاً وكـانـت قـبـل ذا مـئـةً وسـتـا

❊ ❊ ❊

لا تعذليه

ابن زريق البغدادي

لا تعذليه فإنَّ العذلَ يولعه ... قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعه
جاوزتِ في لومه حدّاً أضرَّ به ... من حيث قدَّرْتِ أنَّ اللومَ ينفعه
فاستعملي الرفقَ في تأنيبه بدلاً ... من عنفه فهو مضنى القلبِ موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحملُه ... فضيقت بخطوبِ البينِ أضلعه
يكفيه من لوعة التنفيد أنَّ له ... من النّوى كلّ يوم ما يروِّعه
ما آبَ من سفرٍ إلا وأزعجه ... رأيٌ إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حلٍّ ومرتحلٍ ... موكلٌ بفضاء الأرضَ يذرعه
إذا الزمان أراه في الرحيل غنًى ... ولو إلى السندِ أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامعُ إلا أن تجشمه ... للرزقِ كدًّا وكم ممَّن يودعه
وما مجاهدةُ الإنسانِ توصلُه ... رزقاً ولا دعةُ الإنسانِ تقطعُه
واللّه قسَّمَ بينَ الخلقِ رزقَهُمُ ... لم يخلقِ اللّهُ مخلوقاً يضيِّعه
لكنهم مُلئوا حِرصاً فلست ترى ... مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه
والسعي في الرزق والأرزاقُ قد قسمت ... بغي ألا إن بغيَ المرءِ يصرعه
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه ... يوماً ويمنعُه من حيث يطمعه
أستودعُ اللّهَ في بغداد لي قمراً ... بالكرخِ من فلك الأزرارِ مطلعه
ودَّعتُهُ وبودي لو يودِّعني ... صفو الحياة وأني لا أودعه

وكـم تـشـفـع أنـــي لا أفـارقـه ... ولـلـضـرورات حـــالٌ لا تشفعه
وكم تشبَّثَ بي يومَ الرحيل ضحًى ... وأدمــعــي مـسـتـهـلاتٌ وأدمـعـه
لا أكذبُ اللّهَ ثوبُ الغدرِ منخرقٌ ... عـنـي بـفـرقـتـه لـكـن أرقـعـه
إنـــي أوســع عــذري فــي جنايته ... بـالـبـيـن عـنـه وقـلـبـي لا يوسعه
أعطيتُ ملكاً فلم أحسن سياسَتَه ... كذاك من لا يسوسُ الملكَ يُخلعه
ومن غدا لابساً ثوبَ النعيم بلا ... شـكـر الإلـــه فـعـنـه اللّهُ ينزعه
اعتضتَ عن وجه خلى بعد فرقته ... كـأسـاً أجــرَّع منـهـا مـا أجـرعـه
كم قائل لـي ذنـب البين قلتُ له ... الـذنـبُ واللّه ذنـبـي لـسـتُ أدفعه
هـلا أقـمـتَ فكـان الرشد أجمعه ... لـو أنـنـي يـوم بـان الـرشـد أتبعه
إنـــي لأقـطـع أيـامـي وأنـفـدهـا ... بـحـسـرة منـه فـي قـلـبـي تقطعه
بمـن إذا هـجـع الـنُّـوَّام بـتُّ له ... بـلـوعـة منـه ليـلـي لـسـتُ أهجعه
لا يطمئنُّ لجنبي مضجعٌ وكذا ... لا يطمئنُّ لـه مـذ بـنـتُ مضجعه
وما كنتُ أحسب أنَّ الدهر يفجعني ... بـه ولا أنَّ بـي الأيــامُ تفجعه
حتى جرى الدهرُ فيما بيننا بيدٍ ... عـسـراءَ تمنعني حـظِّـي وتمنعه
باللّهِ يا منزل القصف الذي درست ... آثــارُهُ وعَـفَـتْ مـذ غـبـتُ أربـعـه
هـل الـزمـانُ معـيـدٌ فيك لذتنا ... أم الليالي الَّـتـي أمضته ترجعه
في ذمةِ اللّه من أصبحت منزله ... وجَـادَ غـيـثٌ على مغداك يمرعه
مـن عـنـده لـيَ عـهـدٌ لا يضيِّعه ... وكـم لـه عـهـدُ صـدقٍ لا أضيعه
ومـن يـصـدِّع قلبي ذكـرُه وإذا ... جـرى على قلبه ذكـري يصدِّعه
لأصــبــرنَّ لـدهــر لا يمتعني ... بـه ولا بـيَ فـي حـــالٍ يمنعه
علماً بأن اصطباري معقبٌ فرجاً ... وأضـيـقُ الأمـر إن فكرتَ أوسعه
علَّ الليالي التي أضنت بفرقتنا ... جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
وإن تـنـلْ أحـــداً مـنـا منيتُه ... فما الـذي بقضاءِ اللّهِ يصنعه

❊ ❊ ❊

تسبيح وثناء

حازم القرطاجني

سبحانَ من سبَّحَتْهُ ألسنُ الأُمَمِ تسبيحَ حمدٍ بما أولى من النِّعَمِ

سبحانَ من سبَّحَتْهُ ألسنٌ عَرَفَتْ بأن تسبيحَه من أفضلِ العصمِ

سبحانَ من سَبَّحَتْ حمداً ملائكةٌ لـه بـلا فـتـرةٍ تـعـرو ولا سـأَمِ

سبحانَ من سَبَّحَتْ شمسُ النَّهارِ له والبدرُ بدرُ الدجى والشهبُ في الظلمِ

سبحانَ من سَبَّحَ الليلُ البهيمُ لَهُ والصبحُ سبَّح يُبدي ثغرَ مبتسمِ

سبحانَ من جعلَ الدُّنيا وصورتها مثل الخيالِ سرى والعيشُ كالحلمِ

سبحانَ من جعلَ الدُّنيا محببةً ملـتـذَّة مع ما فيـهـا مـن الألَـمِ

سبحانَ من حبَّبَ الأخرى لطائفةٍ سَمَتْ إلى أشرفِ الدارَيْنِ بالهِمَمِ

سبحانَ من كلُّ حين في الوجودِ له إعـدامُ موجودٍ أو إيجادُ منعدمِ

سبحانَ من خلقَ الإنسان من علقٍ وردَّه بعد أمشـاجٍ إلى رممِ

سبحانَ من ينشر الموتى ويبعثهم للفصلِ ما بين ظـلَّامٍ ومظَّلمِ

سبحانَ من بينهم بالعدلِ يحكمُ في يـومٍ به ليس غير اللّه مِن حكمِ

سبحانَ من جلَّ في سلطانه وعلا عنْ أن يرى معه حكم لمحتكمِ

سبحانَ من ألهم العبدَ السعيدَ لما أضحى إليه الشقيُّ غير ملتهمِ

سبحانَ من ضللَّ الأشقى بمعصية فظلَّ عن طرق التوفيق وهو عمِ

سبحانَ من إن يشأ يجزِ المسيءَ وإنْ يشا عفا عن كبيرِ الإثم واللممِ
سبحانَ من لم يُحِطْ خلقٌ به وله إحاطةٌ بجميعِ الخلقِ كلهمِ

❊ ❊ ❊

مناجاة

شهاب الدين السهروردي

أبــــداً تـحــنُّ إليـكـمُ الأرواحُ ووصـــالُـكـم ريـحـانُـهـا والـــراحُ
وقـلـوبُ أهـل ودادِكـــمُ تشتاقكم وإلـــى بـهـاءِ جـمـالِـكُـم تـرتـاحُ
صـفّـاهـمُ فـصـفـو لـه فقلوبُهم في نـورهـا المشكاةُ والمصباحُ
وتـمـتَّـعـوا فـالـوقـتُ طـاب بقربكم راقَ الـشَّـرابُ وراقَـتِ الأقـداحُ
سمحوا بأنفسهم ومـا بخلوا بها لـمـا دروا أنَّ الـسـمـاحَ ربـاحُ
ودعـاهـمُ داعـي الـحـقـائقِ دعـوةً فـغـدوا بـهـا مستأنسين وراحـوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعُهم بـحـرٌ وشـــدةُ شـوقـهـم مـلاّحُ
واللّهِ مـا طلبوا الـوقـوفَ ببابِه حـتـى دُعـــوا وأتـاهـم المفتاحُ
لا يـطـربـون لـغـيـرِ ذكـرِ حبيبهم أبـــداً فـكـل زمـانـهـم أفـــراحُ

❊ ❊ ❊

صفاء

عبد الله الشهري

هو قدَ جفا عهدُ الجفا وفؤادُه لك قَدْ صفا

أحسِنْ به ظنّاً وقُلْ للشائعاتِ لقد كفى

واذكرْ غداةَ لقيتَه يوماً فرحَّبَ واحْتَفَى

وجرى حديثٌ شيِّقٌ سرَّ المحبَّ وما شفى

فهناكَ تعذره إذا ما كان قلبُك منصفا

* * *

حكمُ المنيةِ في البريةِ جاري

أبو الحسن التهامي

حُكْمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
بينا يرى الإنسانُ فيها مخبراً ... حتَّى يُرى خبراً من الأخبارِ
طُبعتْ على كدرٍ وأنت تريدُها ... صفواً من الأقذارِ والأكدارِ
ومُكلّفُ الأيامِ ضدَّ طباعِهَا ... مُتطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما ... تَبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ
فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ
والنفسُ إن رضيتْ بذلك أو أبَتْ ... منقادةٌ بأزمَّةِ المقدارِ
فاقضوا مآربَكم عجالاً إنما ... أعمارُكم سفرٌ من الأسفارِ
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادِروا ... أنْ تُستردَّ فإنهن عَوَارِ
فالدهرُ يخدعُ بالمنى ويغصُّ أن ... هنَّا ويهدمُ ما بنى ببوارِ
ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالماً ... خُلُقُ الزمانُ عداوةُ الأحرارِ
إني وُترتُ بصارمٍ ذي رونقٍ ... أعددْتُه لطلابةِ الأوتارِ
أُثني عليه بأثرهِ ولو أنَّه ... لم يغتبطْ أثنيتُ بالآثارِ
يا كوكباً ما كان أقصرُ عمره ... وكذاك عمرُ كواكبِ الأسحارِ
وهلالُ أيامٍ مضى لم يستدِرْ ... بدراً ولم يمهلْ لوقتِ سرارِ

عَجِلَ الخسوفُ عليه قبلَ أوانه ... فمحاهُ قبلَ مظنةِ الإبدارِ
واستُلَّ من أترابه وَلِدَاته ... كالمقلة استلَّتْ من الأشفارِ
فكأنَّ قلبي قبرُه وكأنَّه ... في طيِّه سرٌّ من الأسرارِ
إن يعتبط صغراً فربَّ مُقمَّم ... يبدو ضئيلَ الشخص للنُّظَّارِ
إنَّ الكواكبَ في علوِّ محلِّها ... لَتُرى صغاراً وهي غيرُ صغارِ
وَلَدُ المُعَزَّى بعضُه فإذا مضَى ... بعضُ الفتى فالكلُّ في الآثارِ
أبكيه ثمَّ أقولُ معتذراً له ... وُفِّقْتَ حين تركتَ ألأمَ دارِ
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّه ... شتَّانَ بين جِوارِه وجِواري
أشكو بعادك لي وأنتَ بموضعٍ ... لولا الرَّدى لسمعتَ فيه مزاري
والشرقُ نحو الغرب أقربُ شقةً ... من بعدِ تلك الخمسةِ الأشبارِ
هيهاتَ قد علقتْكَ أسبابُ الرَّدى ... واغتالَ عمركَ قاطعُ الأعمارِ
ولقد جريتَ كما جريتُ لغايةٍ ... فبلغتَها وأبوك في المضمارِ
فإذا نطقتُ فأنتَ أولُ منطقي ... وإذا سكتُّ فأنتَ في أضماري
أُخفي من البُرَحاءِ ناراً مثلَ ما ... يخفي من النَّارِ الزنادُ الواري
وأُخفّضُ الزَّفَرَاتِ وهي صواعقٌ ... وأكفكفُ العبراتِ وهي جوارِ
وشهابُ نارِ الحزنِ إن طاوعتُه ... أورى وإن عاصيتُه متواري
وأكفُّ نيرانَ الأسى ولربَّما ... غلب التبصر فارتمت بشرار
ثوبُ الرياءِ يَشفُّ عمَّا تحته ... وإذا التحفتَ به فإنَّك عارِ
قصرتْ جفوني أم تباعدَ بينُها ... أمْ صُوِّرتْ عيني بلا أشفارِ
جَفَتِ الكرى حتَّى كأنَّ غِرَارَه ... عند اغتماض العين وخزُ غرارِ
ولو استزارتْ رقدةً لَطحا بها ... ما بين أجفاني من التَّيارِ
أُحيي الليالي التِّمَّ وهي تُميتني ... ويُميتُهن تبلّجُ الأسحارِ
حتى رأيتُ الصبحَ تهتك كفُّه ... بالضوءِ رفرفَ خيمةٍ كالقارِ

والصبحُ قد غمرَ النجومَ كأنَّه ... سيلٌ طغى فطفا على النّوارِ

وتَلَهُّبُ الأحشاءِ شيَّبَ مفرقي ... هذا الضياءُ شواظُ تلك النارِ

شابَ القذالُ وكلُّ غصنٍ صائرٌ ... فينانُه الأحوى إلى الإزهارِ

والشبه منجذبٌ فلم بيض الدمى ... عن بيضِ مفرقِه ذوات نفارِ

وتودُّ لو جعلتْ سوادَ قلوبها ... وسوادَ أعيُنها خضابَ عذارِ

لا تنفرِ الظبياتُ عنه فقد رأتْ ... كيف اختلافُ النبتِ في الأطوارِ

شيئانِ ينقشعانِ أولَ وهلةٍ ... ظِلُّ الشبابِ وخلةُ الأشرارِ

لا حبذا الشيبُ الوفيُّ وحبذا ... ظلُّ الشبابِ الخائنِ الغدارِ

وَطَري من الدُّنيا الشبابُ وروقُه ... فإذا انقضى فقد انقضت أوطاري

قصرتْ مسافتُه وما حسناتُه ... عندي ولا آلاؤه بقصارِ

نزداد همّاً كلما ازدَدْنا غنًى ... والفقرُ كلُّ الفقرِ في الإكثارِ

ما زادَ فوقَ الزادِ خُلِّفَ ضائعاً ... في حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ

إنّي لأرحمُ حاسِديَّ لِحُرِّما ... ضمَّتْ صدورُهُمُ من الأوغارِ

نظروا صنيعَ اللّهِ بي فعيونُهم ... في جنةٍ وقلوبُهُم في نارِ

لا ذنبَ لي قد رُمت كتمَ فضائلي ... فكأنَّما بَرقعتُ وجهَ نهارِ

وسترتُها بتواضعي فتطلَّعتْ ... أعناقُها تعلو على الأستارِ

ومن الرِّجال معالمٌ ومجاهلٌ ... ومن النُّجوم غوامضٌ ودراري

والناس مشتبهون في إيرادِهم ... وتفاضلُ الأقوام في الإصدارِ

عمري لقد أوطأتُهم طرقَ العلا ... فعَمُوا فلم يقفوا على آثاري

لو أبْصَروا بقلوبهم لاستبصروا ... وعمى البصائر من عمى الأبصار

هلاّ سَعَوا سعيَ الكرام فأدركوا ... أو سلَّموا لمواقعِ الأقدارِ

ذهبَ التكرُّمُ والوفاءُ مَن الورى ... وتصرَّما إلا مِنَ الأشعارِ

وفشتْ خياناتُ الثقاتِ وغيرِهم ... حتى اتّهمنا رؤيةَ الأبصارِ

ولـربَّـمـا اعتضدَ الحليمُ بجاهلٍ   لا خـيـرَ فـي يُـمـنـى بـغـيـر يسارِ
لله درُّ الـنــائـبـاتِ فـإنَّـهــا   صـدأُ الـلـئـام وصَـيْـقَـلُ الأحــرارِ
هـل كـنـتُ إلا زبــرةً فطبعْنَني   سيفاً وأطـلـقَ صـرفُـهـنَّ غـراري
زمـنٌ كـأمِّ الكلبِ تـرأمُ جرْوَها   وتصدُّ عنْ ولـدِ الـهِـزَبْـرِ الضاري

***

يا ظبية البان ترعى في خمائِلِه

الشريف الرضي

يا ظَبيَةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِهِ   لِيَهنَكِ اليَومَ أَنَّ القَلبَ مَرعاكِ

الماءُ عِندَكِ مَبذولٌ لِشارِبِهِ   وَلَيسَ يُرويكِ إِلّا مَدمَعي الباكي

هَبَّتْ لَنا مِن رِياحِ الغَورِ رائِحَةٌ   بَعدَ الرُّقادِ عَرَفناها بِرَيّاكِ

ثُمَّ انثَنَينا إِذا ما هَزَّنا طَرَبٌ   عَلى الرِّحالِ تَعَلَّلنا بِذِكراكِ

سهمٌ أصاب وراميه بذي سلم   مَن بالعِرَاقِ، لَقد أبعَدتِ مَرْمَاكِ

وَعدٌ لعَينَيكِ عندي ما وَفَيتِ بِهِ   يا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَينَيَّ عَينَاكِ

حكَتْ لِحَاظُكِ ما في الرّيم من مُلَحٍ   يوم اللقاءِ فكانَ الفضلُ للحاكي

كَأنّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبرُنا   بما طوى عنك من أسماءِ قتلاكِ

أنتِ النّعيمُ لقَلبي وَالعَذابُ لَهُ   فَمَا أمَرّكِ في قَلْبي وَأحْلاكِ

عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكرها   لولا الرقيبُ لقد بلغتُها فاكِ

سقى منًى وليالي الخيف ما شربت   مِنَ الغَمَامِ وَحَيّاهَا وَحَيّاكِ

إذ يَلتَقي كُلُّ ذي دَينٍ وَماطِلُهُ   منا ويجتمع المشكو والشاكي

لمّا غدا السّرْبُ يَعطُو بَينَ أرْحُلِنَا   مَا كانَ فيهِ غَريمُ القَلبِ إلاّكِ

هامتْ بك العينُ لم تتبع سواك هوًى   مَنْ عَلّمَ العَينَ أنّ القَلبَ يَهوَاكِ

حتّى دَنَا السّرْبُ، ما أحيَيتِ من كمَدٍ   قتلى هواكِ ولا فاديت أسراكِ

يا حبذا نفحةٌ مـرتْ بفيك لنا ونـطـفـةٌ غـمـسـت فـيـهـا ثناياك

وَحَـبّـذا وَقـفَـةٌ، وَالـرّكْـبُ مُغتَفِلٌ عَلـى ثَـرًى وَخَـدَتْ فيـهِ مَطَاياكِ

لوْ كانَتِ اللِّمَةُ السّوْداءُ من عُدَدي يـوم الغميمِ لما أفلـتِّ أشراكي

***

اعتزل ذكر الأغاني والغزل

ابن الوردي

اعـتـزلْ ذكـرَ الأَغَـانـي والـغـزَلْ   وقُـلِ الفَـصْـلَ وجـانـبْ مـنْ هـزَلْ

ودَعِ الــذِّكـرَى لأيــام الصِّبا   فَـلأَيــام الـصِّـبـا نَـجْـمٌ أفَـلْ

إن أَهــنــا عـيـشــةً قَـضَّـيـتُـهـا   ذَهـبـتْ لَـذَّاتُـهـا وَالإثــمُ حَـلْ

واتــرُكِ الــغــادَةَ لاَ تـحـفلْ بها   تُـمْـسِ فـي عِـزٍّ رفـيـعٍ وتُـجَـلْ

والــهُ عـنْ آلــةِ لـهـوٍ أطـربـتْ   وعـنِ الأمــردِ مـرتـجٍّ الـكـفـلْ

إنْ تبدَّى تنكسفْ شمسُ الضحى   وإذا مـا مـاسَ يُـزري بـالأسـلْ

زادَ إنْ قـسـنـاهُ بـالـبـدرِ سناً   وعـدلـنـاهُ بـغـصـنٍ فـاعـتـدلْ

وَافـتَـكِـرْ فـي مُنتهَى حُسنِ الَّذي   أنــت تـهـواهُ تـجـدْ أمــراً جلَلْ

واتَّــقِ اللّهَ فـتـقـوَى اللّه مَـا   جــاورتْ قَـلـبَ امـرئٍ إلا وَصَـلْ

لَـيـسَ مـنْ يَـقـطـعُ طُـرقـاً بَطلاً   إنَّـمـا مـنْ يـتَّـقـي اللّهَ الـبَـطَـلْ

وَاهـجُـرِ الـخَـمـرَةَ إنْ كُـنـتَ فتًى   كَـيـفَ يَسعى فـي جُـنـونٍ مَنْ عَقَلْ

صَـدِّقِ الـشَّـرعَ وَلاَ تـركَـنْ إلـى   رَجـلٍ يَـرْصُـدُ فـي الْـلَّـيـلِ زُحـلْ

حَـارتِ الأَفْـكـارُ فـي حكمةِ مَنْ   قَـدْ هَـدانـا سُـبْـلَـنَـا عـزَّ وجَـلْ

كُـتـبَ الـمـوتُ عـلى الـخَـلقِ فكمْ   فَـلَّ مـن جَـيـشٍ وأَفـنَـى مـنْ دُوَلْ

أيـنَ نـمـرودُ وَكَـنـعـانُ ومَـنْ   مـلَـكَ الأرْضَ وَوَلَّـى وعَـزَلْ

أَيــنَ عــادٌ أَيــنَ فِـرعَـونُ وَمَــنْ رَفَـعَ الأَهْــرامَ مِـنْ يسمعْ يَخَلْ
أَيـنَ مَـنْ سَـادوا وشَـادوا وبَنَوا هَـلَـكَ الـكُـلُّ وَلَـم تُغنِ القُلَلْ
أَيـنَ أَرْبـابُ الحِجَـى أَهْـلُ النُّهى أَيــنَ أَهْـلُ العلم والـقومُ الأَوَلْ
سَـيُعـيدُ اللّهُ كُــلًّا مِـنهـمُ وَسـيَجـزي فَـاعِـلًا ما قد فَعَلْ
أَيْ بُنَـيَّ اسمعْ وَصَـايَا جَمعَتْ حكماً خُصَّتْ بها خَيرُ المِلَلْ
اُطلـبِ العِلمَ وَلاَ تَكسَلْ فَمَا أَبعَدَ الخَيرَ عَلى أهلِ الكَسَلْ
وَاحتَفِلْ للفقه فِي الدِّينِ وَلا تَشْـتغلْ عَنهُ بِمالٍ وخَـوَلْ
وَاهْـجُـرِ النَّـومَ وَحصِّلهُ فمَنْ يَعرف المَطلُوبَ يَحقِرْ ما بَذَلْ
لاَ تَقلْ قَدْ ذَهَبَتْ أربابُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلى الدَّربِ وَصَلْ
فِي ازديادِ العِلمِ إرغَامُ العدى وَجمَالُ الْعِلمِ إِصلاَحُ الْعَمَلْ
جَـمِّـلِ المَنطِقَ بالنَّحوِ فَمَنْ يُحْرَمِ الإِعْرَابَ بِالنُّطقِ اخْتَبَلْ
انظُمِ الشِّعرَ وَلاَزِمْ مَذْهَبِي فِي اطِّراحِ الرَّفدِ لاَ تبغ النَّحَلْ
فَهوَ عُنوانٌ عَلَى الْفَضلِ وَمَا أَحسَنَ الشِّعرَ إِذَا لَم يُبتذلْ
مَاتَ أهلُ الْفَضلِ لم يَبقَ سِوى مُقرفٍ أَوْ مَنْ عَلَى الأَصْلِ اتَّكلْ
أَنَا لاَ أَخْتَارُ تَقبِيلَ يدٍ قَطْعُها أَجمَلُ مِنْ تلكَ القُبَلْ
إِنْ جَزتْني عَنْ مَدِيحي صِرتُ في رِقِّها أَوْ لاَ فَيكفِيني الخَجَلْ
أَعذَبُ الأَلْفَاظِ قَولِي لَكَ: خُذْ وَأَمَرُّ اللَفظِ نُطقِي بِلَعَلْ
مُلكُ كِسرى عَنهُ تُغني كِسْرَةٌ وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزاءٌ بِالوَشَلْ
اعتبِرْ «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ» تَلْقَهُ حَقّاً وَبالحَقِّ نَزَلْ
لَيسَ مَا يَحْوِي الْفَتى مِنْ عَزمِه لاَ وَلاَ ما فَاتَ يَوماً بِالكَسَلْ
اطْرَحِ الدُّنيا فَمِنْ عَادَاتِها تَخفِضُ العاليَ وتُعلي مَنْ سَفَلْ
عَيشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِها عَيشَةُ الجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلْ
كَمْ جَهولٍ بَاتَ فِيها مُكثِراً وَعَلِيمٍ بَاتَ مِنها فِي عِلَلْ

كَمْ شُجاعٍ لم يَنلْ فيها المُنى وَجَبانٍ نَالَ غاياتِ الأَمَلْ

فَاترك الحِيْلَةَ فيهَا وَاتَّكلْ إنما الحِيْلَةُ في تَركِ الحِيَلْ

أيُّ كَفٍّ لَمْ تَنلْ منها المُنى فَرَمَاهَا اللّهُ منهُ بالشَّلَلْ

لاَ تَقُلْ أَصْلي وَفَصلي أَبَداً إنما أَصْلُ الفتى مَا قَدْ حَصَلْ

قَدْ يسُودُ المرءُ مِنْ دُونِ أبٍ وَبِحُسنِ السَّبْكِ قدْ يُنفَى الدَّغَلْ

إنما الوردُ مِنَ الشَّوكِ وَمَا يَنبُتُ النَّرجِسُ إلاَ مِنْ بَصَلْ

غَيرَ أَنّي أَحمَدُ اللّهَ عَلى نَسَبي إذْ بِأَبي بَكرٍ اتّصلْ

قيمةُ الإنْسانِ مَا يُحسِنُهُ كَثَّرَ الإنسانُ منهُ أَمْ أَقَلْ

أُكْتُمِ الأَمرينِ فَقراً وغِنًى وَاكسَبِ الفَلْسَ وَحَاسِبْ مَنْ مطَلْ

وَادَّرِعْ جِداً وكَدّاً واجتَنِبْ صُحبةَ الحمْقى وَأَرْبابِ الخَلَلْ

بَينَ تَبذيرٍ وبُخلٍ رُتبةٌ وَكِلاَ هَذينِ إنْ زادَ قَتَلْ

لاَ تخُضْ في حَقِّ سَاداتٍ مَضَوا إنهم لَيسُوا بأَهلٍ للزَّلَلْ

وَتَغاضَى عَنْ أُمورٍ إنهُ لم يفُزْ بالحَمدِ إلاَ مَنْ غَفَلْ

لَيسَ يَخْلُو المَرْءُ مِنْ ضدٍّ وَلَو حَاوَلَ العُزلةَ في رَأسِ الجبَلْ

مِلْ عَنِ النَّمَّامِ وازجُرْهُ فَمَا بلَّغَ المَكْروهَ إلا مَنْ نَقَلْ

دارِ جارَ السَّوءِ بالصَّبرِ وإنْ لَمْ تجدْ صَبراً فَما أَحْلَى النُّقَلْ

جَانِبِ السُّلطانَ واحذرْ بَطشَهُ لاَ تُعانِدْ مَنْ إذَا قالَ فَعَلْ

لاَ تَلِ الأَحْكامَ إنْ هُمْ سَأَلوا رَغبةً فيكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلْ

إنَّ نِصفَ النَّاسِ أَعداءٌ لمنْ وُلِّيَ الأَحكَامَ هَذا إنْ عَدَلْ

فَهْوَ كَالمحبُوسِ عنْ لَذَّاتهِ وَكِلاَ كفَّيْهِ في الحَشْرِ تُغَلْ

إنَّ للنقصِ والاسْتِثْقالِ في لَفظَةِ القَاضي لَوَعظاً أَوْ مَثَلْ

لاَ تُوازى لَذةُ الحُكمِ بما ذَاقَهُ الشَّخصُ إذَا الشَّخصُ انعزَلْ

فَالوِلاَياتُ وَإنْ طَابتْ لمنْ ذاقهَا فَالسُّمُّ في ذَاكَ العَسَلْ

نَصَبُ المنصبِ أَوْهى جَلَدي … وَعَنائي مِنْ مُداراة السَّفَلْ

قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنيا تفُزْ … فَدليلُ الْعَقلِ تقصيرُ الأَمَلْ

إن مَنْ يطلبهُ المَوتُ عَلى … غِرَّةٍ منهُ جَديرٌ بِالوَجَلْ

غِبْ وزُرْ غِبّاً تزِدْ حُبّاً فَمنْ … أكثَرَ التَّردادَ أَقصاهُ المَلَلْ

لاَ يَضُرُّ الْفَضلَ إقلالٌ كَما … لاَ يَضرُّ الشَّمسَ إطْباقُ الطَّفَلْ

خُذْ بِنصْلِ السَّيفِ واتركْ غِمدهُ … واعتبِرْ فَضلَ الفتى دونَ الحُلَلْ

حُبُّكَ الأَوْطانَ عَجزٌ ظَاهِرٌ … فَاغْترِبْ تلقَ عَنِ الأَهْلِ بَدَلْ

فَبِمُكثِ المَاءِ يَبقى آسِناً … وَسُرى البدرِ بِهِ الْبدرُ اكتملْ

أَيُّها الْعَائِبُ قَولي عبثاً … إن طيبَ الْوردِ مُؤذٍ للجُعلْ

عَدِّ عَن أسهُمِ قَولي وَاستترْ … لاَ يُصيبنَّكَ سَهمٌ مِن ثُعَلْ

لاَ يَغرَّنَّكَ لِيْنٌ مِنْ فتًى … إنَّ لِلحيَّاتِ ليناً يُعتزلْ

أَنا مِثلُ المَاءِ سَهْلٌ سَائغٌ … وَمَتى سُخِّنَ آذى وقَتَلْ

أَنا كَالخيْزور صَعبٌ كسْرهُ … وَهْوَ لَدْنٌ كَيفَ ما شئتَ انفتلْ

غَيرَ أَنِّي في زَمانٍ مَنْ يكنْ … فيهِ ذَا مَالٍ هُوَ المولَى الأَجلْ

وَاجِبٌ عِندَ الْورى إكرامُهُ … وَقليلُ المَالِ فيهِم يُستقلْ

كُلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وَأَنا … مِنهُمُ فَاتركْ تَفَاصِيلَ الجُمَلْ

❊ ❊ ❊

واحرَّ قلباه ممّن قلبه شبمُ

المتنبي

وَاحَــرّ قَلْبـاهُ مـمّـنْ قَلْبُـهُ شَبِمُ ... وَمَـنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي ... وَتَدّعـي حُـبّ سَيفِ الـدّوْلـة الأُمَـمُ
إنْ كَـانَ يَجْـمَعُنَـا حُـبٌّ لِغُـرّتـه ... فَلَيْتَ أنّـا بِقَـدْرِ الـحُـبّ نَقْتَسِمُ
قد زُرْتُـهُ وَسُـيُـوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقـد نَـظَـرْتُ إلَـيْـهِ وَالسّـيُـوفُ دَمُ
فـكـانَ أحْـسَـنَ خَـلـقِ اللّه كُلّهِم ... وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ
فَـوْتُ الـعَـدُوّ الـذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فـي طَـيّـهِ أسَـفٌ فـي طَـيّـهِ نِعَمُ
قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ ... لَـكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ
أَلزَمتَ نَفسَكَ شَيئاً لَيسَ يَلزَمُها ... أن لا يُـوارِيَـهُـم أرْضٌ وَلا عَلَمُ
أكُلّمَا رُمْـتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً ... تَـصَـرّفَـتْ بِـكَ فـي آثَـارِهِ الهِمَمُ
عَـلَـيْـكَ هَـزْمُـهُـمُ فـي كلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَمَـا عَلَيْكَ بهِمْ عـارٌ إذا انهَزَمُوا
أمَـا تَـرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ ... تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ
يا أعـدَلَ النّـاسِ إلاّ في مُعامَلَتي ... فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ
أُعِـيـذُهـا نَـظَـراتٍ مِـنْـكَ صادِقَةً ... أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ
وَمَـا انْـتِـفَـاعُ أخـي الـدّنْـيَـا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْـوارُ وَالظُّلَمُ
سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا ... بأنّنـي خَيـرُ مَـنْ تَسْعَى بـهِ قَـدَمُ
أنَـا الـذي نَظَرَ الأعْمَـى إلـى أدَبي ... وَأسْـمَـعَـتْ كَلِماتي مَـنْ بـهِ صَمَمُ

أَنامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِه ضَحِكي ... حَتى أَتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبها ... أدرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُه حَرَمُ

رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُريدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ

وَمُرْهَفٍ سرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ به ... حتى ضرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً ... حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا منكُمْ بتكرمَةٍ ... لَوْ أنّ أمْرَكُمُ من أمرِنَا أَمَمُ

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا ... فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ ... إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكمْ ... وَيَكْرَهُ اللّهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي ... أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

أرَى النّوَى يَقتَضيني كلَّ مَرْحَلَةٍ ... لا تَسْتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِننا ... لَيَحْدُثَنّ لمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ ... وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

وَشَرُّ ما قَنّصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ

بأيّ لَفْظٍ تَقُولُ الشّعْرَ زِعْنِفَةٌ ... تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ وَلا عَجَمُ

هَذا عِتابُكَ إلاّ أنّهُ مِقَةٌ ... قد ضُمّنَ الدُّرَّ إلاّ أنّهُ كَلِمُ

* * *

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

ابن زيدون

أَضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانينَا   وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

ألا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا   حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعينَا

مَنْ مبلغُ الملبسينا، بانتزاحهمُ   حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

أَنَّ الزَّمانَ الَّذي ما زالَ يُضحِكُنا   أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

غِيظَ العدا مِنْ تَساقينا الهوَى فدعَوْا   بِأنْ نَغَصَّ، فَقالَ الدهرُ آمينَا

فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسنَا   وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا   فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

يا ليتَ شعري، ولم نُعتِبْ أعاديكم   هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاءَ لكُمْ   رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

ما حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ   بِنا، ولا أن تَسُرّوا كاشحاً فِينَا

كُنّا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه   وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

بِنْتُم وَبِنّا، فما ابتلّتْ جَوانِحُنَا   شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا

نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا   يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا

حَالَتْ لفقدِكُمُ أيّامُنا، فغَدَتْ   سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا   وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانيةً
قطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا

لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما
كُنْتُمْ لأروَاحِنَا إلاّ رَياحينَا

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا
إذْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحبّينَا!

وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْوَاؤنَا بَدَلاً
منْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا

يا ساريَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به
مَن كانَ صِرْفَ الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

وَاسألْ هُنالِكَ: هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا
إلفاً، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا؟

وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا
مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّاً كان يحيينا

فهلْ أرى الدّهرَ يقضينا مساعفَةً
منْهُ، وإنْ لم يكُنْ غبّاً تقاضينَا

رَبيبُ مُلكٍ، كَأنّ اللّهَ أنْشأهُ
مسكاً، وَقَدّرَ إنشاءَ الوَرَى طينَا

أوْ صَاغَهُ وَرِقاً مَحْضاً، وَتَوجهُ
مِنْ نَاصِعِ التّبرِ إبْداعاً وتحسينَا

إذَا تَأوّدَ آدَتْهُ، رَفاهِيّةً
تُومُ العُقُودِ، وَأدمتَهُ البُرَى لِينَا

كانتْ لَهُ الشّمسُ ظئراً في أكِلّته
بَلْ ما تَجَلّى لها إلاّ أحايينَا

كأنّما أثبتَتْ، في صَحنِ وجنته
زُهْرُ الكَوَاكِبِ تَعويذاً وَتَزْيينَا

ما ضَرّ أنْ لمْ نَكُنْ أكفاءه شرَفاً
وَفي المَوَدّةِ كافٍ مِنْ تَكَافينَا؟

يا رَوْضَةً طالَما أجْنَتْ لَوَاحظَنَا
وَرْداً، جَلاهُ الصِّبا غضّاً، وَنَسْرِينَا

ويَا حياةً تملّيْنَا، بزهرَتِهَا
مُنًى ضروباً، ولذّاتٍ أفانينَا

ويَا نعيماً خطرْنَا، مِنْ غَضَارَتِه
في وَشْيِ نُعْمَى، سحَبنا ذَيلَه حينَا

لَسنا نُسَمّيكِ إجْلالاً وَتَكْرِمَةً
وَقَدْرُكِ المُعْتَلي عَنْ ذاك يُغْنِينَا

إذا انفرَدَتِ وما شُورِكتِ في صفَةٍ
فحسبُنا الوَصْفُ إيضَاحاً وتبْيينَا

يا جنّةَ الخلدِ أُبدِلنا، بسدرَتِها
والكوثرِ العذبِ، زقّوماً وغسلينَا

كأنّنَا لم نبِتْ، والوصلُ ثالثُنَا
وَالسّعدُ قَدْ غَضَّ من أجفانِ وَاشينَا

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكمْ
في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا

سِرّانِ في خاطِرِ الظّلماءِ يَكتُمُنا
حتى يكادَ لسانُ الصّبحِ يفشينَا

لا غَرْوَ في أنْ ذَكَرْنا الحزْنَ حينَ نهتْ ... عنهُ النُّهَى، وَتركْنا الصّبْرَ ناسِينَا

إنّا قرَأنا الأسَى، يوْمَ النّوى، سُوراً ... مَكتوبَةً، وَأخَذْنَا الصّبرَ تلقينا

أمّا هواك، فلمْ نعدلْ بمَنْهَله ... شُرْباً وَإنْ كانَ يُرْوِينَا فيُظمينَا

لمْ نَجْفُ أفقَ جمالٍ أنت كوكبُهُ ... سالينَ عنهُ، وَلم نهجُرْهُ قالينَا

وَلا اخْتِياراً تَجَنّبْناهُ عَنْ كَثَب ... لكنْ عَدَتْنَا، على كُرْه، عَوَادِينَا

نأسَى عَليك إذا حُثّتْ، مُشَعْشَعَةً ... فِينا الشَّمُولُ، وغنَّانَا مُغَنّينَا

لا أكْؤسُ الرّاحِ تُبدي من شمائلنَا ... سِيْما ارْتياح، وَلا الأوْتارُ تُلْهِينَا

دومي على العهد، ما دُمنا، مُحافظةً ... فالحرُّ مَنْ دانَ إنْصافاً كما دينَا

فَما استعضْنا خَليلاً منك يحبسُنا ... وَلا استفدْنا حبيباً عنك يثنينَا

وَلَوْ صبَا نحوَنَا، من عُلو مطلعه ... بدرُ الدُّجى لم يكنْ حاشاك يصبينَا

أبْكي وَفاءً، وَإنْ لم تَبْذُلي صِلَةً ... فَالطّيفُ يُقْنِعُنَا، وَالذّكرُ يَكفينَا

وَفي الجَوَابِ مَتَاعٌ، إنْ شَفَعتِ به ... بيضَ الأيادي، التي ما زلت تُولينَا

إليكِ منّا سَلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ ... صَبَابَةٌ بِكِ نُخْفِيهَا، فَتُخْفِينَا

* * *

سلي الرماح العوالي عن معالينا

صفي الدين الحليّ

سَلي الرّماحَ العَوالي عن معالينا ... واستشهدي البيضَ هل خابَ الرّجا فينا

وسائلي العُرْبَ والأتراكَ ما فَعَلَتْ ... في أرضِ قَبرِ عُبَيدِ اللّهِ أيدينا

لمّا سعَينا، فما رقّتْ عزائمُنا ... عَمّا نَرومُ، ولا خابَتْ مَساعينا

يا يومَ وَقعَةِ زوراءِ العراق، وقَد ... دنّا الأعادي كما كانوا يدينُونا

بِضُمّرٍ ما رَبَطناها مُسَوَّمَةً ... إلاّ لنَغزُو بها مَن باتَ يَغزُونا

وفتيَةٍ إنْ نَقُلْ أصغَوا مَسامعَهمْ ... لقولنا، أو دعوناهمْ أجابُونا

قومٌ إذا استخصموا كانوا فراعنةً ... يوماً، وإن حُكّموا كانوا موازينا

تَدَرّعوا العَقلَ جِلباباً، فإنْ حميتْ ... نارُ الوَغَى خِلتَهُمْ فيها مَجانينا

إذا ادّعَوا جاءتِ الدّنيا مُصَدِّقَةً ... وإن دَعوا قالتِ الأيّام: آمينا

إنّ الزرازيرَ لمّا قامَ قائمُها ... تَوَهّمَتْ أنّها صارَتْ شَواهينا

ظنّتْ تأنّي البُزاةِ الشُّهبِ عن جزَعٍ ... وما دَرَتْ أنّه قد كانَ تَهوينا

بيادقٌ ظفرتْ أيدي الرِّخاخِ بها ... ولو تَركناهُمُ صادوا فَرازينا

ذلّوا بأسيافِنا طولَ الزّمانِ، فمُذْ ... تحكّموا أظهروا أحقادَهم فينا

لم يغنِهمْ مالُنا عن نَهْبِ أنفُسنا ... كأنّهمْ في أمانٍ من تقاضينا

أخلوا المَساجدَ من أشياخنا وبَغوا ... حتى حَمَلنا، فأخلَينا الدّواوينا

ثمّ انثنينا، وقد ظلّتْ صوارِمُنا ... تَميسُ عُجباً، ويَهتَزُّ القَنا لِينا
ولـلـدّمـاءِ عـلـى أثـوابِـنـا عـلَـقٌ ... بنَشرِه عن عَبيرِ المسكِ يُغنينا
فيَا لها دعوةٌ في الأرضِ سائرةٌ ... قد أصبحتْ في فمِ الأيامِ تلقينا
إنّـا لَـقَـوْمٌ أبَـتْ أخلاقُنا شَرفاً ... أن نبتَدي بالأذى مَن ليسَ يُؤذينا
بِيضٌ صَنائعُنا، سُودٌ وقائعُنا ... خُضرٌ مَرابعُنا، حُمرٌ مَواضينا
لا يَظهَرُ العَجزُ منّا دونَ نَيلِ مُنًى ... ولـو رأيـنـا الـمَـنـايا في أمانينا
ما أعوزتنا فرامينٌ نصولُ بها ... إلاّ جعلنا مواضينا فرامينا
إذا جرينا إلى سبقِ العُلى طلقاً ... إنْ لم نكُنْ سُبّقاً كُنّا مُصَلّينا
تدافعُ القَدَرَ المحتومَ همّتُنا ... عنّا، ونخصمُ صرفَ الدّهرِ لو شينا
نَغشَى الخُطوبَ بأيدينا، فنَدفَعُها ... وإنْ دهتنا دفعناها بأيدينا
مُلْكٌ، إذا فُوّقت نَبلُ العَدوِّ لَنا ... رَمَتْ عَزائمُهُ مَن باتَ يَرمينا
عَزائِمٌ كالنّجومِ الشُّهبِ ثاقِبَةٌ ... ما زالَ يُحرقُ منهنّ الشيّاطِينا
أعطى ، فلا جودُهُ قد كان عن غلَطٍ ... منه، ولا أجرُهُ قد كان مَمنونا
كم من عدوٍّ لنَا أمسَى بسطوتِه ... يُبدي الخُضوعَ لنا خَتلاً وتَسكينا
كالصِّلّ يظهرُ ليناً عندَ ملمسِه ... حتى يُصادِفَ في الأعضاءِ تَمكينا
يطوي لنا الغدرَ في نصحٍ يشيرُ به ... ويمزجُ السمّ في شهدٍ ويسقينا
وقد نَغُضّ ونُغضي عن قَبائحِه ... ولم يكُنْ عَجزاً عَنه تَغاضينا
لكنْ تركناه، إذْ بِتنا على ثقةٍ ... إنّ الأميرَ يُكافيهِ فيَكفينا

❊ ❊ ❊

يا ليلُ الصبُّ متى غدُهُ؟

أبو الحسن القيرواني

يا ليلُ الصبُّ متى غدُهُ؟ — أقيامُ الساعةِ موعدُهُ؟

رَقَدَ السُّمَّار فأرَّقَه — أسفٌ للبين يردِّدُه

فبكاهُ النَّجمُ ورقَّ له — مما يرعاه ويرصدُه

كلفٌ بغزالٍ ذي هيف — خوفُ الواشين يشرِّدُه

نصبت عيناي له شركاً — في النوم فعزَّ تصيُّدُه

وكفى عجباً أني قنص — للسرب سِباني أغيدُه

صنمٌ للفتنة منتصبٌ — أهواهُ ولا أتعبَّدُه

صاحٍ والخمرُ جنى فمِه — سكرانُ اللحظِ معربدُه

ينضو من مقلتِه سيفاً — وكأنْ نعاساً يغمدُه

فيريق دم العشاقِ به — والويلُ لمن يتقلَّدُه

كلا لا ذنب لمن قتلتْ — عيناه ولم تقتلْ يدُه

يا من جحدت عيناه دمي — وعلى خدَّيه تورُّدُه

خداك قد اعترفا بدمي — فعلامَ جفونك تجحدُه

إني لأعيذك من قتلي — وأظنك لا تتعمدُه

باللّه هبِ المشتاق كرًى — فلعلَّ خيالك يسعدُه

ما ضرَّك لو داويتَ ضنًى … صبٌّ يدنيك وتبعدُه
لم يبقَ هواك له رمقاً … فليبكِ عليه عوده
وغداً يقضي أو بعد غد … هل من نظر يتزوده
يا أهلَ الشوق لنا شرقٌ … بالدمع يفيضُ مورده
يهوى المشتاقُ لقاءَكُمُ … وصروفُ الدهر تبعدُه
ما أحلى الوصلَ وأعذبَه … لولا الأيامُ تنكدُه
بالبين وبالهجران فيا … لفؤادي.. كيف تجلُّدُه؟

❊ ❊ ❊

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

الفرزدق

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ ... وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ اللّه كُلّهِمُ ... هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهِرُ العَلَمُ

هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ ... بِجَدّهِ أنْبِيَاءُ اللّه قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائرِه ... العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجَمُ

كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُمَا ... يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُما عَدَمُ

سَهْلُ الخَليقَةِ، لا تُخشى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ

حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُوا ... حُلْوُ الشّمائلِ، تَحلُو عِندَهُ نَعَمُ

ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ ... لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ

عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ ... عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ والعَدَمُ

إذا رَأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائِلُها: ... إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه ... فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ

اللّه شَرّفَهُ قِدْماً، وَعَظّمَهُ ... جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ

أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقَابِهِمُ ... لأوّلِيّةِ هَذا، أوْ لَهُ نِعمُ

مَن يَشكُرِ اللّه يَشكُرْ أوّلِيّةَ ذا | فالدِّينُ من بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ
يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّين التي قَصُرَتْ | عَنها الأكُفُّ، وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّهُ دان فَضْلُ الأنْبياءِ لَهُ | وَفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ
مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ اللّه نَبْعَتُهُ | طَابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ وَالشّيَمُ
يَنْشَقّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غرّته | كالشمس تَنجابُ عن إشرَاقها الظُّلَمُ
من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ | كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنجًى وَمُعتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذِكْرِ اللّه ذِكْرُهُمُ | في كلّ بَدْءٍ، وَمَختومٌ به الكَلِمُ
إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهمْ | أوْ قيل: «من خيرُ أهل الأرْض؟» قيل: همُ
لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِمُ | وَلا يُدانيهِمُ قَوْمٌ، وَإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغُيُوثُ، إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ | وَالأُسدُ أُسدُ الشّرَى، وَالبأسُ محتدمُ
لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ | سِيّانَ ذلك: إن أثْرَوْا وَإنْ عَدمُوا
يُستدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ | وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

❊ ❊ ❊

لكلِّ شيءٍ إذا ما تم نقصانُ

أبو البقاء الرندي

لكل شـيءٍ إذا مـا تـم نقصانُ — فـلا يُغـرَّ بطيب العيش إنسانُ
هـي الأيــامُ كما شاهدتها دُولٌ — مَـن سَـرَّهُ زَمـنٌ سـاءَتهُ أزمـانُ
وهـذه الـدار لا تُبقي على أحـد — ولا يـدومُ عـلى حـالٍ لهـا شانُ
يُمـزقُ الـدهـرُ حتـماً كل سابغة — إذا نبت مشْرفيّاتٌ وخُرصانُ
وينتضي كـلّ سيفٍ للفناءِ ولَوْ — كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدانُ
أين الملوكُ ذَوو التيجان من يمنٍ — وأيـن منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟
وأيـن ما شـاده شـدَّادُ في إرمٍ — وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟
وأيـن ما حـازه قـارونُ من ذهبٍ — وأيـن عـادٌ وشـدادٌ وقحطانُ؟
أتـى على الكُلِّ أمـرٌ لا مَـردَّ له — حتى قَضَوا فكأنَّ القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك — كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ
دارَ الـزّمـانُ على (دارا) وقاتِله — وأمَّ كسـرى فما آواه إيـوانُ
كأنما الصَّعب لم يسْهُل له سببٌ — يومًا ولا مَلَكَ الدُّنيا سُليمانُ
فجـائعُ الدهـر أنـواعٌ مُنوَّعةٌ — وللـزمـانِ مسـرّاتٌ وأحـزانُ
ولـلحـوادثِ سُـلوان يسهِّلُها — وما لما حلَّ بالإسلام سُلوانُ
دهى الجزيرةَ أمـرٌ لا عـزاءَ له — هـوى لـه أُحُـدٌ وانـهـدَّ ثهلانُ

أصابها العينُ في الإسلام فامتحنتْ   حتى خَلت منه أقطارٌ وبُلدانُ

فاسأل (بلنسيةَ) ما شأنُ (مُرسيةَ)   وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيَّانُ)

وأين (قُرطبةٌ) دارُ العلوم فكم   من عالمٍ قد سما فيها له شانُ

وأين (حِمصُ) وما تحويه من نزهٍ   ونهرُها العَذبُ فياضٌ وملآنُ

قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما   عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ

تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ   كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ

على ديارٍ من الإسلام خاليةٍ   قد أقفرتْ ولها بالكفر عُمرانُ

حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما   فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ   حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ   إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ

وماشيًا مرحًا يُلهيه موطنهُ   أبعد حمصَ تَغرُّ المرءَ أوطانُ؟

تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدَّمها   وما لها مع طولِ الدهرِ نسيانُ

يا راكبينَ عتاقَ الخيلِ ضامرةً   كأنها في مجال السبقِ عقبانُ

وحاملين سيُوفَ الهندِ مرهفةً   كأنها في ظلام النقع نيرانُ

وراتعينَ وراءَ البحرِ في دعةٍ   لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ

أعندكم نبأٌ من أهلِ أندلسٍ   فقد سرى بحديثِ القوم رُكبانُ؟

كم يستغيثُ بنا المستضعفونَ وهم   قتلى وأسرى فما يهتزُّ إنسانُ؟

ماذا التقاطُع في الإسلام بينكمُ   وأنتمْ يا عبادَ اللهِ إخوانُ؟

ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هممٌ   أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ

يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزِّهمُ   أحالَ حالَهمُ جورٌ وطُغيانُ

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم   واليومَ هم في بلاد الكفرِ عُبدانُ

فلو تراهم حيارى لا دليلَ لهمْ   عليهمُ من ثيابِ الذُّلِّ ألوانُ

ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بَيْعِهِمُ   لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ

يـا ربَّ أمٍّ وطـفـلٍ حـيـلَ بينهما	كـمـا تـفـرقَ أرواحٌ وأبــــدانُ
وطفلة مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت	كـأنـمـا هــي يــاقــوتٌ ومـرجـانُ
يـقـودُهـا الـعـلـجُ لـلـمكروه مكرهةً	والـعـيـنُ بـاكـيـةٌ والـقـلـبُ حـيـرانُ
لمثل هـذا يـذوب القلبُ من كمدٍ	إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

❊ ❊ ❊

عيونُ المها بين الرصافة والجسر

علي بن الجهم

عيونُ المها بينَ الرصافةِ والجسرِ ... جَلَبنَ الهَوى من حَيثُ أَدري وَلا أَدري

أعدْنَ لي الشوقَ القديمَ ولم أكنْ ... سَلَوتُ وَلكن زِدنَ جَمراً عَلى جَمرِ

سلِمْنَ وأسلمنَ القلوبَ كأنما ... تُشَكُّ بِأَطرافِ المُثَقَّفَةِ السُّمرِ

وقلنَ لنا نحنُ الأهلَّةُ إنما ... تُضيءُ لِمَن يَسري بِلَيلٍ وَلا تَقري

فلا بذْلَ إلا ما تزوَّدَ ناظرٌ ... وَلا وَصلَ إِلّا بِالخَيالِ الَّذي يَسري

أحينَ أزحنَ القلبَ عنْ مستقره ... وَأَلهَبنَ ما بَينَ الجَوانِحِ وَالصَّدرِ

صددنَ صدودَ الشاربِ الخمرَ عندما ... روى نفسَهُ عن شُربِهَا خيفةَ السكرِ

ألا قَبلَ أَن يَبدو المَشيبُ بَدَأنَني ... بِيَأسٍ مُبينٍ أَو جَنَحْنَ إِلى الغَدرِ

فَإِن حُلنَ أَو أَنكَرنَ عَهداً عَهِدنَهُ ... فَغَيرُ بَديعٍ لِلغَواني وَلا نُكرِ

وَلَكِنَّهُ أَودى الشَّبابُ وَإِنَّما ... تُصادُ المَها بَينَ الشَّبيبَةِ وَالوَفرِ

كَفى بِالهَوى شُغلاً وَبِالشَّيبِ زاجِراً ... لَوَ اَنَّ الهَوى مِمّا يُنَهنَهُ بِالزَّجرِ

أَما وَمَشيبٍ راعَهُنَّ لَرُبَّما ... غَمَزنَ بَناناً بَينَ سَحرٍ إِلى نَحرِ

وَبِتنا عَلى رَغمِ الوُشاةِ كَأَنَّنا ... خَليطانِ مِن ماءِ الغَمامَةِ وَالخَمرِ

خَليلَيَّ ما أَحلى الهَوى وَأَمَرَّهُ ... وَأَعلَمَني بِالحُلوِ مِنهُ وَبِالمُرِّ

بِما بَينَنا مِن حُرمَةٍ هَل رَأَيتُما ... أَرَقَّ مِنَ الشَّكوى وَأَقسى مِنَ الهَجرِ

وَأَفضَحَ مِن عَينِ المُحِبِّ لِسِرِّهِ ... وَلا سِيَّما إِن أَطلَقَت عَبرَةً تَجري

وَما أَنسَ مِن الأَشياءِ لا أَنسَ قَولَها ... لِجارَتِها ما أَولَعَ الحُبَّ بِالحُرِّ

فَقالَت لَها الأُخرى فَما لِصَديقِنا ... مُعَنًّى وَهَل في قَتلِهِ لَكِ مِن عُذرِ

عِديهِ لَعَلَّ الوَصلَ يُحييهِ وَاعلَمي ... بِأَنَّ أَسيرَ الحُبِّ في أَعظَمِ الأَمرِ

فَقالَت أُداري النّاسَ عَنهُ وَقَلَّما ... يَطيبُ الهَوى إِلّا لِمُنهَتِكِ السِّترِ

وَأَيقَنَتا أَن قَد سَمِعتُ فَقالَتا: ... مَنِ الطارِقُ المُصغي إِلَينا وَما نَدري

فَقُلتُ فَتًى إِن شِئتُما كَتَمَ الهَوى ... وَإِلّا فَخَلّاعُ الأَعِنَّةِ وَالعُذرِ

عَلى أَنَّهُ يَشكو ظَلوماً وَبُخلَها ... عَلَيهِ بِتَسليمِ البَشاشَةِ وَالبِشرِ

فَقالَت هُجينا قُلتُ قَد كانَ بَعضُ ما ... ذَكَرتِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدفَعُ بِالشَّرِّ

فَقالَت كَأَنّي بِالقَوافي سَوائِراً ... يَرِدنَ بِنا مِصراً وَيَصدُرنَ عَن مِصرِ

فَقُلتُ أَساءَت الظَّنَّ بي لَستُ شاعِراً ... وَإِن كانَ أَحياناً يَجيشُ بِهِ صَدري

صِلي وَاسأَلي مَن شِئتِ يُخبِركِ أَنَّني ... عَلى كُلِّ حالٍ نِعمَ مُستَودَعُ السِّرِّ

وَما أَنا مِمَّن سارَ بِالشِّعرِ ذِكرُهُ ... وَلَكِنَّ أَشعاري يُسَيِّرُها ذِكري

وَما الشِّعرُ مِمّا أَستَظِلُّ بِظِلِّهِ ... وَلا زادَني قَدراً وَلا حَطَّ مِن قَدري

وَلِلشِّعرِ أَتباعٌ كَثيرٌ وَلَم أَكُن ... لَهُ تابِعاً في حالِ عُسرٍ وَلا يُسرِ

وَما كُلُّ مَن قادَ الجِيادَ يَسوسُها ... وَلا كُلُّ مَن أَجرى يُقالُ لَهُ مُجري

❊ ❊ ❊

كذا فليجلِّ الخطبُ

أبو تمام

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الأمرُ
فليسَ لعين لم يفضْ ماؤها عذرُ

تـوفـيـتِ الآمــــالُ بـعـدَ محمد
وأصبحَ في شغل عنِ السفر السفرُ

ومـا كـانَ إلا مـالَ من قـلَّ مالُهُ
وذخراً لمنْ أمسى وليسَ له ذخرُ

وما كانَ يدري مجتدي جود كفه
إذا ما استهلَّتْ أَنَّـه خُلقَ العُسْرُ

ألا في سبيلِ اللّه منْ عُطِّلَتْ له
فِـجَـاجُ سَبيلِ اللّه وانـثـغَـرَ الثَّغْرُ

فَـتًّى كُـلَّـما فـاضَـتْ عُـيـونُ قَبيلة
دماً ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذكرُ

فـتًّى دهـرُه شـطـرانِ فيما ينوبُه
ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطرُ

فتًى ماتَ بين الضربِ والطعنِ ميتة
تقومُ مقامَ النصرِ إذْ فاتَه النصرُ

وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفه
منَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ

وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فردَّهُ
إليه الحفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

ونـفـسٌ تـعـافُ الـعـارَ حتـى كأنَّه
هو الكفرُ يومَ الروعِ أوْ دونَه الكفرُ

فأثبتَ في مستنقعِ الـموتِ رجله
وقال لها منْ تحت أخمصك الحشرُ

غَـدَا غَـدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ ردائـه
فلم ينصرفْ إلا وأكفانُـه الأجـرُ

تردَّى ثيابَ الموت حُمراً فما أتى
لها الليلُ إلاَّ وهْيَ منْ سُنْدُس خُضْرُ

كـأنَّ بَـنِـي نَـبْـهَـانَ يـومَ وَفـاتـه
نُجومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنها البَدْرُ

يعزونَ عن ثاوٍ تُعَزَّى بهِ العلى ويبكي عليهِ الجودُ والبأسُ والشعرُ
وأنى لهمْ صبرٌ عليه وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهدوا هو والصبرُ
فتًى كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا منْ غَضاضَةٍ ولكنَّ كبراً أنْ يقالَ به كبرُ
فتى سلبتهُ الخيلُ وهوَ حمى لها وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْوَ لها جَمْرُ
وقدْ كانتِ البيضُ المآثيرُ في الوغى بَواتِرَ فهْيَ الآنَ مِن بَعْدِهِ بُتْرُ
أمنْ بعدِ طيِّ الحادثاتِ محمداً يكونُ لأثوابِ الندى أبداً نشرُ؟
إذا شجراتُ العرفِ جذَّتْ أصولها ففي أيِّ فرعٍ يوجدُ الورقُ النضرُ؟
لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهْرُ الخَؤونُ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بهِ ممَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ
لئنْ غدرتْ في الروعِ أيامُه به لَما زَالتِ الأيَّامُ شيمتُها الغَدْرُ
لئن ألبستْ فيه المصيبةَ طيءٌ لَمَا عُرِّيَتْ منها تَميمٌ ولا بَكْرُ
كذلكَ ما نَنفكُّ نَفقِدُ هالكاً يُشارِكُنا في فَقْدِهِ البَدْوُ والحضْرُ
سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه وإنْ لم يكنْ فيهِ سحابٌ ولا قطرُ

❊ ❊ ❊

قمْ ناجِ جَلَّقَ

أحمد شوقي

قمْ ناجِ جَلَّقَ وانشدْ رسمَ من بانوا   مشتْ على الرسم أحداثٌ وأزمانُ

هـذا الأديـمُ كـتـابٌ لا كـفـاءَ له   رثٌّ الصحائف بَاقٍ منه عنوانُ

الـديـنُ والـوحـيُ والأخـلاقُ طائفةٌ   منه وسائره دنيا وبهتانُ

ما فيه إن قلبت يوماً جواهره   إلا قرائحُ من راد وأذهانُ

بنو أميةَ للأنباءِ ما فتحوا   وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سرير الشرقِ تحتهم   فهل سألتَ سريرَ الغرب ما كانوا

عالينَ كالشمس في أطراف دولتها   في كلِّ ناحية ملكٌ وسلطانُ

يا ويحَ قلبيَ مهما انتابَ أرسمهم   سرى به الهمُّ أو عادته أشجانُ

بالأمسِ قمتُ على الزهراءِ أندبُهُمْ   واليومَ دمعي على الفيحاءِ هتَّانُ

في الأرضِ منهم سمواتٌ وألويةٌ   ونيراتٌ وأنواءٌ وعقبانُ

معادنُ العزِّ قد مال الرغامُ بهم   لو هانَ في تربه الإبريزُ ما هانوا

لولا دمشقُ لما كانت طليطلةٌ   ولا زَهَتْ ببني العباسِ بغدانُ

مررتُ بالمسجدِ المحزون أسألُهُ   هل في المصلَّى أو المحرابِ مروانُ

تغيَّرَ المسجدُ المحزونُ واختلفتْ   على المنابرِ أحرارٌ وعبدانُ

فلا الأذانُ أذانٌ في منارتِه   إذا تعالى ولا الآذانُ آذانُ

آمنتُ باللّه واستثنيتُ جنَّتَهُ ... دمشقُ روحٌ وجناتٌ وريحانُ
قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها ... الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بستانُ
جرى وصفَّق يلقانا بها بردى ... كما تلقَّاك دون الخلدِ رضوانُ
دخلتُها وحواشيها زمرُّدَةٌ ... والشمسُ فوق لجينِ الماءِ عقيانُ
والحورُ في دمَّرٍ أو حولَ هامَتِها ... حورٌ كواشفُ عن ساقٍ وولدانُ
وربوةُ الوادِ في جلبابِ راقصةٍ ... الساقُ كاسيةٌ والنحرُ عريانُ
والطيرُ تصدحُ من خلفِ العيونِ بها ... وللعيونِ كما للطيرِ ألحانُ
وأقبلت بالنباتِ الأرضُ مختلفاً ... أفوافه فهو أصباغٌ وألوانُ
وقد صفا بردى للريح فابتدرتْ ... لدى ستورٍ حواشيهنَّ أفنانُ
ثم انثنتْ لم يزلْ عنها البلالُ ولا ... جفّتْ من الماءِ أذيالٌ وأردانُ
خلفتُ لبنانَ جناتِ النعيم وما ... نُبِّئْتُ أنَّ طريقَ الخلدِ لبنانُ
حتى انحدرتُ إلى فيحاءَ وارفةٍ ... فيها النَّدى وبها طيٌّ وشيبانُ
نزلتُ فيها بفتيانٍ جَحَاجِحَةٍ ... آباؤهم في شبابِ الدهرِ غسانُ
بيضُ الأسرَّةِ باقٍ فيهم صيدٌ ... من عبدِ شمسٍ وإن لم تبقَ تيجانُ
يا فتيةَ الشام شكراً لا انقضاءَ له ... لو أن إحسانَكم يجزيه شكرانُ
ما فوقَ راحاتكم يومَ السماح يدٌ ... ولا كأوطانكم في البِشْرِ أوطانُ
خميلةُ اللّه وَشَّتْها يداه لكم ... فهل لها قَيِّمٌ منكم وجنانُ
شيِّدُوا لها الملكَ وابنوا ركنَ دولَتِها ... فالملكُ غرسٌ وتجديدٌ وبنيانُ
لو يرجع الدهرُ مفقوداً له خطرٌ ... لآبَ بالواحدِ المبكي ثكلانُ
الملكُ أن تعملوا ما استطعتمو عملاً ... وأن يبينَ على الأعمالِ إتقانُ
الملكُ أن تخرجَ الأموالُ ناشطةً ... لمطلبٍ فيه إصلاحٌ وعمرانُ
الملكُ تحتَ لسانٍ حوله أدبٌ ... وتحت عقلٍ على جنبيه عرفانُ
الملكُ أن تتلاقَوا في هوى وطنٍ ... تفرقتْ فيه أجناسٌ وأديانُ

نصيحةٌ ملؤها الإخلاصُ صادقةٌ والنصحُ خالصُه دينٌ وإيمانُ

والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيعٌ وأوزانُ

ونحنُ في الشرقِ والفصحى بنو رحمٍ ونحنُ في الجرحِ والآلامِ إخوانُ

❊ ❊ ❊

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً

مالك المازني

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً بجنب الغضى أزجي القلاصَ النواجيا
فليت الغضى لم يقطعِ الركب عرضه وليت الغضى ماشى الركابَ لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى مزارٌ ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعتُ الضلالةَ بالهدى وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا!
وأصبحتُ في أرض الأعادي بعدما أراني عن أرضِ الأعادي قاصيا
دعاني الهوى من أهلِ أود وصحبتي بذي الطبسين فالتفت ورائيا
أجبتُ الهوى لما دعاني بزفرةٍ تقنعت منها أن الأم ردائيا
أقولُ وقد حالت قرى الكردِ دوننا: جزى اللّه عمرواً خيرَ ما كان جازيا
إن اللّه يرجعني من الغزو لا أرى وإن قل ما لي طالباً ما ورائيا
تقول ابنتي لما رأتْ طول رحلتي: سفارك هذا تاركي لا أبا ليا
لعمري لئن غالتْ خراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بابي خراسان نائيا
فإن أنجُ من بابي خراسان لا أعدْ إليها وإن منيتموني الأمانيا
فللّهِ دري يوم أتركُ طائعاً بني بأعلى الرقمتين وماليا
وذر الظباء السانحات عشيةً يخبرن أني هالكٌ من ورائيا
وذر كبيري اللذين كلاهما عليَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نهانيا

وذر الرجال الشاهدين تفتكي   بأمري ألاَّ يقصروا من وثاقيا

وذر الهوى من حيثُ يدعو صحابه   وذر لجاجاتي وذر انتهائيا

تذكرتُ من يبكي عليَّ فلم أجد   سوى السيفِ والرمحِ الرديني باكيا

وأشقر محبوك يجرُّ لجامَهُ   إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقيا

ولكن بأكنافِ السمينةِ نسوةٌ   عزيزٌ عليهنَّ العشيةَ ما بيا

صريعٌ على أيدي الرجالِ بقفرةٍ   يسوون لحدي حيث حُمَّ قضائيا

ولما تراءت عند مرو منيتي   وخل بها جسمي وحانت وفاتيا

أقول لأصحابي: ارفعوني فإنَّه   يقر بعيني أنَّ سهيلاً بدا ليا

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا   برابية إني مقيم لياليا

أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلة   ولا تعجلاني قد تبين شانيا

وقوما إذا ما استلَّ روحي فهيِّئا   لي السدرَ والأكفانَ عند فنائيا

وخُطَّا بأطرافِ الأسنة مضجعي   ورُدَّا على عيني فضلَ ردائيا

ولا تحسداني باركَ اللّهُ فيكما   من الأرضِ ذاتِ العرضِ أن توسِّعا ليا

خُذاني فجُرَّاني ببردي إليكما   فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قياديا

وقد كنتُ عطَّافاً إذا الخيل أدبرتْ   سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا

وقد كنتُ صباراً على القرن في الوغى   وعن شتمي ابن العم والجار وانيا

فطَوْراً تراني في ظلال ونعمة   ويوماً تراني والعتاقُ ركابيا

ويوماً تراني في رحًى مستديرةٍ   تخرقُ أطرافَ الرماحِ ثيابيا

وقوما على بئرِ السمينةِ أسمعا   بها الغرَّ والبيضَ الحسانَ الروانيا:

بأنكما خلَّفتماني بقفرةٍ   تهيلُ عليَّ الريحُ فيها السوافيا

ولا تنسيا عهدي خليلي بعدما   تقطَّع أوصالي وتُبلى عظاميا

ولن يعدم الوالون بثّاً يصيبهم   ولن يعدم الميراث مني المواليا

يقولون: لا تبعد وهم يدفنونني   وأين مكان البعد إلا مكانيا!

غداة عديا لهف نفسي على غدٍ — إذا أدلجوا عني وأصبحت ثاويا

وأصبحَ مالي من طريفٍ وتالدٍ — لغيري كان المالُ بالأمسِ ماليا

فيا ليت شعري هل تغيرت الرحى — رحى المثل أو أمست بفلجٍ كما هيا

إذا الحيُّ حلوها جميعاً وأنزلوا — بها بقراً حمَّ العيونِ سواجيا

وعيناً وقد كادَ الظلام يجنها — يسفن الخزامى مرة والأقاحيا

وهل أترك العيسَ الغوالي بالضحى — بركبانها تعلو المتانَ القياقيا

إذا عصبَ الركبانُ بين عنيزةٍ — وبولان عاجوا المنقيات النواجيا

فيا ليت شعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ — كما كنتُ لو عالوا نعيك باكيا!

إذا متُّ فاعتادي القبورَ فسلِّمي — على الرمسِ أسقيت السحاب الغواديا

على جدثٍ قد جرت الريحُ فوقه — تراباً كسحقِ المرنباني هابيا

رهينة أحجارٍ وتربٍ تضمَّنَتْ — قرارتها مني العظامَ البواليا

فيا صاحبي إما عرضت فبلِّغَنْ — بني مازنٍ والريب أن لا تلاقيا

وعطِّل قلوصي في الركاب فإنها — ستفلق أكباداً وتبكي بواكيا

وأبصرت نار المازنيات موهناً — بعلياء يثنى دونها الطرفُ وانيا

بعودي النجوح أضاءَ وقودها — مها في ظلالِ السدرِ حوراً جوازيا

بعيد غريب الدار ثاوٍ بقفرةٍ — يد الدهرِ معروفاً بأن لا تدانيا

أقلِّبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى — به من عيونِ المؤنساتِ مراعيا

وبالرمل منا نسوةٌ لو شهدنني — بكينَ وفدينَ الطبيبَ المداويا

وما كان عهدُ الرمل عندي وأهله — ذميماً ولا ودعت بالرمل قاليا

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي — وباكيةٌ أخرى تهيج البواكيا

❋ ❋ ❋

يا فؤادي رحم اللّه الهوى

إبراهيم ناجي

يا فؤادي رحِمَ اللّه الهوى
كان صرحاً من خيالٍ فهوى

اسقني واشربْ على أطلالِه
وارو عني طالما الدمعُ روى

كيف ذاك الحبُّ أمسى خبراً
وحديثاً من أحاديث الجَوَى

وبساطاً من ندامى حلم
هم تواروا أبداً وهو انطوى

يا رياحاً ليس يهدأ عصفُها
نضبَ الزيتُ ومصباحي انطفا

وأنا أقتاتُ من وهم عفا
وافي العمر لناسٍ ما وفى

كم تقلبتُ على خنجرِه
لا الهوى مالَ ولا الجفنُ غفا

وإذا القلبُ على غفرانِه
كلما غاربه النصلُ عفا

يا غراماً كان مني في دمي
قدراً كالموتِ أو في طعمهِ

ما قضينا ساعةً في عرسه
وقضينا العمرَ في مأتمه

ما انتزاعي دَمْعَةً من عينه
واغتصابي بسمةً من فمه

ليت شعري أين منه مهربي
أين يمضي هاربٌ من دمه

لست أنساكِ وقد أغريتني
بفم عذبِ المناداةِ رقيق

ويد تمتد نحوي كيد
من خلالِ الموج مُدت لغريق

آه يا قبلة أقدامي إذا
شكتِ الأقدامُ أشواكَ الطريق

وبـريـقـاً يـظـمـأُ الـسـاري لـه　　أيـن فـي عـينيك ذيـاك البريق
لـست أنـسـاك وقـد أغـريتنـي　　بـالـذرى الشُّـمِّ فـأدمنتِ الطموح
أنـتِ روح فـي سـمـائي وأنـا　　لـك أعـلـو فكـأنـي محض روح
يـا لـهـا مـن قـمـم كـنـا بها　　نـتـلاقـى وبِـسِـرَّيْـنـا نـبـوح
نستشفُّ الـغيـبَ مـنْ أبراجها　　ونـرى الـنـاس ظـلالاً في السفوح
أنـت حسـنٌ في ضـحـاه لـم يزل　　وأنـا عـنـدي أحـزان الـطـفـل
وبقـايـا الـظـلِّ مـن ركـبٍ رحل　　وخـيـوط الـنـورِ مـن نـجـم أفـل
ألـمـح الـدُّنـيـا بعيني سئم　　وأرى حـولـيَ أشـبـاح الملل
راقـصـات فـوق أشـلاء الـهوى　　مـعـولات فـوق أجـداث الأمـل
ذهـبَ الـعـمـرُ هـبـاءً فـاذهبي　　لـم يـكـن وعـدُك إلا شبحا
صـفـحـةٌ قـد ذهـب الـدهـر بها　　أثـبـتَ الـحـبُّ عـلـيـهـا ومـحـا
انـظـري ضـحـكي ورقصي فرحاً　　وأنـا أحـمـل قـلـبـاً ذبـحـا
ويـرانـي الـنـاس روحـاً طـائـراً　　والـجـوى يطحنني طـحـنَ الرحى

❋ ❋ ❋

جادك الغيث إذا الغيث همى

لسان الدين الخطيب

جادكَ الغيثُ إذا الغيثُ همى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ

لم يكنْ وصلُك إلا حلما ... في الكرى أو خلسةَ المختلسِ

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المنى ... ننقلُ الخطْوَ على ما ترسمُ

زُمَراً بين فُرادى وثنا ... مثلما يدعو الحجيجَ الموسمُ

والحيا قد جلَّلَ الروضَ سنا ... فثغورُ الزهرِ فيه تبسمُ

وروى النعمانُ عن ماءِ السماء ... كيف يروي مالكٌ عن أنسِ

فكساه الحسنُ ثوباً مُعلماً ... يزدَهي منه بأبهى ملبسِ

في ليالٍ كتمتْ سرَّ الهوى ... بالدجى لولا شموسُ الغُرَرِ

مالَ نجمُ الكأسِ فيها وهوى ... مستقيمَ السيرِ سعدَ الأثرِ

وطرٌ ما فيه من عيب سوى ... أنَّه مرَّ كلمحِ البصرِ

حين لذّ النومُ شيئاً أو كما ... هجم الصبحُ هجومَ الحرسِ

غارت الشهبُ بنا أو ربَّما ... أثَّرتْ فينا عيونُ النرجسِ

أيُّ شيءٍ لامرئ قد خلصا ... فيكون الروضُ قد مكن فيه

تنهبُ الأزهارُ فيه الفُرصا ... أمِنت من مكره ماتتقيه

فإذا الماءُ تناجى والحصا ... وخلا كلٌّ خليلٍ بأخيه

تُبصر الورد غيوراً بَرما ... يكتسي من غيظِه ما يكتسي
وترى الآس لبيباً فهما ... يسرقُ السمع بأذني فرسِ
حبسَ القلبَ عليكم كرما ... أفترضون عفاء الحُبُسِ
وبقلبي منكم مقتربٌ ... بأحاديثَ المنى وهو بعيد
قمرٌ أطلع منه المغربُ ... شقوةَ المضني به وهو سعيد
قد تساوى محسنٌ أو مذنبٌ ... في هواه بين وعد ووعيد
أحور المقلةِ معسول اللمى ... جالَ في النَّفْس مجالَ النَّفَسِ
سدد السهمَ فأصمى إذ رمى ... بفؤادي نبله المفترسِ
إن يكن جارَ وخابَ الأملُ ... ففؤادُ الصَّبِّ بالشوقِ يذوب
فهو للنفس حبيبٌ أولٌ ... ليس في الحبِّ لمحبوبٍ ذنوب
أمرُه معتملٌ ممتثلٌ ... في ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظُ به فاحتكما ... لم يراقبْ في ضعاف الأنفس
ينصف المظلومَ ممَّن ظلما ... ويجازي البَرَّ منها والمُسي
ما لقلبي كلَّما هبت صبا ... عادَه عيدٌ من الشوقِ جديد
جَلَبَ الهمَّ له والوَصَبَا ... فهو للأشجان في جهدٍ جهيد
كان في اللَّوح له مكتتبا ... قوله: إنَّ عذابي لشديد
لاعجٌ في أضلعي قَدْ أضرما ... فهي نارٌ في الهشيم اليَبَسِ
لم يدع في مهجتي إلا ذِما ... كبقاءِ الصبحِ بعد الغَلَسِ

❊ ❊ ❊

أثيم الهوى

البردوني

جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي ... وفي صمتِه ضجّةُ الأضلعِ

وفي صدره ندمٌ جائعٌ ... يلوكُ الحنايا ولم يشبعِ

تهدّده صيحةُ الذكريا ... تِ كما هدّد الشيخ صوت النعي

ويقذفه شبحٌ مفزعٌ ... إلى شبحٍ موحشٍ مفزعِ

ويصغي ويصغي فلم يستمع ... سوى هاتف الإثم في المسمعِ

ولم يستمع غيرَ صوتِ الضميرِ ... يناديه من سرّه الموجعِ

فيشكو إلى من؟ وما حوله ... سوى اللّيلِ أو وحشة المخدعِ

كئيبٌ يخوّفه ظلمُه ... فيرتاعُ من ظلِّه الأروعِ

وفي كلِّ طيف يرى ذنبَه ... فماذا يقول وما يدّعي

فيملي على سرّه قائلاً ... أنا مجرمُ النفسِ والمطمعِ

أنا سارقُ الحبّ وحدي! أنا ... خبيثُ السقا قذرُ المرتعِ

هوت إصبعي زهرةً حلوةً ... فلوّثتُ من عطرِهَا إصبعي

توهّمتُها حلوةً كالحيا ... ة فكانت أمرَّ من المصرعِ

أنا مجرمُ الحبِّ يا صاحبي ... فلا تعتذِرْ لي فلم تقنعِ

ولا، لا تقل معك الحبّ بل ... جريمتُه والخطايا معي

ومال إلى اللّيل واللّيل في   نهايتِه وهو لم يهجعِ
وقد آن للفجَّرِ أن يستفيق   وينسلَّ من مبسم المطلعِ
وكيف ينامُ «أثيمُ الهوى»   وعيناه والسهدُ في موضعِ
هنا ضاقَ بالسهدِ والذكرياتِ   وحنَّ إلى الحلمِ الممتعِ
فألقى بجثّته في الفرا   شِ كسيَرَ القوى ذابلَ المدمعِ
ترى هل ينامُ وطيفُ الفجو   رِ ورائحةُ الإثمِ في المضجعِ؟
وفي قلبه ندمٌ يستقي   دماه وفي حزنه يرتعي
وفي مقلتيه دموعٌ وفي   حشاه نحيب بلا أدمعِ
فماذا يلاقي وماذا يحسُّ   وقد دفنَ الحبَّ في البلقعِ
وعادَ وقد أودعَ السرِّ من   حناياه في شرٍّ مستودعِ
فماذا يعاني؟ ألا إنّه   جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي

❊ ❊ ❊

يا سامر الحيّ هل تعنيك شكوانا

بدوي الجبل

يا سامرَ الحيِّ هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحديدُ وما رقّوا لبلوانا

خلِّ العتابَ دموعاً لا غناءَ بها
وعاتبِ القومَ أشلاءً ونيرانا

آمنتُ بالحقدِ يُذكي من عزائمنا
وأبعدَ اللّهُ إشفاقاً وتحنانا

ويلُ الشعوبِ التي لم تسقِ من دمهَا
ثاراتِها الحمرَ أحقاداً وأضغانا

ترنَّحَ السوطُ في يمنى معذِّبها
ريّانَ من دمها المسفوح سكرانا

تغضي على الذلِّ غفراناً لظالمها
تأنّقَ الذلُّ حتّى صارَ غفرانا

ثاراتُ يعرب ظمأى في مراقدها
تجاوزتّها سقاةُ الحيّ نسيانا

ألا دمٌ يتنزّى في سلافتها
أستغفرُ الثأر بل جفّت حميّانا

لا خالد الفتحِ يغزو الروم منتصراً
ولا المثنّى على راياتِ شيبانا

أمّا الشآم فلم تبقِ الخطوبُ بها
روحاً أحبَّ من النعمى وريحانا

ألمَّ والليل قد أرخى ذوائبَه
طيفٌ من الشام حيّانا فأحيانا

حنا علينا ظماء في مناهلها
فأترع الكأسَ بالذكرى وعاطانا

تنضّر الوردُ والريحانُ أدمعنا
وتسكب العطر والصهباء نجوانا

السامرُ الحلوُ قد مرّ الزّمانُ به
فمزّقَ الشملَ سمّاراً وندمانا

قد هانَ من عهدها ما كنتُ أحسبه
هوى الأحبّةِ في بغدادَ لا هانا

فمن رأى بنتَ مروانَ انحنتْ تعباً | من السلاسلِ يرحمْ بنتَ مروانا
أحنو على جرحِها الدامي وأمسحُه | عطراً تَطيبُ به الدُّنيا وإيمانا
أزكى من الطيبِ ريحاناً وغالية | ما سال من دم قتلانا وجرحانا
هل في الشآم وهل في القدسِ والدةٌ | لا تشتكي الثكلَ إعوالاً وإرنانا
تلك القبورُ ولو أنّي ألمّ بها | لم تعدُ عيناي أحباباً وإخوانا
يعطي الشّهيد فلا واللّه ما شهدتْ | عيني كإحسانه في القوم إحسانا
وغايةُ الجودِ أن يسقي الثرى دمه | عند الكفاحِ ويلقى اللّهَ ظمآنا
و الحقّ والسّيف من طبع ومن نسبٍ | كلاهما يتلقّى الخطبَ عريانا
والحزنُ في النَّفسِ نبعٌ لا يمرّ به | صادٍ من النّفس إلاّ عادَ ريّانا
والخيرُ في الكونِ لو عرَّيْتَ جَوْهَرَهُ | رأيتَه أدمعاً حرّى وأحزانا
سمعتُ باريس تشكو زهو فاتِحِها | هلاّ تذكّرت يا باريسُ شكوانا
والخيلُ في المسجدِ المحزونِ جائلةٌ | على المصلّينَ أشياخاً وفتيانا
والآمنين أفاقوا والقصورُ لظًى | تهوي بها النّارُ بنياناً فبنيانا
رمى بها الظالم الطاغي مجلجلةً | كالعارضِ الجونِ تهداراً وتهتانا
أفدي المخدّرةَ الحسناءَ روّعها | من الكرى قدر يشتدُّ عجلانا
تدور في القصر عجلى وهي باكيةٌ | وتسحبُ الطيبَ أذيالاً وأردانا
تجيلُ والنومُ ظلّ في محاجرها | طرفاً تهدهده الأحلامُ وسنانا
فلا ترى غير أنقاض مبعثرة | هوين فنّاً وتاريخاً وأزمانا
تلك الفضائحُ قد سمّيتُها ظفراً | هلّا تكافأَ يوم الرّوع سيفانا
نجابهُ الظلمَ سكرانَ الظّبى أشراً | ولا سلاحَ لنا إلا سجايانا
إذا انفجرت من العدوان باكيةً | لطالما سُمْتنا بغياً وعدوانا
عشرين عاماً شربنا الكأسَ مترعةً | من الأذى فتملّي صرفَها الآنا
ما للطواغيتِ في باريس قد مسخوا | على الأرائِك خدّاماً وأعوانا

اللّه أكبـر هـذا الـكـونُ أجمعُه … للّهِ لا لـك تـدبـيـراً وسلطانا
ضـغـيـنـةٌ تـتـنـزّى فـي جوانحنا … مـا كـان أغـنـاكُـمُ عنها وأغنانا
تُفدى الشموسُ بضاحٍ من مشارقِها … هـلالُ شـعـبـانَ إذ حيّا بشعبانا
دوّتْ به الصرخةُ الزهراءُ فانتقضتْ … رمـــالُ مـكّـةَ أنـــجـــاداً وكثبانا
وســـالَ أبـطـحـهـا بـالـخـيـلِ آبـيـةً … على الشكيمِ تريد الأفقَ ميدانا
وبـالـكـتـائـبِ مـن فـهـرٍ مقنّعة … تضاحك الشمسَ هنديّاً ومرّانا
تململَ الفاتحونَ الصيدِ وازدلفوا … إلـى السـيـوفِ زرافـاتٍ ووحدانا
ولـلـجـيـادِ صـهـيـلٌ فـي شكائمِهَا … تـكـادُ تشربه الـصـحـراء ألحانا
الســابـقـاتُ ومـا أرخـوا أعنّتَها … والحاملات المنايا الحمرَ فرسانا
سِفْرٌ من المجدِ راح الدهرُ يكتبه … ولا يـضـيـقُ بـه جـهـراً وإمـعـانـا
قرأتُ فيه الملوكَ الصيدَ حاشيةً … والـهـاشـمـيّـيـن طـغـراءَ وعـنـوانـا
شدّ الحسين على الطغيان مقتحماً … فـزلـزلَ اللّهُ لـلـطـغـيـانِ بنيانا
نـورُ الـنّـبـوة فـي مـيـمـونِ غـرّتـه … تـكـادُ ترشـفـه الأجـفـانُ فرقانا
لاثَ العمامة للجلّى ولستُ أرى … إلاّ العمائمَ في الإسلامِ تيجانا
يا صاحبَ النّصرِ في الهيجاء كيف غدا … نصرُ المعارك عند السلمِ خذلانا
ترى السياسةَ لوناً واحداً ويرى … لـهـا حـلـيـفـك أشـكـالاً وألـوانـا
لا تـسـأل الـقـوم أيـمـانـاً مـزوّقة … فـقـد عيينا بـهـم عـهـداً وأيمانا
أكرمتُ مجدك عن عتبٍ هممتُ به … لـو شئتُ أوسـعـتُـه جهـراً وتبيانا
ما للسّفينة لم ترفعْ مراسيها؟ … ألـم تـهـيِّـئْ لـهـا الأقـــدارُ ربّـانـا؟
شقّي العواصفَ والظلماءَ جاريةً … باسم الجزيرةِ مجرانا ومرسانا
ضمّي الأعاريب من بدوٍ ومن حضر … إنّـي لألـمـح خلف الغيم طوفانا
يـا مـن يـدلُّ عـلـيـنـا فـي كتائبه … نظار تطلع على الدنيا سرايانا

❊ ❊ ❊

للشهداء

غازي القصيبي

يشهد الله أنكم شهداءُ ... يشهد الأنبياءُ والأولياءُ

مُتّمُ كي تعزّ كِلمة ربي ... في ربوع أعزها الإسراءُ

انتحرتم؟! نحن الذين انتحرنا ... بحياةٍ أمواتها الأحياءُ

أيها القومُ نحن متنا فهيّا ... نستمعْ ما يقول فينا الرثاءُ

قد عجزنا حتى شكا العجزُ منا ... وبكينا حتى ازدرانا البكاءُ

وركعنا حتى اشمأزّ ركوعٌ ... ورجونا حتى استغاث الرجاءُ

ولعقنا حذاءَ شارون حتّى ... صاح: «مهلاً، قطعتموني!» الحذاءُ

وارتمينا على طواغيت بيتٍ ... أبيضٍ ملءُ قلبه الظلماءُ

أيها القوم! نحن متنا ولكنْ ... أنفتْ أن تضمنا الغبراءُ

قل لـ(آيات): يا عروس العوالي ... كل حسنٍ لمقلتيكِ الفداءُ

حين يُخصى الفحول صفوةُ قومي ... تتصدّى للمجرم الحسناءُ

تلثمُ الموتَ وهي تضحكُ بشراً ... ومن الموتِ يهربُ الزعماءُ

فتحتْ بابها الجنانُ وحيَّتْ ... وتلقّتكِ فاطمُ الزهراءُ

قل لمن دبّجوا الفتاوى: رويداً ... رُبّ فتوًى تضجّ منها السماءُ

حين يدعو الجهاد يصمت حبرٌ ... ويراعٌ والكتْبُ والفقهاءُ

حين يدعو الجهاد لا استفتاء ... الفتاوى يوم الجهاد الدماءُ

* * *

العيــون

عبد الرحمن محمد رفيع

سمعت أهل الهوى يقولون

يقولون والكلام فنون

شنو اللي جنن المجنون؟!

مهب لعيون؟!

شنو لعيون؟

سما لعيون...

بحر لعيون..

إهي شي.... أو إهي مليون..

في ناس تقول: إهي الدانه

وهي اللولو، وهي المحار

وفي ناس تقول: إهي المجهول

نبع سحر، أو نبع أسرار

في ناس تقول: إهي مركب

وفي ناس تقول: إهي ملعب

يقولون: هي نجم براق

ويقولون: هي قمر شقاق

وأقول: شنو القمر لولاك

وأقول: شنهو البحر لولاك

شنو الألوان ؟

شنو الألحان؟

شنو الكون غير حصى وصبان!

وشنو الجوهر ولو مكنون!

وسمعت أهل الهوى يقولون

يقولون والكلام فنون

شنو اللي جنن المجنون

مهب لعيون؟!

في عين تحكي ولا تنطق

وفي عين تبرق

وفي عين تعطي وفي عين تسرق!

وفي عين مثل الجمر تحرق

بعد عنتر بن شداد..

وأبو زيد الهلالي انصاد!

وقبلهم قوم ثمود وعاد..

ليوم الحشر والميعاد..

من اللي في الغزيز ماطاح

عزق في العين وهو سباح

لافاده سيفه المسنون

ولا رده رمحه الذباح

ومثل ما قالوا.... يقولون..

يقولون والكلام فنون

شنو اللي جنن المجنون

مهب لعيون؟!

في عين تذبح ذبح هادي..

وفي عين تذبح ذبح سادي!

وفي عين تأخذك أخذ وردي

وفي عين تأخذك أخذ رعدي

وكله سلاح وكله ذباح

تبي تسلم من الذبحين..

لاتفتح عين!

ولا تتبع زين..

وروح بعيد..

لا تقرب من هوى البحرين

ما دام تقول: أنا حميدان..

وتعرض داخل الميدان..

إذا تم الأمر لا تصيح

ولا تردد يا عين يا ليل

تعالو للي ، تراه الويل

ترى أهل الهوى يقولون...

يقولون والكلام فنون

شنو اللي جنن المجنون..

مهب لعيون؟!

مثل كل شخص سأل نفسه؟

سألت نفسي: شنو لعيون؟

وظنيت الجواب عندي

وذي.. ردي

وآخرتها..

بعد إمية سؤال وجواب

وسفره في عيون الأحباب

رجعت محتار!

تبون مني الجواب الصح والمضمون؟

شنو العيون؟

إهي لعيون!!

❊ ❊ ❊

من مفكرة عاشق دمشقي
«أوراق القضية»

نزار قباني

فرشتُ فوق ثراكِ الطاهرِ الهدبا ... فيا دمشقُ، لماذا نبدأ العتبا؟

حبيبتي أنتِ.. فاستلقي كأغنيةٍ ... على ذراعي، ولا تستوضحي السببا

أنت النساءُ جميعاً.. ما من امرأةٍ ... أحببتُ بعدَك، إلا خلتُها كذبا

يا شامُ! إن جراحي لا ضفافَ لها ... فامسحي عن جبيني الحزنَ والتعبا

وأرجعيني إلى أسوارِ مدرستي ... وأرجعي الحبرَ، والطبشورَ، والكتبا

تلك الزواريب، كم كنز طمرتُ بها ... وكم تركتُ عليها ذكرياتِ صبا

وكم رسمتُ على حيطانها صوراً ... وكم كسرتُ على أدراجها لعبا

أتيتُ من رحم الأحزان.. يا وطني ... أقبِّلُ الأرضَ، والأبوابَ، والشهبا

حبِّي هنا وحبيباتي ولدن هنا ... فمن يعيدُ لي العمرَ الذي ذهبا

أنا قبيلةُ عشَّاقٍ بكاملها ... ومن دموعي سقيتُ البحرَ والسحبا

فكلُّ صفصافة حولتُها امرأةً ... وكلُّ مئذنة رصعتُها ذهبا..

هذي البساتينُ.. كانت بين أمتعتي ... لما ارتحلتُ عن الفيحاء، مغتربا

فلا قميصَ من القمصان ألبسُه ... إلا وجدتُ على خيطانه عنبا

كم مبحرٍ.. وهمومُ البرِّ تسكنه ... وهاربٍ من قضاءِ الحبِّ، ما هربا

يا شـامُ! أيـن هما عينا معاوية
فـلا خـيـولَ بـنـي حـمـدان راقصةٌ
وقـبـرُ خـالـدٍ فـي حمصَ نلامسه
يا رب حـيٍّ.. رخـامُ القبر مسكنه
يا بـن الـولـيـد.. ألا سيفٌ تؤجِّرُه
دمشق! يا كـنـزَ أحلامي، ومروحتي
أدمـتْ سياطُ حـزيـرانَ ظهورَهم
وطالعوا كـتـبَ الـتـاريـخ.. واقتنعوا
سـقـوا فلسطينَ أحـلامـاً ملونةً
عاشوا على هامشِ الأحداث، ما انتفضوا
وخلفوا القدسَ فوق الوحل عارية
هل من فلسطين مكتوبٌ يطمئنني
وعـن بـسـاتـيـنَ لـيـمـون، عـن حلمٍ
أيـا فلسطين.. من يهديك زنبقةً
شردتِ فوق رصيفِ الدمع باحثةً
تـلـفَّـتـي.. تـجـديـنـا فـي مباذلنا
فـواحـدٌ أعـمـتِ النعمى بصيرتَهُ
وواحـدٌ.. بـبـحـار الـنـفـط مغتسلٌ
وواحـدٌ نـرجـسـيٌّ فـي سريرته
إن كان من ذبحوا التاريخ.. هم نسبي
يا شام، يا شام ما في جعبتي طربٌ
ماذا سأقرأ من شعري، ومن أدبي؟
وحـاصـرتْـنَـا.. وآذتْـنَـا.. فـلا قلمٌ

وأيـنَ من زحموا بالمنكب الشهبا
زهـوا، ولا الـمـتـنـبـي مـالـئٌ حلبا
فيرجفُ القبرُ من زواره غضبا
وربَّ ميت، على أقدامه انتصبا
فكلُّ أسيافنا قد أصبحتْ خشبا..
أشكو العروبةَ أم أشكو لك العربا؟
فأدمنوها.. وباسوا كفَّ من ضربا
متى البنادقُ كانت تسكنُ الكتبا؟
وأطعموها سخيفَ القولِ والخطبا
للأرضِ منهوبةً، والعرض مغتصبا..
تـبـيـحُ عـزةَ نهديها لـمـن رغبا..
عمن كتبت إلـيـه.. وهـو مـا كتبا
يـزداد عني ابتعاداً.. كلما اقتربا
ومـن يعيد لك البيتَ الـذي خربا
عن الحنانِ، ولكن ما وجدتِ أبا..
من يعبدُ الجنسَ، أو من يعبدُ الذهبا
فللخنى، والـغـوانـي، كـلُّ ما وهبا
قد ضاق بالخيش ثوباً.. فارتدى القصبا
وواحدٌ من دم الأحرار قد شربا..
على العصور.. فإني أرفض النسبا
أستغفر الشعرَ أن يستجديَ الطربا
حوافرُ الخيل داست عندنا الأدبا..
قـال الحقيقةَ إلا اغتيل أو صلبا

يا من يعاتب مذبوحاً على دمه ونـزفِ شريانه، مـا أسهلَ العتبا

من جرَّب الكيَّ، لا ينسى مواجِعَه ومن رأى السمَّ، لا يشقى كمن شربا

حَبْـلُ الفجيعةِ ملتفٌّ على عنقي من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا..

الشـعرُ ليس حـمامات نطيِّرُها نحو السماء، ولا نايا.. وريح صبا

لـكنَّـه غـضـبٌ طـالـت أظـافـرُه ما أجبنَ الشعرَ، إن لم يركب الغضبا

* * *

الفصل السابع

الهتافات

- من خصائص الدعوة: التدرّج في الخطوات .. وانتظار الزمن .. وعدم التسرع بالنتائج .. فلكل أجل كتاب.

حسن البنا

- العاقل من باعد بينه وبين الفتنة وأسبابها، ورجا من الله السلامة والعافية، وقد صدق القائل البصير:

إنَّ السَّلامَةَ من سَلْمَى وجَارَتِها   أنْ لا تَمُرَّ على حال بوادِيها

عبدالفتاح أبو غدة

- إن هذه الأمة ما عقمت أن تلد رجالاً يتحملون المسؤوليات كما كانت فيما سبق، وإن الخير باقٍ فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

محمد الحسن الددو

- إن الإنسان مثل ساعته، إما أن يمشي أو يذهب إلى ورشة التصليح.

الصادق النيهوم

- العنف ليس اللطم ولا الرحل ولا حتى الرشاش.. العنف هو كل ما يشوش النظام المتناغم للأشياء، ابتداءً من اغتصاب الحقيقة، واغتصاب العدالة، واغتصاب ثقة الآخر!.

لانرادل فاستو

- الصحوة الإسلامية تملأ الأرض، لكنها تبحث عن قيادات.

منير الغضبان

- قلب المؤمن تحنو له الجبال.

نجيب الكيلاني

- إن المبادئ والأفكار في ذاتها ـ بلا عقيدة واقعية ـ مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معانٍ ميتة! والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشعة من قلب إنسان.

سيد قطب

- إن سوء تفسير الإسلام ما هو إلا واحد من أشكال عدة للارتباك الذي يهدد أبناء المسلمين اليوم، والتحدي هائل لدرجة أنه يهدد وجودنا كله.

مهاتير محمد

- أيعقل أن يكون الإسلام الذي وحَّد بالأمس القبائل المتخاصمة والمتعادية هو بذاته الإسلام الذي يفرق ويشتت اليوم؟!..

محمد البوطي

- إننا ينبغي أن نستقبل الأفكار كالضيوف بطريقة ودية، ولكن مع التحفظ حتى لا تستبد بمن يستضيفها.

الأديب الإيطالي (ألبرتو)

- إن الهمس ينيم اليقظان، لكن الصراخ يوقظ النائم.. لا نريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود.. نريد دويّاً يملأ الآفاق، ويُسمع هؤلاء الناس أن المسلمين لا زالوا أحياء، وأن لحمهم مُرّ، وأنهم يغضبون لمقدساتهم، ويَحْمَونَ لحرماتهم.

د. يوسف القرضاوي

❊ ❊ ❊

الفهـــرس

الفصل الثاني: المقالات الاجتماعية

الفصل الثالث: المقالات التربوية

الفصل الرابع: المقالات الشخصية

الفصل الخامس: المقابلات

الفصل السادس: الشعريات

الفصل السابع: الهتافات